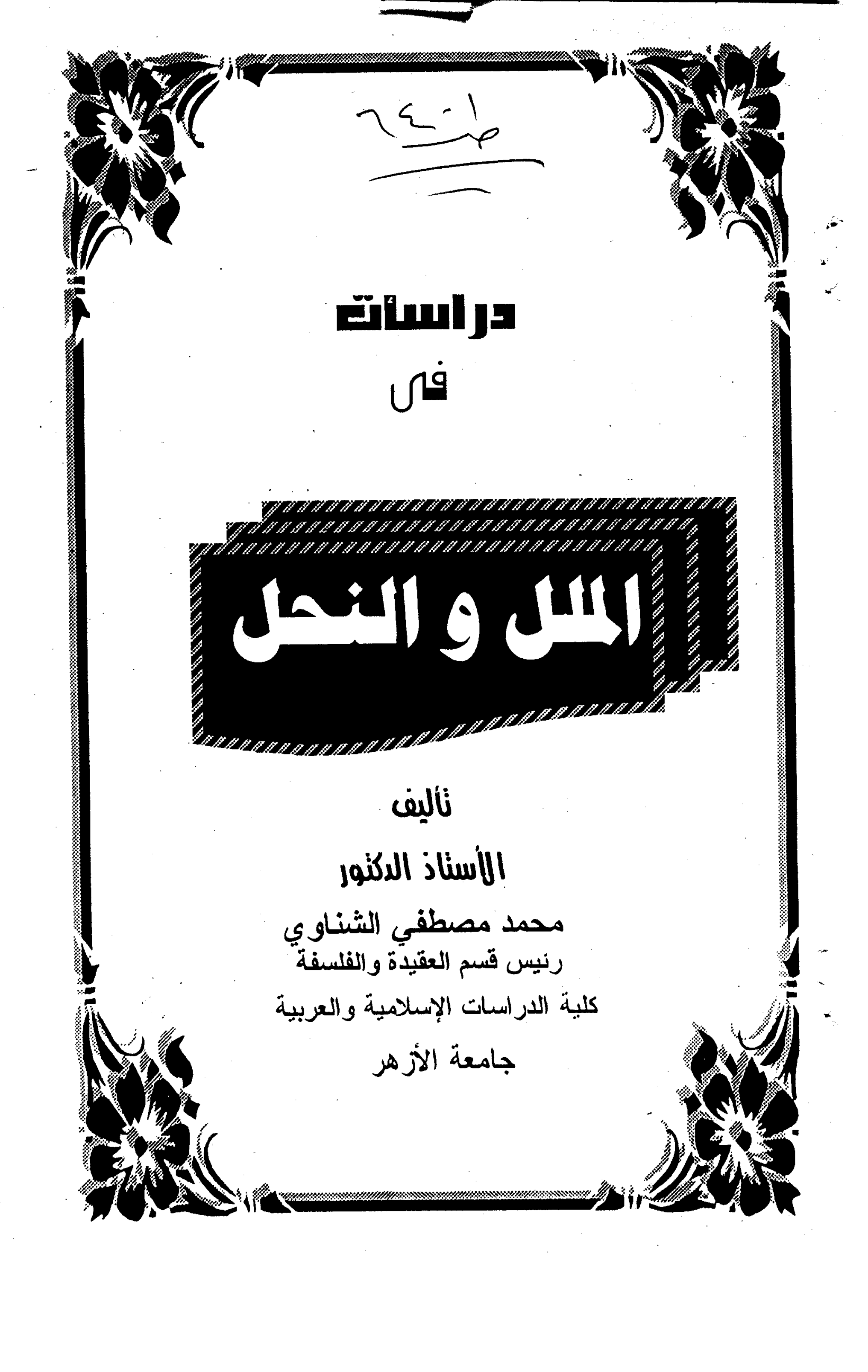


دراسات في

الملل والنحل

تأليف

الأستاذ الدكتور

محمد مصطفي الشناوي

رئيس قسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

قبل أن نخوض في دراسة الملل و النحل لابد لنا من أن نقدم بين يـدي القاريء الكريم تعريفاً للدين ، وبيان معناه عند العلماء ، وهل هناك فـرق بين الملة و النحلة والمذهب ؟

وهل الدين ضروري للإنسان أم لا ؟ وهل الدين أمر فطري أو لا ؟ وبيـان آراء العلماء في ذلك ٠

أولاً : الدين في اللغة :-

يطلق الدين في اللغة علي عدة معان منها الجزاء علي الأعمال والحساب بها ٠ و يدل عليه قوله تعالي : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق(١) أي حسابهم ٠ وقال : (اليوم تجزي كل نفس بما كسبت) (٢) ٠٠ ومنه قوله تعالي (مالك يوم الدين) (٣) أى مالك يوم الحساب والجزاء ، وقوله تعالي : (أئذ متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون) (٤) أي مجزيون محاسبون) (٥)

وفي الحديث : " الكيس من دان نفسه " أي حاسب "

ومنها القضاء ٠ روى عن ابن عباس أيضاً ومنه قول طرفة

لعمرك ما كانت حكومة معبد – علي جدها حربا لدينك من مضر ٠ ومنه الديار في صفة الرب تعالي أي المجازي ٠ ومعاني هذه الثلاثة متقاربة ٠ (٦) .

١- سورة النور اية ٢٥
٢- سورة غافر اية ١٧
٣- سورة الفاتحة اية ٤
٤- سورة الصافات اية ٥٣
٥- تفسير القرطبي ج ١ صـــ ١٩٠ – ١٩٩١
٦- تفسير القرطبي ج ١ صـــ ١٩١

ومنها الطاعة ، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم :

وأيام لنا غر طوال   عصينا الملك فيها أن ندينا ٠

أي أن نطيعه ونتبع قوله ونأتمر بأمره ٠

وعلي هذا فالدين من الألفاظ المشتركة ٠ قال ثعلب

دان الرجل إذا أطاع ، ودان إذا عصي ، ودان إذا عز ، ودان إذا ذل ، ودان إذا قهر فهو من الأضداد ٠

ومنها العادة والشأن كما قال القائل :-

إذا درات لها وضيني   أهذا دينه أبداً وديني ٠

ومنها سيرة الملك ٠ قال زهير :-

لأن حللت بجوفي بني أسد   في دين عمرو وحالت بيننا فدك أراد في موضع طاعه عمرو(١)

وكل هذه المعاني اللغوية التي تدور حولها كلمة الدين تعود في النهاية إلي ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة ٠٠(٢)

ثم يبين الدكتور دراز " أن كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه " دانه يدينه " وتارة من فعل متعد باللام " دان له " وتارة من فعل متعد بالباء " دان به "

١-فإذا قلنا : " دانه ديناً " عنينا بذلك أنه ملكه ، وحكمه ، وساسة ودبره ، وقهره ، وحاسبه ، وقضي في شأنه وجازاه وكافأه فالدين في هذا الاستعمال يدور حول معني الملك و القهر والمحاسبة و المجازاة

٢-وإذا قلنا " دان له " أردنا أنه أطاعه وخضع له ٠ فالدين هنا هو

١- تفسير القرطبي ج١ صـ ١٩١ والمعجم الوسيط ج١ صـ ٣٠٧ ومختار الصحاح صـ ٢١٨

٢- الدين للدكتور / محمد عبد الله دراز صـ ٢٥

الخضوع و الطاعة والعبادة والورع وكلمة " الدين لله " يصح أن يفهم منها كلا المعنيين : الحكم لله أو الخضوع لله • وواضح أن هذا المعني الثاني ملازم للأول ومطاوع له " دانه فدان له " : أي قهره علي الطاعة فخضع وأطاع •

٣-وإذا قلنا " دان بالشئ" كان معناه أنه اتخذه ديناً ومذهباً أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به • فالدين علي هذا هو المذهب و الطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً و عملياً •(١)

ثم يذكر الدكتور / دراز : أن المادة كلها تدور علي معني لزوم الانقياد فان الإستعمال الأول الدين هو لزوم الانقياد ،وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له (٢)

ثانيا : الدين في الاصطلاح :-

١- الدين في لسان الشرع فهو وضع الهي يرشد إلي الحق في الاعتقـــادات والي الخير في السلوم والمعاملات .

وقيل : هو وضع الهي يحسن الله تعالي به إلي البشر علي لسان واحد منهم لا كسب له فيه ولا صنع ولا يصل إليه بتلق ولا تعلم وإنما هو وحي مـــن الله تعالي يلقيه الله إلي عبده (أن هو إلا وحي يوحي)

٢- والدين شرعا هو جملـــة التكـــاليف الشـــرعيين والمعـــاملات الماليـــة والسياسية والأخلاقية التي يوحيها الله جل شأنه إلي رسول من رسله الـــذين يختارهم لتبليغ رسالته وتوصيل تعاليمه وهدايته

٣- الدين شرعا : هو الخضوع لله تعالي والتذلل له والأيمان بوحدانيته جل

١- المصدر السابق صـــ ٥٢

٢- المصدر السابق صـــ ٢٧

شأنه والسجود له جل شأنه واختصاصه جل شأنه بهذا السجود فلا يسجد المرء إلا لله ولا يذبح إلا له ولا يدعو إلا إياه

٤- والدين في لسان الشرع : لا يكون إلا وحيا من الله تعالي لأنبيائه الذين يختارهم الله من عباده ويرسلهم أئمة يهدون بأمره الخلق إلي الإيمان بالله تعالي وتوحيده واختصاصه جل شأنه بهذه العبادة .(١)

٥- والدين في اصطلاح العلماء : وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود الي ما هو خير لهم بالذات (٢)

شرح التعريف :-

فقولهم وضع أي موضوع فهو مصدر بمعني اسم المفعول أي شيء موضوع بقطع النظر عن أن يكون حكما أو غيره

وقولهم : الهي أي منسوب للإله وهو الله تعالي وقولهم سائق أي باعث لان المكلف إذا ما سمع ما يترتب علي فعل الواجب من الثواب أو علي فعل الحرام من العقاب أنساق إلي فعل الأول وترك الثاني .

وقولهم لذوي العقول السليمة أي لأصحاب العقول السليمة من الكفر والمراد السائق لهم فقط . وقولهم إلي ما هو خير لهم أنما ذكروه توصلا لقولهم بالذات فهو متعلق بخير وذلك الخير الذاتي عبارة عن السعادة الأبدية والقرب من رب البرية (٣)

إخراج المحترزات :-

فقولهم وضع الهي " خرج به الوضع البشري ظاهرا وألا فألواضع

١- مقارنة الاديان بين اليهودية والاسلام للدكتور / عوض الله حجازي صـ ١٠ - ١١
٢- البيجوري علي جوهرة التوحيد صـ ٢١
٣- المصدر السابق صـ ٢١ - ٢٢

لجميع الأشياء هو الله في الحقيقة وذلك نحو الرسوم السياسية أي القوانين التي ترجع إليها سياسة العالم كعلم إصلاح المنزل وحسن العشرة مع الأهل والإخوان وقد كان الحكماء القدماء يؤلفون كتبا في سياسة الرعية وإصلاح المدن فيحكم بها ملوك من لا شرع لهم فانه وان كان الخالق لكل الأشياء هو الله تعالي إلا أن البشر لهم في هذه كسب .

لا يقال يلزم علي ذلك أن أحكام الفقه الاجتهادية ليست من الدين لان البشر – اعني المجتهدين – لهم فيها كسب وإنما منه ما ورد نصا لا خلاف فيه لانا نقول : هي من الدين قطعا وهي موضوع الهي غاية الأمر أنها تخفي علينا والمجتهدين يعانون إظهارها والاستدلال عليها بقواعد الشرع ولا مدخل لهم في وضعها .

وقولهم " سائق " خرج به الوضع الإلهي غير السائق كإنبات الأرض أمطار السماء . وقولهم لذوي العقول السليمة خرج به ما يسوقهم وغيرهم من الحيوانات كالأوضاع الطبيعية التي تهتدي بها الحيوانات وهي الإلهامات التي تسوق الحيوانات لفعل منافعها كنسج العنكبوت واتخاذ النحل بيوتا واجتناب مضارها كنفور الشاة من الذئب وغير ذلك .

وقولهم : باختيارهم المحمودة خرج به الأوضاع السائغة لهم لا باختيارهم أو باختيارهم المذمومة فالأولي كالآلام السائقة للأنين رغما وكالوجدانيات كالجوع والعطش فانهما تسوقان إلي الأكل والشرب قهرا .

والثانيه كحب الدنيا فانه وضع الهي يبعث ذوي العقول إلي تـرك الزكاة باختيارهم المذموم ومتي كان الاختيار محمودا لا يسوق إلا إلـي خير .

وقولهم : إلي ما هو خير لهم بالذات خرج به صنعتا الطب والفلاحة فانهما وان تعلقتا بوضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود ، لكن لا إلي الخير الذاتي بل إلي صنف من الخير وهو حفظ صحة أبدانهم بالحكمة والعقاقير أي أجزاء الأدوية وبنحو الأغذية . (١)

ثالثا : الملة في اللغة والاصطلاح :-

لملة : في اللغة : الطريقة المسلوكة والسنة والشريعة أصلها مأخوذ من قولهم : طريق ممل أي مسلوك ومعلوم والملة بالفتح : الموضع الذي يختبز فيه علي ألنار ويسوي فيه الخبز لأنه يؤثر في الشيء كالتأثير في الطريق ومنه قول سيدنا إبراهيم لسارة اصنعي خبز ملة .
والملة التراب الحار والرماد أو الجمر بخبز أو يطبخ عليه أو فيه ويقال رجل ذو ملة ذو ملل وخبز الملة ما يخبز فيها (٢)

أما الملة اصطلاحا فقد استعملت في معني الدين مرادا به الشرائع والنظم يقول أبو البقاء في كتابه الكليات الملة ما شرعه الله تعالي لعباده علي لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلي جوار الله .(٣)

والملة وردت في المعجم الوسيط بمعني أنها اسم لما شرع الله لعباده بواسطة أنبيائه ليتوصلوا به إلي السعادة في الدنيا والآخرة (٤)

١- المصدر السابق صـ ٢١ – ٢٢
٢- المعجم الوسيط ج٢ صـ ٨٨٧
٣- الكليات لابي البقاء ج٢ صـ ٣٢٨ – ٣٢٩
٤- المعجم الوسيط ج٢ صـ ٨٨٧

ويقول الراغب الاصفهاني مفرقا بينها وبين الدين والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلي النبي عليه الصلاة والسلام الذي تسند إليه نحو قوله تعالي (اتبعوا مله إبراهيم – واتبعت مله أبائي) ولا تكاد توجد مضافه إلي الله ولا إلي أحاد امة النبي صلي الله عليه وسلم ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها فلا يقال مله الله ولا يقال ملتي ، ومله زيد ، كما يقال دين الله ودين زيد (١)

واصل الملة من مللت الكتاب قال تعالي • فليملل الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل (٢)

ويقال مللت الشيء أي أعرضت عنه ، وضجرت وأمللته من كذا حملته علي أن مل .

ويقول السيد الشريف الجرجاني في كتابه " التعريفات " " الدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث إنها تطاع تسمي دينا ومن حيث أنها تجمع تسمي ملة ومن حيث أنها يرجع إليها تسمي مذهبا (٣)

وإذا كان هناك من فرق بين الدين والملة فذلك الفرق لغوي لا شرعي .

يقول أبو هلال العسكري في كتابه الفروق الفرق بين الدين والملة أن الملة اسم لجملة الشريعة والدين اسم لما عليه كل واحد من أهلها – ألا تري انه يقال – فلان حسن الدين ولا يقال فلان حسن الملة وإنما يقال هو من أهل الملة وتقول ديني دين الملائكة ولا تقول ملتي ملة الملائكة لان

١- المفردات صـ ٢١٦ – ٢١٧

٢- سورة البقرة اية ٢٨٢

٣- التعريفات صـ ١٤١

الملة اسم للشرائع مع الإقرار بالله والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد انــه يقربه إلي الله وان لم يكن فيه شرائع مثل دين أهل الشرك وكل ملــة ديــن وليس كل دين ملة فاليهودية ملة لان فيها شرائع وليس الشرك ملــة وقــد يسمي كل واحد من الدين والملة باسم الأخر في بعض المواضــع لتقــارب معنييهما (١)

وأري أن الملة في الشرع قريبة من معي الدين شرعا وكما يطلق الــدين علي الدين الصحيح وهو دين الإسلام وعلي الدين الباطل وهو ما عداه في مثل قوله تعالي " لكم دينكم ولي دين " وقوله تعالي " أن الدين عند الله الاسم " وقوله " ومن يبتغ غير الاسم دينا فلن يقبل منه " نري كذلك أن الملة تطلــق علي الدين الحق في قوله تعالي " قل صدق الله فاتبعوا ملة إبــراهيم حنيفــا وما كان من المشركين " أي اتبعوا دينه وطريقته والتي لم يأت نبي بأكمــل ولا أبين منها ولا أوضح ولا أتم .

وقوله تعالي " ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا " وقوله تعالي "قــل أنني هداني ربي إلي صراط مستقيم دينا فيما ملة إبراهيم حنيفا "

وتطلق الملة علي الدين الباطل كما في قوله تعالي " قد افترينا علي الله كذبا أن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها " وقوله نعالي " ولن ترضــي عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم " وقوله تعالي " أني تركت ملــة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون "

فقد ذكر الله جل شأنه أن الصراط المستقيم هو الدين القيم وان هذا الدين هو ملة إبراهيم وطريقته التي كان يسير عليها الصلاة والسلام وانه بهذا ا

---

١ -انظر الفروق في اللغة صــ ٢١٤

الدين وبتلك الطريقة لم يكن من المشركين وإنما كان من المخلصين الذين يعتقدون أن الله تعالي واحد احد فرد صمد وانه يجب الإخلاص له في العبادة واختصاصه بها جل شأنه (١)

ونري الدكتور عوض الله حجازي يقول "لقد ظهر لي بعد البحث الدقيق وأتضح لنا بعد المراجعة الواسعة انه ليس هناك فرق واضح بين الدين والملة شرعا لان الله تعالي قد أطلق الملة علي الدين الحق في كثير من آيات القرآن الكريم (٢)

معني النحلة : -

وأما النحلة في اللغة : فهي النسبة بالباطل يقال انتحل فلان شعر فلان إذا دعاه لنفسه ، وفلان ينتحل مذهب كذا .. أو قبيلة كذا إذا انتسب إليها بغير حق . (٣)

والنحلة جميعها نحل بمعني المذهب أو الديانة وعلي هذا الوجه ذهب بعض العلماء إلي أن النحلة هي المذهب أو الديانة والنحلة هي ما ينتسب إليه المرء من دين أو مذهب . (٤)

وأما المذهب : فهو الرأي يعتنقه ويتبعه شخص ما أعم من أن يكون مستندا فيه إلي دليل وسند شرعي أو لم يكن معتمدا علي ذلك وإنما يسير فيه الشخص ويعتقده تبعا لنفسه وهواه .

ومن هنا نري أن المذهب لغة اعم من الدين ذلك انه يشمل التعاليم المستنده إلي الوحي والشرع مثل المذهب الحنفي والمذهب الحنبلي

١- مقارنة الاديان بين اليهودية ولاسلام صـ ١٥ د/ عوض الله حجازي
٢-المصدر السابق صـ ٩
٣- مختار الصحاح صـ ٦٥٠ والمعجم الوسيط ج٢ صـ ٩٠٧
٤- مقارنة الاديان د/ عوض الله حجازي صـ ١٠

ومذهب ابن تيمية مثلا والمذهب السوفسطائي وغيرها . (١)
ومع هذا الاختلاف الواضح بين الملة والنحلة والمذهب فان ابن حزم يشير الي أن الدين والنحلة والمذهب قد تلتقي كلها علي معني واحد .
فيقولِ وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا
أن كل من خالف دين الإسلام ونحلة السنة ومذهب أصحاب الحديث فانه عارف بضلال ما هم عليه إلا أنهم بخذلان الله تعالي إياهم مكابرون لعقولهم مغلوبون لأهوائهم . (٢)
ويعلق الدكتور عوض الله حجازي علي كلام ابن حزم قائلا فقد عطف ابن حزم نحلة السنة ومذهب أصحاب الحديث علي دين الإسلام وهو فيما يبدو لي من عطف المترادفات ، ذلك انه ليست السنة مخالفة لدين الإسلام وليس مذهب أصحاب الحديث خارجا عنه (٣)
ثم يذكر أن رأي ابن حزم لا ينقض ما اشتهر بين العلماء من التغاير بين الدين والنحلة والمذهب عموما (٤)

الدين الوضعي والدين السماوي

الدين الوضعي : هو الدين الذي يكون من وضع البشر أنفسهم وهو عبارة عن مجموعة من المباديء والقوانين العامة وضعها بعض الناس المستنيرين لأممهم ليسيروا عليها ويعملوا بما فيها والتي لم تستندوا في وضعها إلي وحي سماوي ولا إلي الأخذ عن رسول مرسل وإنما هي جملة من التعاليم والقواعد العامة اصطلحوا عليها وساروا علي منوالها وخضعوا فيها لمعبود

١- المصدر السابق صـ ١٠
٢- الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج ١ صـ ٩٤
٣- مقارنة الاديان صـ ١١
٤- نفس المصدر صـ ١١

معين أو معبودات متعددة .

والأمثلة علي ذلك كثيرة منها الديانة البرهمية في الهند وكذلك الديانة البوذية فيها وفي شرق أسيا ومنها ديانة قدماء المصريين والديانة الفارسية القديمة وغيرها .

أما الدين السماوي : فهو تعاليم إلهية من وضع الله تعالي وإرشادات سماوية من لدن العليم الخبير بنفوس العباد وطبائعهم وما يحتاجون إليه في إصلاح حالهم في المعاش والمعاد والدنيا والآخرة انه مجموعة التعاليم والأوامر والنواهي التي يجيء بها رسول من البشر أوحي الله تعالي إليه

وفي مقدمتها : الأيمان بخالق واحد موجد لهذا الكون ولا شريك له في ملكة يجب صرف العبادة كلها له والخضوع والتزلل لهذا الإله الخالق الرازق ووجوب أفراده وحدة بالعبادة والإيمان باليوم الأخر ويوم الحساب والجزاء والثواب والنعيم المقيم في الجنة والعذاب والعقاب الأليم في نار الجحيم .

وذلك مثل الديانة اليهودية التي جاء بها موسي عليه السلام ومثل الديانة المسيحية التي جاء بها عيسي عليه السلام ومثل الدين الإسلامي الذي جاء به محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم رحمه للعالمين وكان هذا الدين خاتما لجميع الأديان السماوية فلا وحي بعد نبوه محمد عليه الصلاة والسلام ولا نبوة تأتي من بعده

*** الفرق بين الدين الوضعي والدين السماوي :**

لمزيد من الإيضاح يجب أن نذكر شيئا عن الفرق بين الأديان الوضعية والأديان السماوية وفي الحق انه توجد فروق كثيرة بينها نذكر من هذه الفروق ما يأتي :-

١- أن الدين السماوي دين قائم علي وحي الله تعالي إلي البشر بواسطة رسول يختاره الله منهم أما الدين الوضعي فهو جملة من التعاليم وضعها البشر لأنفسهم واتفقوا عليها واصطلحوا علي التمسك بها والعمل بما فيها أنها تعاليم إنسانية ناشئة عن تفكير الإنسان نفسه

٢- الدين السماوي يدعو دائما – وباستمرار – إلي وحدانية الله تعالي واختصاص هذا الواحد بالبعادة فلا يخضع المرء إلا لله ولا يستعين إلا به ولا يذبح إلا باسمه جل شأنه – أما الدين الوضعي فانه يقدس الأحجار والأصنام ويجيز تعدد الآلهة فيجعلها كثيرة ومتغايرة بل قد تكون متنافرة ومتخالفة مثل اله الخير واله الشر أو اله الحرب واله السلم

٣- الدين السماوي ينزه الإله المعبود عن مشابهته لخلقه ، فالله عز وجل لا يشبه شيئا من مخلوقاته لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله قال تعالي " قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد "

أما الدين الوضعي فانه يجيز الإله بشرا مثلهم أو حيوانا أو حجرا يعبدونه ويخضعون له ويقدمون له القرابين والهدايا ، فقد عبد بعض الناس الشمس وعبدوا العجل واتخذوا فرعون الذي قال لهم " أنا ربكم الاعلي " إلها وعبدوه وخضعوا له وهو بشر مثلهم وعبدوا الأصنام والأوثان كما فعل مشركوا مكة قبل رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

ولا يزال الناس حتي هذا القرن العشرين عصر العلم والحضارة والمدنية يقدسنون بعض الأشخاص ويتقربون إليهم ويعبدون البقر وكما

هو حاصل اليوم في الهند وغيرها مع أن هذه الآلهة كلها التي عبدها ويعبدها البشر من دون الله لا تستطيع أن تخلق شيئا ولا أن توجد. اضعف المخلوقات بل أنها لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا يقول الله تعالي " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الدين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنفذوه منه ضعف الطالب والمطلوب "

٤- الدين السماوي بالنسبة لمسائل العقيدة غير قابل للنسخ والتبديل أو التغير فعقيدة الرسل جميعهم واحدة فيما يتعلق بالله تعالي وصفاته والرسل وعصمتهم واليوم الأخر وما يكون فيه من ثواب أو عقاب وان الخالق عند جميع الرسل واحد وان هذا الخالق تجب عبادته واختصاصه جل شأنه وحده بهذه العبادة.وان هذا الإله يجب أن يثبت له جميع صفات الكمال وان ينزه عن جميع صفات النقص وانه سيحاسب الناس جميعا علي أعمالهم ويجازيهم عليها أن خيرا فالجزاء خير وان شرا فالجزاء شر وكل هذا قدر مشترك بين جميع الأديان السماوية أما الدين الوضعي فالمعبود فيه قد يتغير من جيل إلي جيل ومن قبيلة إلي اخري

٥- الدين الوضعي يلازمه النقص وعدم الكمال ذلك انه من وضع الإنسان والإنسان لا يمكنه أن يحيط بجميع حاجات البشر ومتطلباتهم المتجددة دائما - أما الدين السماوي فهو دين كامل انه تام شامل لأنه من وضع خالق السماوات والأرض الذي لا يغيب عنه صغيرة ولا كبيرة والذي يحيط بكل شيء علماً والذي هو علام الغيوب يعلم جل شأنه السر واخفي من السر .

- **الدين أمر ضروري للإنسان**

يذهب جمهور الباحثين في تاريخ الأديان إلي أن الدين أمر ضروري للإنسان لا تستغني عنه جماعة بشرية مهما كانت بدائيه وان فكرة التدين ملازمة للإنسان وموجود فيه منذ نشأته .

لهذا لا نجد أمه من الأمم قد استطاعت أن تعيش بدون عقيدة يستوي في ذلك الشعوب المتقدمة ألتي خطت خطوات فسيحة في سبيل الحضارة والمدنية ، والشعوب المتخلفة حضاريا .

يقول الأستاذ العقاد " ففي الطبع الإنساني جوع إلي الاعتقاد كجوع المعدة إلي الطعام " .. ثم يقول حق لا يقبل المراء أن الحاسة الدينية بعيدة الغور في طبيعة الإنسان (١)

وقد اتفق علماء مقارنة الأديان علي تأصيل العقيدة الدينية في طبائع بني الإنسان من أقدم أزمنة التاريخ . (٢)

يقول العالم المؤرخ الدكتور / سليم حسن دلت البحوث العلمية البحتة حتي ألان علي أن لكل قوم من أقوام العالم عامة – مهما كانت ثقافتهم منحطة – دينا يسيرون علي هدية ويخضعون لتعاليمه (٣)

ويقول العلامة الدكتور / محمد عبد الله دراز أن فكرة التدين فكرة مشاعه لم تخل عنها أمه في الأمم في القديم والحديث ورغم تفاوتها في مدارج الرقي ودركات الهمجيه وأنها أقدم في المجتمعات من كل

١- الله للعقاد صـــ ١٤ طبعة دار المعارف الطبعة الثامنة
٢- المصدر السابق صـــ ١٥
٣- الأديان في القران الكريم صـــ ١١ للدكتور / محمود بن الشريف طبعة رابعة دار المعارف بمصر

حضارة مادية وأنها كانت تعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس ثم يقول أن فكرة التدين في جوهرها ليس هناك دليل واحد علي أنها تأخرت عن نشأة الإنسان (١)

ويقول صاحب معجم لاروس للقرن العشرين أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتي أشدها همجية وأقربها إلي الحياة اليحوانية .. (٢)

ويقول ارنست رينان أن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه وان تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحي التدين بل سيبقي حجة ناطقة علي بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنية للحياة الأرضية .. (٣)

ويقول هنري برجسون لقد وجدت وتوجد جماعات بلا علوم ولا فنون ولا صناعة ولكن لا يمكن أن توجد جماعة بدون ديانة (٤)

مما تقدم نستنتج أن الدين أمر ضروري ولازم للإنسان وانه اصل ثابت وقديم وطريق سلكة البشر منذ نشأتهم ، وان كان هذا التدين وعبادات الاقدمين قد اختلفت صورها باختلاف العصور والبيئات .

١- الدين للدكتور / دراز صـ ٨٣ ، ٨٤

٢- دائرة معارف القرن العشرين جـ ٤ صـ ١١١ طبعة ثالثة

٣- المصدر السابق جـ ٤ صـ ١١

٤- منبعا الاخلاق والدين صـ ١٢٣ ترجمة سامي الدروبي واخر طبعة دار العلم للملين طبعة ثانية

- **تطور العقيدة :-**

هل تطورت العقيدة الإلهية فكان التوحيد هو خاتمة المطاف في رحلة البشر العقيدية ؟ أو كان هو منبعها وأساسها واصلها الأصيل ؟ .. وهل كان بداية التدين خرافات وأوهام ثم أوثانا وتعدد الهة إلي أن كان التوحيد نهاية تلك الأطوار ؟

يقول الدكتور / دراز انقسم الباحثون في الموضوع إلي شعبتين عظيمتين تسيران في خطين متعاكسين ففريق منهم يذهب إلي أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وان الإنسان اخذ يترقي في دينه علي مدي الأجيال حتي وصل إلي الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته ، حتي زعم بعضهم أن عقيدة الإله الأحد عقيدة جد حديثة وأنها وليده عقلية خاصة بالجنس الثاني .

هذه النظرية نادي بها أنصار مذهب التطور التقدمي أو التصاعدي الذي ساد في أوربا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم . وحاول تطبيقه علي تاريخ الأديان عدد من العلماء منهم " سبنسر " " وتيلور " و فريزر " ودوركايم وغيرهم .. وان اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صور العبادة الأولي وموضوعها .

وفريق أخر يقرر بالطرق العلمية بطلان هذا المذهب ويثبت بالعكس أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر مستدلا بأنها لم تنفك عنها امة من الأمم في القديم والحديث فتكون الوثنيات أن هي إلا أعراض طارئة أو أمراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة (١)

١- الدين د / محمد عبد الله دراز صـ ١١٢

وهذه هي نظرية فطرية التوحيد واصالته التـي انتصـر لهـا جمهور من علماء الأجناس وعلماء الإنسان وعلماء النفس ومن اشـهر مشاهيرهم" لانج " الذي اثبت وجود عقيدة الإله الاعلـي عنـد القبائـل الهمجية في استراليا وإفريقيا وأمريكا ومنهم " شريدر " الذي أثبتها عند الأجناس الارية القديمة و "بروكلمان" الذي وجدها عند السـأميين قبـل الإسلام " ولروا " "و كاترفاج " عند أقزام أواسط إفريقيا "وشميدث " عند الأقزام وعند سكان استراليا الجنوبية الشرقية وقد انتهي بحث "شميدث" هذا إلي أن فكرة الإله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يهدون من أقدم الأجناس الإنسانية . (١)

ثم ساق الدكتور / دراز من الأدلة المنطقية والبراهين الموضـوعية ما نقد به المذهب التطوري واثبت أن التحليل النفسي وشواهد التـاريخ والتطور الصحيح لا يقف شيء منها في صف الدفاع عـن النظريـات الموسومة بالتطورية والتي تجعل الخرافة والأسطورة هي بداية الأديان ويقول الدكتور / جواد علي : ... ورأي رجال الدين أن – الناس كانوا امة واحدة في الدين وكانوا علي التوحيد جميعا ثم ضلوا فعبدوا جملـة الهة وصاروا مشركين أما غيرهم من العلمـاء الـذين يسـتندون إلـي الملاحظات ودراسة أحوال القبائل البدائية وعلي فروع العلوم الاخـري المساعدة مثل علم النفس وعلم الاجتماع فيـرون أن عقيـدة التوحيـد ظهرت متأخرة بالقياس إلي ظهور الوثنية والشرك ، ظهـرت بعـد أن توسعت مدارك الإنسان فشعر أن ما كان يتصوره مـن وجـود قـوي روحانية عليا في الأشياء التي عبدها لم يكن سوي وهم وخداع

١- الدين د/ دراز صـ ١١٢ ، ١١١٣

وصار يقتصد في الشرك إلي أن اهتدي إلي عبادة الله (١)

ولقد تحدث الأستاذ العقاد عن أطوار العقيدة الإلهية في كتابه " الله " وساق رأي علماء المقابلة بين الأديان الذين حددوا وأطوارا ثلاثة عامة مرت بها الأمم البدائية في اعتقادها بالآلهة والأرباب وهي دور التعدد ثم دور الترجيح ثم دور التوحيد وقال أن التطور في الديانات محقق لا شك فيه ولكنه لم يكن علي سلم واحد متعاقب الدرجات . (٢)

ثم أورد رأي علماء المقابلة من أن التوحيد هو نهاية تلك الأطوار كافة فيقول ... التوحيد فهو نهاية تلك الأطوار كافة في جميع الحضارات الكبري فكل حضارة منها قد أمنت باله يعلو علي الآلهة قدرا وقدرة وينفرد بالجلاله بين أرباب تتضاءل وتخفت حتي تزول أو تحتفظ ببقائها في زمرة الملائكة التي تحف بعرش الإله الاعلي .

لكن الأديان الكتابية – بعد كل هذا – هي التي بلغت بالتوحيد غاية مرتقاه ، وعلمت الناس شيئا فشيئا عبادة الإله الأحد الذي خلق الوجود من العدم ووسعت قدرته كل موجود في السماوات والأرض ولم يكن له شريك في الخلق ولا في الفضاء (٣)

كما نجده يقرر في النهاية رأي هؤلاء العلماء من أن ديانة الشمس كانت الخطوة السابقة لخطوة التوحيد فيقول فديانة الشمس كانت الخطوة السابقة لخطوة التوحيد الصحيح لأنها اكبر ما تقع عليه العين وتعلل به الخليقة والحياة فإذا دخلت هي أيضا في عداد المعلولات فقد أصبح الكون كله في حاجة إلي خالق موجد للأرض والسماء والكواكب

١- تاريخ العرب قبل الاسلام د/ جواد علي جـ ٥ صـ ٦٠
٢- الله للعقاد صـ ٣٢
٣- المصدر السابق صـ ٣٢ ، ٣٣

والأقمار وينطبق هذا الترتيب تمام الانطباق علي فحوي قصة إبـراهيم في القرآن الكريم (فلما جن عليه الليل رأي كوكبا قال هذا ربـي فلمـا افل قال لا أحب الافلين . فلما رأي القمر بازغا قال هذا ربي فلما افـل قال لان لم يهديني ربي لاكونن من القوم الضالين فلمـا رأي الشـمس بازغه قال ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم إني بريء مما تشـركون ، إني وجهن وجهي للذي فطر السموات حنيفا وما أنا مـن المشـركين وحاجة قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون (١)

واستدلال العقاد بهاتين الآياتين السابقتين الشريفة السابقة يومي إلي انه يجنح إلي هذا الرأي الغربي وألا لما استدل عليـه بهـاتين الايتـين الكريمتين ولما قال قلبها وينطبق علي الترتيب تمـام الانطبـاق علـي فحوي قصة إبراهيم (٢)

ثم أن استدلال العقاد وغيره من العلماء بهذة الآيات علي تطـور العقيدة استدلال في غير محله وذلك لان إبراهيم عليه السلام لـم يكـن شاكا في عقيدته ، ولم يكن حائرا في الإيمان بموجود الله تعالي الواحـد الأحد ، ولم يكن يؤمن بأن الكواكب والشمس والقمر آلهة .. وإنما وجد إبراهيم عليه السلام في وسط قوم يعبدون هذه الأشياء ، فأراد أن يقـيم الأدلة العقلية المأخوذة من الحس علي بطلان هذه العقيدة ، وعلي بطلان عبادة الكواكب التي يدين بها قومه ، فاستدرجهم عليه السلام إلي الإيمان بالإله الواحد الذي خلق السماوات والأرض وأبدع هذا الكون الجميل

١- سورة الانعام الايات من ٧٦، ٧٩

٢- الله للعقاد صـ ٣٦

الفسيح بعد أن أبطل عقيدتهم في الإيمان بالكواكب و الشمس و القمر لأنها أشياء تغيب وتزول و لا يصح للإله أن يغيب ويأفل (١)

هذا علاوة علي أن سياق النظم القرآني ، وسياق الآيات الشريفة يدلان علي أن إبراهيم عليه السلام كان مؤمنا ، و انه كان ينعي علي أبيه وقومه الإشراك بالله ، ويبين لهم ضلالهم وبعدهم عن الطريق المستقيم وصدر الآيات ونهايتها يدلان علي ذلك حيث يقول الله عز شأنه في نفس السورة وفي صدر القصة : (وإذ قال إبراهيم لأبيه أن اتخذ أصناما آلهة أني أراك وقومك في ضلال مبين (٢) ... وفي نهاية الآيات يقول الله تعالي علي لسان إبراهيم عليه السلام أني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (٣)

ومن هنا نري أن التوحيد أمر فطري تميل إليه النفوس البشرية بطبيعتها حيث خلقها الله جل شأنه علي هذا الاستعداد الفطري حيث يقول جل شأنه (فطرة الله التي فطر الناس عليها) (٤) أي خلقهم علي هذه الطبيعة وبهذه الصفة وأما الانحراف عن التوحيد فأمر طاريء علي الفطرة وعلي الطبيعة البشرية والإنسانية ويشهد لهاذ قول الرسول صلي الله عليه وسلم (كل مولود يولد علي الفطرة فأبوه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (٥)

١- مقارنة الاديان د/ عوض حجازي صــ ٤٢
٢- سورة الانعام اية ٧٤
٣- سورة الانعام اية ٧٨
٤- سورة الروم اية ٣٠
٥- رواه مسلم صــ ٥١٢ جــ ١٥ طبعة الحلبي

ومن هنا فان الكتب السماوية متفقة علي أن الجماعة الأولي لـــم تتـــرك وشأنها تستلهم غرائزها وحدها – بغير مرشد ومذكر – بل تعهدتها السماء بنور الوحي من أول يوم ، فكان أبو البشر ادم عليه السلام هـــو أول الأفذاذ الملهمـــين وأول المـــؤمنين الموحـــدين وأول المتضـــرعين الأوابين (١)

١- مقارنة الاديان د/ عوض حجازي صـــ ٤٣

• الفصل الثاني

النظريات المفسرة لنشأة الدين عند الإنسان البدائي

أولا : النظرية الروحية :

أن الذي تزعم النظرية الروحية هو العالم الإنجليزي : "ادوارد تايلون" وقد عرض لمذهبه هذا في كتابه الثقافة البدائية وتبعه في هذا "بولدون سبنسر" في كتابه مباديء علم الاجتماع ويزعم هذان العالمان أن الإنسان البدائي بدأ أولا بلا دين ثم حدث أن تكونت لديه شيئا فشيئا فكرة وجود روح أو نفس إنسانية وذلك علي اثر رؤية الأحلام في منامه ، ومن ثم توصل إلي الاعتقاد بوجود روح للإنسان خالطا بذلك ما يراه في الحلم بما يراه في الحياة الواقعة وبعد أن توصل إلي وجود روح خلع عليها قوي خارقة للعادة ، وسار شيئا فشيئًا نحو تقديسها وعبادتها (١)

فالرجل البدائي وجد انه عندما ينام يحلم بأنه زار مكانا بعيدا لم يكن قد رآه من قبل أو انه قابل شخصا يسكن في منطقة نائية فإذا استيقظ من نومه اعتقد انه قد زار فعلا هذا المكان الشاسع أو البعيد أثناء نومه خالطا بذلك بين الحقيقة والخيال ولكنه من ناحية أخري يجد أن جسمه لم ينتقل من المكان الذي كان نائما فيه . ومن ثم بدأ يعتقد أن الإنسان مكون من الجسم المادي الذي لم ينتقل وظل في المكان الذي كان نائما فيه وجسم أخر متصل به يتركه أثناء النوم ويستطيع أن يذهب إلي أمكنه بعيدة ساحقة ومن هذين الجسمين يتكون الشخص الإنساني ولكن الجسم

١- انظر الدين والمجتمع درسات في علم الاجتماع الديني صـ ١٤٣ د/ حسن شحاتة سعفان الناشر مطبعة دار التأليف بمصر سنة ١٩٥٨ وانظر تاريخ الاديان

الأخر الذي ينتقل أثناء النوم يمتاز عن الجسم المادي بمزايا كثيرة فهو سريع التنقل ولا يعرف الحدود التي يعرفها الجسم المادي فهو يستطيع أن يقطع المسافات البعيدة في لحظات ، كما يستطيع أن يمر من خلال الحواجز والجبال والبحار والأنهار ، وهي الحواجز التي لا يستطيع الجسم المادي أن ينفذ من خلالها ، كما يستطيع الخروج من الجسم المادي والدخول إليه من خلال فتحاته المختلفة كالأنف والفم فهو والحال هذه مصنوع من مادة دقيقة خفيفة أثيرية تختلف عن المواد التي نراها ونعهدها وهذا الجسم هو الروح أو النفس . (١)

وهذه الروح هي سر الحياة لأنها عند ما تترك الجسم في حالة النوم ، فانه يتسبب عن خروجها منه ضعف الحياة أو شللها وعندما يموت الإنسان فان النفس تترك الجسم الإنساني ، فالموت يشبه النوم في أن الروح أو النفس تترك الجسم الإنساني في كليهما ولكن انفصال النفس عن الجسم في حالة الموت انفصال ابدي لا رجعة فيه ، وأما الانفصال في حالة النوم فهو انفصال مؤقت فإذا انفصلت الروح عن الجسد في حالة الموت فأنها تنتشر في الفضاء ويكون لها مطالب وحاجات وانفعالات كلاجسام التى كانت متصله بها ومن ثم فهى تستمر علي اتصال بالأجسام التي كانت متصله بها بلامس وتعمل علي نفعها أو الأضرار بها وحسب الذكرى التي تحفظها منن الفتره التي قضتها وهي مقرونه بها فهى أذن تستطيع أن تقوم بعمل الخير كما تستطيع أن تقوم بأعمال شريرة كما تستطيع أن تدخل أجسام الأحياء لكي تنفعها أو

---

١ – انظر الاجتماع الديني مفاهيم النظرية وتطبيقاته العملية د/ احمد الخشاب صـ ١١١ ملتزم الطبع مكتبة القاهرة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤

توقيها أو تدمرها وتؤدى إلي اضطرابها ومن ثم فهي التى تسبب الأمراض وهي التي تسبب بالعكس المواهب التي يمتاز بها بعض النــاس ومن هنا بدا الناس يخطبون ود هذه النفوس أو الأرواح كما بدأوا يعملــون علي تهدائتها عندما تكون غاضبه خانقة ومن هنا أيضا بدأ الناس يعبــدونها ويقدمون لها القرابين والأضاحي ويقيمون لها الأذكار(١)

وعلى ذلك نجد أن أصحاب هذه النظريه يعتقدون أن المــوت هــو الــذي يحول هذه القوة من مجرد نفس تعتبر مبدأ الحياة والنشاط الحيوي إلي روح تضر وتنفع وتسيطر وتقوم بالتصرف في الأحياء ومن ثم كانت أول ديانــة نشأت عبارة عن عبادات لأرواح الأجداد ، المتوفين لأفراد القبيلة ، كما أن أول طقوس دينية نشأت – كما يري – أصحاب النظرية الروحيــة كانــت طقوس الموتي والطقوس الجنائزية كما أن أول اضحيات كانت عبارة عــن قرابين غذائية يقوم بها البدائيون لاسترضــاء أرواح المــوتي ، وإقنــاعهم بالعمل علي تقديم المنافع ومنع الأضرار ، كما أن أول مــذابح أقيمــت – (أمكنة تقديم القرابين والأضاحي) كانت القبور (٢)

ولكن كيف أمكن الانتقال من هذه المرحلة وهي مرحلــة تقــديس أرواح الموتي إلي مرحلة تقديس مظاهر الطبيعة من شمس وقمر وجبال انهار ، ونجوم ؟ أي كيف تمكن الإنسان البدائي من الانتقال من عبــادة أرواح الأجداد المتوفين إلي تقديس الأشياء الاخــري غيــر الإنســانية وعبادتها ؟

وللإجابة علي هذا التساؤل نجد هنا تفسيرين مختلفين

١- تاريخ الاديان وفلسفتها صـــ ٦٦

٢- علم الدين والمجتمع صـــ ١٤٤

التفسير الأول : " لتايلور" . **والثاني :** لهربرت اسبنسر ، إذ يذهب تايلور إلي أن الرجل البدائي له عقلية كعقلية الأطفال ومن ثم فهو يخلط بين الجمادات والأشياء الحية وعلي ذلك فهو إذ وصل إلي أن الإنسان مكون من جسم مزود بنفس أو روح إنما انتقل من هذا الاعتقاد إلي الظن بان الأشياء الاخري منن جمادات وحيوانات ونباتات وظواهر كونية إنما هي الاخري مزودة بأرواح ذات قوي خارقة للعادة ومن ثم اعتقد أن بالأنهار قوي تسيرها ، وان مظاهر الطبيعة من شمس وقمر ونجوم وجبال وغيرها كلها مزودة بأرواح تستطيع كالأرواح الإنسانية تقوم بأفعال خارقة للعادة كما تستطيع أن تضر وتنفع . وعلي ذلك بدأ يقوم بعبادتها وتقديم الطقوس لها وذلك علي نحو ما فعل مع الأرواح الإنسانية (١)

أما اسبنسر فانه كان يعتقد بالعكس أن الرجل البدائي يستطيع كالحيوانات الراقية أن يميز جيدا بين الأشياء الحية والأشياء غير الحية أو الجمادات ، وعلي ذلك فهو يأتي بتفسير أخر لمشكلة انتقال الإنسان من تقديس أرواح الموتي من الأناس إلي تقديس الأشياء ومظاهر الطبيعة ذلك أن القبائل البدائية – فيما يري اسبنسر تسمي أفرادها أحيانا بأسماء بعض الأشياء الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم أو النباتات والحيوانات ثم حدث بعض ذلك وبعد تطور طويل أن نسيت هذه القبائل أن الأسماء التي كانت تطلق علي أفرادها القدامي ليست إلا أسماء استعارية ومن هنا اعتقدت تلك القبائل أن هؤلاء الأجداد القدامي كانوا حيوانات

١- انظر الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان صـ ١٤٠ د/ محمد دراز

أو نباتات أو نجوم بمعني الكلمة بشكل حقيقي لا مجازي .

ومن هنا بدأ الناس يقومون بعبادة هذه الأشياء ويقومون بتقديم القرابين لها علي غرار ما كانوا يقومون به إزاء أرواح الأجداد والموتي من الأناس أي انتقال الناس من تقديس أرواح الموتي من الأناس إلي تقديس مظاهر الطبيعة و الأشياء الأخرى ، وقد تم بناء علي سوء فهم أو خلط من جانب المجتمعات البدائية بين الأسماء الحقيقية والاستعارية .(١)

ثانياً : النظرية الطبيعية :-

وأيضاً من النظريات المفسرة لنشأة الدين : النظرية الطبيعية .. لقد كانت الأسرار تحيط بالإنسان من كل جانب و تكنفه الغوامض من كل حدب الغوامض الكامنة في هذا الكون الفسيح المليء بالأسرار والعجائب الباهرة .

وهذا ما دعا العلماء إلي التأمل و النظر في عجائب هذا الكون الشاسع ، وقد انقسموا في ذلك إلي فريقين : الفريق الأول وعلي رأسه "ماكس موللر "ويرى هذا الفريق أن العامل الأول في إثارة الفكرة الدينية هو النظر و التأمل في مشاهد الطبيعة ، ولاسيما الأفلاك و العناصر ، ذلك أن التأمل في هذا المجال الغير متناهي يجعل الإنسان يشعر بأنه محاط من كل جانب بقوة ساحقة غلابة يخضع الجميع لتأثيرها ولا قدرة لهم علي تحويل سيرها أو تعديل نظامها فيتكون عنده من ذلك شعور يتألف من دهشة و إعجاب يري فيه الكون أشبه بالمعجزة . وفي الحق لهو أكبر المعجزات فإنه لاشيء أقل طبيعة من الطبيعة نفسها .(١)

١- الدين صـ ١٢٠

وقد اعتمد " ماكس موللر "في تفسيره لهذه النظرية علـــي كتـــب الفيـــدا الهندية القديمة فمن خلال الدراسة العميقة لهذا الكتاب تبين له أن أسماء الآلهة المسطورة في الفيدا تشبه أسماء الآلهة المســطرة فـــي أســـاطير الأقوام الأرية الأخري ٠ فأله النار الذي كانت له منزلة سامية بين آلهة الفيدا يسميه الهنود " أجني " وهذه الكلمة تدل علي مادة من مواد الكون وهي النار ولها شبيه في اللغات الهندية القديمة الأوربيـــة ففـــي اللغـــة اللاتينية توجد كلمة " أجنيس " وفي اللغة السلافية القديمة كلمة "أوخـــي" ٠٠٠٠٠إلخ٠

استدل "ماكس موللر " من هذه الأسماء المتشابهة التي تدل علـــي مظاهر الطبيعة النار و السماء والنور استدل بهـــا علـــي أن الأقـــوام الهندية الأوربية جميعاً كانت تدين بدين واحد في مهد نشأتها ثم تفرقـــت واحتفظت بأسماء الآلهة التي كانت تعبدها (١)

ولقد لبثت النار حيناً من الدهر أهم آلهة الفيدا جميعاً فلقد ظهـــرت للإنسان البدائي في صور مختلفة من شهاب لامع بنقض عليه من أعلي السماء من احتكاك حجرين أو غصنين يابسين أو علي أي صورة كانت ، وكانت تلك النار تحمل معها أحياناً الموت و الدمار ، وأحياناً تقدم لـــه ألواناً من السعادة و الحياة الطيبة تدفئة شتاء و انارت له الطريـــق فـــي الليل و عاونته علي أكل لحم غير نيىء ، ثم اتخذ النـــار – بعـــد ذلـــك وسيلة لصنع الآلات و الأسلحة ٠بل أصبحت النار شرطاً هاماً لكل تقدم فني وعملي ٠(٢)

١– تاريخ الاديان وفلسفتها صـــ ٧٣ ، ٧٤
٢– نشأة الدين صـــ ٧٣ د/ النشار

وكما ويقول " دوركايم " في كتابه " الأشكال الأولية للحياة الدينية " أن ماكس موللر لأجل أن يدعم رأيه استند دائماً إلي الملاحظات النفسية فرأي أن ما عرضته الطبيعة من مناظر متنوعة انطوت علي جميع الأسباب التي أدت إلي انبثاق الفكرة الدينية و أثارت الطبيعة في نفوسهم دوافع الخوف العظيمة البالغة الدهشة وما برحت في نظرهم مبعث خوارق و معجزات ٠(١)

وكذلك نجد أن " ماكس موللر " يستند في تدعيم هذه النظرية علي فكرة اللامتناهي ٠ فيقول " ان حواسنا تدلنا علي ماله نهاية ، ولكن ما بعد النهاية وتحتها ، وحتى في داخل النهاية نري أبدا اللانهاية ماثلة لنا تضغط علي حواسنا ومع ذلك فإننا لا نستطيع فهم كنهها ولا الاحاطة بها ٠ أن ما ندعوه نهاية في الزمان والفضاء هو ستار نلقيه علي اللانهاية ، وما هي إلا موضوع بحث كل دين وقبل الفيتشية ، وقبل تعدد الآلهة ، وقبل جميع الأديان كانت الناس اللانهاية ٠ ولما كانت الحواس هي التي أرشدتنا إليها وأشعرتنا بوجودها فما من شك في أن الديانة نتيجة رقي الحواس و دقتها ، كما هي الحالة في العقل نفسه ٠(٢)

وقد يعترض بعضهم ويقول أننا لا نري أثراً للفظ اللانهاية في المجتمعات المتأخرة فكيف تدين بها ؟ فيرد " موللر" بقوله " أن – داموكريت " ما كان يعرف من أسماء الألوان سوي الأبيض والأسود و الأحمر و الأصفر ٠ ذلك معناه أن الأقدمين كانوا لا يرون زرقة السماء ؟ أن السماء كانت زرقاء كما هي عليه اليوم غير أنهم لم يجدوا

١- تاريخ الاديان وفلسفتها صـ ٧٤

٢- علم الاجتماع الديني صـ ٥٩ تأليف يوسف باسيل

اللفظ المعبر عن احساساتهم ٠ وهذه هي حالة الإنسان في أول أمــره ، فلقد شعر بشيء لا يستطيع التعبير عنه تماماً ، وأخذه وجل دفعــه إلــي تكريم هذا المجهول ، وحاول من ثم أن يوجد أسماء له ، فأخذ يـدعوه بــأصوات متقلقلة ، وهو لا يعرف إلي غايته سبيلا فكانت هذه المحاولة أولي الخطوات في طريق الديانة (١)

وقد اعتقد "ماكس موللر" أن الناس عبــدوا اللانهايــة فــي كــل العوامل الطبيعية الدالة عليها فعبدوها في الشمس تارة وفي البرق أخري ، وفي النهر ثالثة ولم تعبدها في جميعها جملــة ٠ غيــر أن الإنســان البدائي وهو في باديء أمره لم يحسن التعبير عن مراده فالتبست علــي الأذهان حقيقة الإله المعبود وتوهم الخلف أن العوامل الطبيعيــة نفســها هي الآلهة وما هي في الأصل إلا رموز إلي اللانهايــة فعبــدوا هــذه الأشياء ودانوا بها فكان تعدد الآلهة ٠(٢)

وهكذا نجد أن "ماكس موللر " قد اعتقد أن الطبيعة هي التي أثارت الفكرة الدينية لدي الإنسان البدائي – لقد كان هذا الإنسان يــري القمــر صغيراً ثم يكبر ثم يعود صغيراً كما بدأ ورأي النهر يجري باســتمرار من جهة إلي أخري ولا يعلم الإنسان من أين يأتي؟والي أين يذهب؟ومع ذلك يجرى دفاقا بالماء الطهور الذي به حياه الحيوان والإنسان والنبات بقوة لا تنتهي ولا يمكن تجفيف قاعه ورأى البحر ممتدا أمامه لا نهايــة له والسماء بعظمتها وجلالها منصوبة فوق مثــل القبــة وهــى مزينــه بالشمس والقمر هذه المظاهر الطبيعية الكبيرة ولدت في نفس الإنسان

١- الاجتماع الديني يوسف باسيل صـــ ٦٠
٢- المصدر السابق صـــ ٦٠

البدائي الشعور بالضعف والصغر أمامها وهي محيطه بـه ومسيطرة عليه وعلي مشاعره فخضع للطبيعة وذل لها وحاول إرضائها بالعبادة والتقرب إليها بتقديم القرابين والاضاحى _ وهكذا انبثقت الأديان من هذا الشعور لقد استحوذت تلك القوه الخارقة علي عقل هذا الإنسان ففكر فيها وخضع لها وهذا أمر لا سبيل إلي إنكاره (١)

وكذلك اعتمد (ماكس موللر) في تأييد نظريته علي اللغة : فقد ادعي أن الذي جعل الإنسان البدائي يؤله قوي الطبيعة هو اللغة فقد تصور البدائي عندما سمع كلمة النهر يجري ، والشمس تطلع ، والريح يئن أو يزمجر .. الخ . أدت هذه الكلمات إلي أن تتشابه الحادثات الطبيعية بالأفعال البشرية ، وادي هذا التشابه إلي أن تصور البدائيون أن المظاهر الطبيعية بعض الشخصية ولقد كان ذلك تشبيه أو استعارة غير أن البدائيين اعتبروه حقيقة واقعة وجعلوا المظاهر الطبيعية أرواحا وتصوروا أن هذه الأرواح – القدسية هي التي تقوم بالحاثات الكونية . (٢)

وبعد أن بينا رأي موللر في النظرية الطبيعية وهو يمثل الفريق الأول .. ننتقل إلي الجزء الثاني من النظرية الطبيعية .. ورائده هو العالم الإنجليزي " جيفونس " الذي ظن أن مجرد النظر في الطبيعة بصفة عامة هو منشأ العقيدة الدينية – بيد إن الظواهر العادية كما يري جيفوس غير كافية لإيقاظ تلك الفكرة الدينية . فهي مألوفة من كثرة تكرارها ، وبالتالي لفقدانها لعامل الإثارة في بصر وبصيرة المشاهد

١– تاريخ الاديان وفلسفتها صـ ٧٣
٢– نفسه صـ ٧٥

ومن هنا فلا حاجة له للبحث عن تفسير لها .. ولكن الذي يحتاج إلي تفسير هو هذه المظاهر العنيفة من هذه الطبيعة مثل الحوادث الأرضية المفاجئة وذلك كالزلازل والبراكين والطوفان ، والفيضان والعوارض السماوية التي تؤدي إلي اضطراب النظام الكوني العادي مثل الرعد والبرق والعواصف والصواعق والخسوف والظواهر المعتلة مثل أوبئة والأمراض والمجاعات والهجمات الضارية من الحيوانات المفترسة وما إلي ذلك فهذه المظاهر غير المألوفة لها تأثيرها علي المشاعر كشبح يأتي حينما يريد ويذهب عندما يرغب في ذلك ، وليس لأحد عليه من سلطان (١)

وقد أثارت هذه الظواهر دهشة الإنسان البدائي فشعر بالميل إلي التسليم بوجود قوي اقوي مما في العالم الحسي ، وانه عن طريق أو بواسطة هذه القوي يمكن أن يفسر الكون وظواهره بمعني إن – الإنسان البدائي قد اعتقد أن هذه الظواهر الطبيعية قوي مخيفة يمكنها أن تنزل به النكبات والكوارث في أي وقت (٢)

ومن هنا وتحت تأثير الخوف والرهبة من مظاهر الطبيعة وكائناتها أذن انبعث ولاء الإنسان لقوي أو كائنات خافها أو ظن أنها قادرة علي دفع الخوف والرهبة من نفسه فحرص علي التقرب لها ليتقي شرها ويضمن نفعها ويقدر عطفها عليه ، فأصبحت جميع قوي الطبيعة وكائناتها آلهة تعبد ، ما ينفع عبده الإنسان البدائي ليضمن نفعه ، وما

١- الدين صـــ ١٣١

٢- نفس المصدر صـــ ١٣١

يؤذي عبده ليأمن إذاه ويتقي شره ، وهذا ما يقرره الاكثرون من ناقدي الأديان . (١)

تلك كانت النظرية الطبيعية التي عرضنا لها وسوف نناقشها فيما بعد .

*** ثالثا : النظرية النفسية :-**

تتخلص الفكرة العامة في هذه النظرية في انه لأجل الوصول إلي العقيدة الدينية لم يكن الإنسان في حاجة إلي التأمل في مظاهر الطبيعة ، ولا في عالم الأرواح ، بل أن تجارب الإنسان النفسية في حياته العادية المألوفة له في كل يوم كانت كافية لتوجيه نظره بقوة إلي تلك الحقيقة العليا وهي العقيدة الدينية ومن اشهر أنصار هذه النظرية هو الفيلسوف الفرنسي "أوجست ساباتيه " من أصحاب الإسهامات النفسية والدينية المعروفة فقد حاول في مؤلفه المعروف بفلسفة الدين أن يبين لنا أن العقيدة الدينية قد أسست علي بعض العوامل النفسية .

فقال : أن العقيدة الدينية تتولد في الإنسان منذ نعومة أظفاره علي اثر شعوره بمناقضة جوهرية بين إحساسه وإرادته ، وهما القوتان اللتان تتولد منهما حياة النفس في ابسط صورها (٢)

ويقول : اوجست مما ياتبه ان حياتنا النفسية في الحق قائمة في جوهرها علي حركتين متضادتين أحداهما من الخارج إلي الداخل (أي من المحيط إلي المركز) .. والاخري من الداخل إلي الخارج (أي من المركز إلي المحيط) فالحركة الأولي تمثل تأثير الأشياء بواسطة الإحساس (وتلك حالة انفعال النفس وقابليتها) والحركة الثانية تمثل

١- الله للعقاد صـ ٣١ ، ١٢

٢- علم الاجتماع الديني صـ ١٣٥ للدكتور زيدان عبد الباقي دار غريب للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٨١

مجاوبة النفس علي الأشياء بتوسط الإرادة (وهذه هي حالة تأثير النفس وفاعيلتها) . غير أن هاتين الحركتين لا تتطبقان تمام الانطباق ولـــيس بينهما تكامل وتساند ، فكثيرا ما يتغلب الإحساس والعاطفة علي الإرادة وكثيرا ما تصطدم الإرادة بعقبات خارجية تستطيع التغلب عليها .

وهذه الاحباطات المتوالية وتلك المنازعات المستمرة بين الــنفس وبين العالم الخارجي هي المصدر الأول لكل ألوان الآلام ، ولكنها فـــي الوقت نفسه هي منبع النور ومنارة العقل ومركز الشـــعور ، ذلـــك أن ارتداد الموجة إلي مركزها يولد في هذا المركز حرارة تشبه الحـــرارة الناشئة عن حركة العجلة علي محورها ، ثم لا تلبث هذه الحـــرارة أن تبعث شرارة ضوئية تضيء جوانب الوجدان وتجعله في حالـــة يقظـــة واستعداد كامل للعمل وتلك هي حالة الوعي وانتبـــاه البصـــيرة والتـــي تصبح فيها النفس مدركة ومدركه أي حاكمة ومحكومة معا كما لو كانت بمثابة كائنين في ذات واحدة احدهما هو النفس المثالية والأخر هو النفس المكبوتة الواقعية (١)

وما دامت كل حالة من حالات الولادة تكون مصحوبة مـــن المولـــود ، والوالدة بالصراخ والآلام والبكاء والدموع التي قد تكون ناتجة عن الألم أو معبرة عن الفرح ...

ثم يقول سابتية بعد ذلك ولو أننا تابعنا هذه الملاحظة في سائر الحـــالات النفسية لوجدنا كلا منها تولد في حالة متناقضة مع الاخري وتغني فـــي تناقض أخر وعلي سبيل المثال : الرغبة في العلم تبدأ بالاعتراف

١- الدين صـــ ١٤٣

بالجهل والرغبة في الاستمتاع تنتهي بالتقزز كأنها تحمل في نفسها بذور فنائها فان شدة الحرص علي السعادة تـؤدي إلـي الـذهاب بالراحـة والمطأنينة والرضي ، كما تزيد من شدة الألم (١)

وهنا يتساءل ساباتية بقوله : أين المفر ؟

ويجيب علي ذلك بقوله : بأن من الخطأ اعتماد الناس علي تقدم العلـوم الطبيعية في إنقاذهم مما يعانونه من البؤس والحرمان ذلك أن العلم بدلا من أن يخفف من وطأة ذلك التناقض القديم يزيد فـي حـدتها ويشـحذ سلاحها الفتاك . ذلك أن كل اكتشاف علمي يضيف حلقة جديـدة إلـي سلسلة الأسباب الضرورية ، التي يحتاج إليها نظام الأشياء في اتسـاقه وثباته ، فتزداد القيود علي الحرية قيدا يحيط - بالإضـافة - إلـي مـا يحيط بأعناقنا من قيود ولا نزال نتقدم في هذا الاتجاه حتي نصـل إلـي التناقض العام بين العلم والعمل بين التفكير والحركة بين قوانين الطبيعة وقوانين الأخلاق وهكذا نعيش - في داخل نفوسنا - حربا داخلية بـين القدرات والاستعدادات النفسية تلك الحرب التي تنتهي إلي شعور باليأس من جدوي تلك الحياة . (٢)

من هذه المعركة النفسية الداخلية اليائسة ينشأ التـدين كـان هـذه ألازمة تفتح في صخرة الطبيعة شقا تنفجر منه مياه الحياة . ولكن لـيس معني ذلك أن الدين يقدم لنا حلا نظريا لمشكلة الحرب الداخليـة داخـل ذات أو نفس المتدين لان الحل الذي يقدمه لنا التدين هو في الواقع حـل عملي محض فالتدين لا يفتح لنا بابا جديدا للمعرفة . بل يعود بنا عمليا

١- علم الاجتماع الديني صـ ١٣٧

٢- الدين صـ ١٤٤

إلي المبدأ الذي اقتبسنا منه وجودنا ويمنحنا الشعور بالثقة والأيمان بمبدأ الحياة ونهايتها . ومنزلة هذه الثقة في عالم الماديات تشبه منزلة غريزة حب البقاء غير أنها صورة اسميَ من تلك بمعني أنها في عالم الماديات تسير بقوة قاهرة عمياء ، بينما في عالم النفس نراها تهتدي بنور الشعور وبصيرة الإرادة المفكرة - كما أنها من جهة أخري تستند إلي حقائق موضوعية وتعتمد علي شعور ملازم لكل فطرة إنسانية وهو شعور التبعية ، المطلقة لقانون الوجود العام . (١)

نعم من ذا الذي يستطيع التخلص من هذا الشعور ؟ وحظنا في الحياة قد حددت صورته دون تدخل منا في هذا التحديد ، وكتبت علينا الحياة في مكان ما علي سطح الأرض وفي زمن لم نشترك أيضا في تحديده ومنحنا مقادير معينة من القدرات والاستعدادات النفسية والعقلية ولم نحظ بفرصة اختيار - ولا نقول تقدير - بعضها .. ومن جهة أخري فإننا لا نعرف في أنفسنا - ولا في أي مجموعة أخري - من الكائنات السبب الكافي لوجودنا ، ولا غايته النهائية التي يمكن لعقولنا أن تدركها . ومن ثم نجد أنفسنا مضطرين - لا مختارين - إلي البحث عن السبب في وجودنا ، والغاية منه خارج نفوسنا ، أي في الوجود العام لهذا الكون النهائي وما فيه ما نعرف - ومما لا نعرف - قليلا أو كثيرا . وما التدين - والحالة هذه - إلا الاعتراف بهذه التبعية في تسليم وخضوع . (٢)

هذا الشعور بالتبعية - كما يري ساباتبيه هو الأساس التجريبي

١- المصدر السابق صـ ١٤٤
٢- المصدر السابق صـ ١٤٤

للعقيدة الإلهية ويضيف انه بالرغم من عدم وضوح أو عدم اكتمال فكرة الألوهية في عقولنا فان موضوعها لا يفلت قط من شعورنا فالإله موجود معنا ، بل ويفرض نفسه علينا شيئا أم أبينا من خلال هذا الشعور حتي انه يسوغ لنا أن نضع هذه المعادلة الحسابية بيقين وهي : أن شعورنا بالتبعية المطلقة هو شعور بحضور السر الإلهي فينا وذلك هو الينبوع الذي تفيض منه الفكرة الإلهية بقوة يستحيل الوقوف في مواجهتها .

ويتساءل سابتيه عن كيفية قبول العقل الإنساني لهذه التبعية لمبدأ الحياة العالمية ؟ هذا العقل المتسامي الذي يري نفسه من طبيعة غير طبيعة باقي أعضاء الجسم وما يرتبط بها من أشياء خارجية كما يري أن من اخص خصائصه هو أن يفهم وظائف تلك الأعضاء ، كما يدرك الأشياء الخارجية ويتحكم فيها و يسخرها لما يريد ، و الإنسان بفضل العقل – كما يقول " باسكال " ليس إلا قصبة ضئيلة ولكنها قصة مفكرة حتى أن الكون لو سحقه سحقاً ، لكان هو أنبل من الذي يسحقه لأنه يعرف أنه مسحوق ، علي حين أن الكون لا يدرك من أمور نفسه شيئاً .(١)

وترتيباً علي ذلك فإن المبدأ العالمي الذي يخضع له الإنسان ليس هو ذلك الكون المادي – كما يقول أصحاب النظرية الطبيعية – بل الروح العالمية التي تدبره . وذلك لأن المنطق يقول : " أن القوة العاقلة لا تخضع إلا لسلطان قوة عاقلة تسيطر عليها وعلي العالم كله علي السواء ، وهكذا نجد الحياة العقلية التي كانت قد اقتحمت بالنزاع بين الشعور الذاتي والتجربة الخارجية تكمل و تختم بحد ثالث جامع ينتظم الحدين معاً :

١- المصدر السابق صـ ١٤٥

وهو الشعور بخضوعها جميعا لهذا السلطان الأعلى ٠(١)

وهكذا تبين لنا من خلال عرض تلك النظرية هذا التحليل الرائع المعقول والمنطقي الذي قدمه لنا "٠ أوجست ساباتييه " لكيفية انبثاق الفكرة الإلهية ولكن روعه ودقه هذا التحليل تجعله لا ينطبق إلا على الأديان السماوية فحسب ٠ لقد وقف سباتييه أمام هذه الملاحظة ورد على أصحابها بقوله أن الذين يعترضون على هذا التحليل أنما يبرهنون على عدم إدراكهم لهذه المتناقضات الواقعية في حياتنا اليومية من بدايتها إلى نهايتها ولذلك فأنه لكي يتحقق المرء من هذة المتناقضات ويقاسيها ليس بحاجه إلى أن ينتظر حتى يسير فليسوفا .

أن هذه المتناقضات تتجلى في كل العقول –على اختلاف مستوياتها من الثقافة والمعرفة وأنها في نفوس البدائيين الذين ترعبهم تقلبات الجو في وسط الأحراش ليست بأقل منها في نفوسها حين تضطرب أفكارنا أمام " لغز الكون " أو ظاهرة الموت أو غير ذلك من الظواهر ، فقد يختلف التعبير ونوع الشعور ٠٠ ولكن الهزة الدينية التي تزلزل الكيان الإنسان هي في جوهرها شيء واحد لدي الجميع ٠ فكل منا حين يكف عن التفكير في عجزه وجهله وفنائه ٠٠ وحين يجمع أمره – صابراً مستسلماً ٠ علي أن يقضي الحياة كما هي يشعر مرغماً بزفرة يفيض بها صدره ، وتكاد تنطق بها شفتاه ، وتلك هي في الحقيقة فاتحة للدعاء وللمناجاة أي مناجاة المبدأ العالمي .(٢)

١- المصدر السابق صـ ١٤٥
٢- المصدر السابق صـ ١٤٦

رابعاً : النظرية الاجتماعية :-

وزعيم هذه النظرية العالم الاجتماعي الفرنسي " أميل دوركايم " هذا العالم يرفض النظريات السابقة (الروحية – الطبيعية ، النفسية) ويبين لنا أن خير وسيلة لتفسير ظاهرة معقدة ، بل وشديدة التعقيد مثل الظاهرة الدينية يجب ان ندرس الجزور التي نبعت منها وذلك قبل ان تخلط بعناصر غريبة عنها .

وفي ذلك يقول " أننا نحاول أن نتناول بالدراسة أبسط الديانات البدائية كما هي معروفة واقيعاً ، وكما توجد في مجتمع لم يسبقه أي مجتمع آخر من حيث البساطة " ولذلك أستقر رأيه علي أن المجتمعات أو الأمم البدائية ، والتي تتوقف الأشكال الاجتماعية فيها عند مستوي القبيلة (١)

وتلك القبائل في نظر دوركايم هي قبائل الأرونتا معه قبائل استراليا التي تمثل أبسط المجتمعات البدائية واعتبر " دوركايم " العشيرة بمثابة النواة الصغرى للمجتمع البدائي و أن قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها – وهو لقب يشتق في النادر من أسم مظهر من مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر أو النهر أو الأرض ٠٠ ويشتق في الغالب من اسم حيوان أو نبات حيث تعتقد هذه العشيرة أن لها به صلة قديمة حيوية أو روحية وذلك علي أساس اعتقادها بأنها تسلسلت منه أو كان حامياً لها أو كان حليفاً لجدها الأعلى أو ما إلي ذلك ٠ ومن هنا كان أفراد هذه العشيرة يعظمونه ويرسمون صورته علي أجسامهم ومساكنهم و أدواتهم و أسلحتهم و راياتهم ٠٠ بل ويعتبرونه " هوية " لكل منهم (٢)

١- انظر علم الاجتماع الديني " زيدان عبد الباقي " صـ ١١٩
٢- انظر الدين والمجتمع د/ حسن سعفان صـ ١٧٥

هذا النظام يسمى نظام الطوطم أو اللقب الأسري وهو نظام معـرف فـي الشعوب القديمة (المصرية والإثيوبيـة والعربيـة واليونانيـة والرومانيـة والغالية)وتوجد أثار منها في الأساطير الشعبية في أوروبا إلى يومنا هذا ولا يزال منتشر في القبائل غير المتحضرة في أمريكا واستراليا وهذه الأخيـرة فيما يعتقد " دور كايم " هي أخصب مكان لدراسة هذه الظاهرة لان سكانها اقل تطورا واقرب إلي الطبيعة الأولي من غيرهم ولذلك استمد منها الوقائع التي بنى عليها نظريته (١)

وخلاصة هذه النظرية أن تلك الشعوب في تعظيمها لألقابها تعظم في الوقت نفسه مسمي تلك الألقاب التي يتمثل في الطوطم وهم ينسبون إليه خصائص عجيبة ، فيزعمون انه يحقق النصر علي الأعداء ويساعد المرء في تسـديد السهم إلي رميته ، وان صورته إذا وضعت علي الجروح فسرعان ما تلتئم إلي غير ذلك إلا أن هذا التقديس للطوطم لا يصل إلي درجة العبـادة فـي الأحوال العادية وإنما يأخذ التدين حقيقته ومعناه التام عنـد تلـك الشـعوب البدائية في مواسم خاصة تقام فيها الحفلات المرحة الصاخبة التي يطلقـون فيها العنان لرقصاتهم العنيفة وصيحاتهم علي إيقاع الطبول . وينتهي بهـم هذا الحماس الصاخب إلي نوع من الدهول والهذيان وربمـا نسـبوا هـذا التطور العجيب إلي حضور سر الأجداد فيهم عـن طريـق هـذا الرمـز " الطوطم " المنصوب أمامهم وهكذا يبررون تقديسهم له الرمز وعبادتـدهم للروح التي يرمز إليها ظنا منهم أنها هي التي أحدثت فيهم هـذا التحـول الروحي الغريب .(٢)

١- انظر الدين د/ محمد دراز صـ ١٦٠

٢- المصدر السابق صـ ١٦١

وهنا نجد أن " دور كايم " يحاول تفسير هذه العبادة بقوله أن البدائيين لا يعبدون في الواقع الرمز أو الطوطم ، وإنما يعبدون ما يرمز إليه وهو وحده العشيرة ، فمن طبيعة هذه الاجتماعات الدينية أن تنسلخ النفوس فيها عن شخصياتها الفردية وتفني في شخصية واحدة هي شخصية الجماعة ، ويخلص " دور كايم " من ذلك إلي أن الجماعة أو الشعور بوحدة المجتمع هو مبدأ التدين وغايته أي أن الجماعة بمظاهر الحياة الدينية المختلفة إنما تعبد نفسها من حيث لا تشعر .(١)

وعلي ذلك تستطيع القول بان " دور كايم قد وصل بنا إلي النتيجة التالية :- أن الطوطم تمثال المعبود ، وتمثال العشيرة وقت واحد وبتعبير أخر أن معبود العشيرة في المجتمعات الطوطمية هو العشيرة بذاتها . إذا لو كان المعبود والعشيرة شيئين مختلفين لكان الشعار الذي يمثل المعبود يختلف عن الشعار الذي يمثل العشيرة نفسها ، ويستنبط من ذلك أن العشيرة بتقديسها للطوطم تقدس نفسها أي تعبد نفسها (٢) ولكن كيف قدس الأفراد العشيرة واعتبروها معبودا ؟..

ويجيب دور كايم علي ذلك بقوله : أن البشر الأول كان يعيش في العزلة . وذلك لان موارد المعيشة وحالة المناخ لم تكن لتساعداه علي تكوين الجماعة وكانت الأسرة تأوي إلي الكهوف وكانت تعيش علي الحيوانات التي تصطادها . وفي بعض الأحيان كانت تضطر إلي أكل بعض أفرادها ، وعندما تحسنت أحوال المناخ وكثرت حيوانات الصيد وتوفرت أسباب المعيشة تكونت الجماعة وتعاونت فيما بينها للتغلب علي

١- المصدر السابق صـ ١٦١

٢- طه الهاشمي تاريخ الاديان وفلفستها صـ ١٠٢

مشاكل الحياة . عند ذلك شعر الأفراد والأسرات بما قدمته لهم حياة الجماعة من خير في التعاون علي الصيد والانتفاع من موارد - الطبيعة والدفاع عن النفس . لان الاجتماع من شأنه أن يولد الشعور بقوة قاهرة يستحيل علي الأفراد والأسرات منعزلين أن ينالوها والأفراد والأسرات بتعاونهم واجتماعهم يستطيعون أن يتغلبوا علي مشقات الحياة فتصطاد الضواري ، وتنتفع بما تقدمه الطبيعة من موارد المعيشة ، والاجتماع يولد الشعور والإدراك بين الأفراد وإذا كان للاجتماع هذا التأثير العظيم في تأمين الفوائد المادية والمعنوية للأفراد ترتب علي ذلك تقديس هؤلاء الأفراد للجماعة ما دامت تلك الجماعة مصدر الخير المادي والمعنوي ورأوا في الاجتماع قوة قدسية تسيطر علي الأفراد (١) .

وكان النظم الطوطمي وسيلة لترويض الأفراد علي هذا التقديس والإجلال لتقوي أصرة ارتباطهم بمجتمعهم ويسلس لهم قيادهم للحياة الاجتماعية وما تفرضه من نظم وقواعد فكان المجتمع نفسه هو أول اله عبده بنو الإنسان في نظر دور كايم (٢)

ولكن إذا كانت العشيرة أو المجتمع هي في الواقع الإله نفسه وهي المركز الذي يتجه نحوه النشاط الديني ، فلماذا لا يعبد البدائيون المجتمع أو العشيرة مباشرة ؟ ولماذا يمثل الأفراد المجتمع الذي يعبدونه في صورة حيوان أو نبات (طوطم) ولماذا يقيمون العبادة لهذه الأشياء ، وليس للعشيرة أو المجتمع ؟ يزعم أنصار تلك النظرية أن فكرة العشيرة فكرة معقدة بالنسبة للرجل البدائي الذي لا يستطيع عقله البدائي فهمها أو تمثلها بسهولة ، بل أن

١- المصدر السابق صـ٢٠٣

٢- الانسان في ظل الاديان د/ عمارة نجيب صـ ٤١

البدائي لا يفهم أن هذه الأنواع من الشعور القوي مصدرها المجتمع وكل ما يشعر به هو انه في تجربته الدينية يحس بإحساسات غير عادية ، ويرتفع بهذه الإحساسات عن الإحساسات العادية أما عن السبب في انه يعلق هذه الأفكار الدينية بحيوانات أو نباتات فذلك لان المجتمع يحمل اسم الحيوان أو النبات ، ويتخذ منه إشاراته واخذ الحيوان والنبات ليكون طوطما لأنها أشياء من السهل رؤيتها ورسمها وهي مختلطة بأفراد العشيرة ومعهم ، ولم يقع الاختبار علي الشمس والقمر لأنها بعيدة عنهم وليست في متناول أيديهم بعكس الحيوان والنبات (١)

مناقشة ونقد للنظريات المفسرة لنشأه الدين عند البدائي :-

١- نقد ومناقشة النظرية الروحية :-

وبعد أن عرضنا لأهم النظريات المفسرة لنشأة الدين البدائي ننتقل بعد ذلك إلي مناقشة تلك النظريات ونقدها :-

فنجد أن النظرية الروحية قد لقت نجاحا كبيرا وأصبحت النظرية الرئيسية في علم الاجتماع الديني ، ولكن مع هذا النجاح العظيم نجد أن الانتقادات قد وجهت إليها من كل جانب ومن ابرز الذين وجهوا إليها الانتقاد هو العالم (الفرنسي أميل دور كايم)ومعظم هذا النقد ينصب علي نظرية الأحلام التي يفترض ادوارد تايلور أن الرجل البدائي يقيم عليها نظرية النفوس ونظرية الأرواح . ثم نظرية الدين ما السبب الذي يدفع الرجل البدائي إلي أن يهتم كل هذا الاهتمام بالأحلام بحيث يحاول أن يقيم تفسيرا نظريا لها ؟

من المعروف أن الذي يثير فكر الرجل البدائي ومخيلته علي السواء هو المسائل الخارقة ، والمشكلات الطارئة ، والمطالب المهمة والحاجات

١- انظر الدين والمجتمع صـ ١٦٠ د/ سعفان

الحيوية العملية ، بينما تمر الأحداث العادية المألوفة في حياته اليوميـــة دون أن تثير فيه ادني رغبة في البحث والتنقيب عن عللها أو تفسيرها ، فهي لا تحتل أذن موضوعا هاما في تفكيره ، والأحلام من هذا النوع الأخير مـــن الأحداث ثم كيف يخفق الإنسان مهما بلغ من البدائيـــة ، والتـــأخر فـــي أن يكتشف بعد أن يستيقظ انه كان فريسة للوهم والخداع أثناء نومه ؟

الم يكن من السهل عليه أن يذهب إلي صديقه الذي رآه في الحلم فيسأله عما إذا كان قد زاره بالفعل ، وسوف يعرف حينئذ انه لم يقم بزيارته ، وانه كان هو الأخر يحلم في نفس الوقت بأشياء أخري بعيدة ومختلفة كل الاخـــتلاف وبذلك يدرك انه قد اخطأ ، وانه رأي في الحلم شخصا لم يـــأت إليـــه . إلا يكفي هذا لهدم فكرة اجتماع روحه بروح صديقه ؟ وهـــل كـــان للإنســـان البدائي الوقت الكافي أو العقل الكافي ، لوضع حلول للرؤيا والتفلسف .(١)

ثم يذكر فيما يلي نقد دور كايم لهذه النظرية الروحية فنجده يقول ولنقبل جدلا أن فكرة الروح يمكن إرجاعها إلي فكـــرة الشـــيء المـــلازم للجســـد (القرين) ، ولنري كيف تكونت فكرة القرين . لقد أوحت تجربة الحلم تلك الفكرة ، فظن الإنسان انه مركب من وجودين ليفسر كيف استطاع أن يري نفسه في النوم في محلات بعيدة بينما ظن جسمه في محله : الوجـــود الأول الجسد والوجود الثاني (ألانا) الثانية التي تستطيع الانفصال عن العضوية التي تحل فيها والتجول في الفضاء ، بيد انه لأجلي أن يقتنع البدائيون بـــأن فرضية القرين أمر لابد منه يجب عليهم إلا يفكروا إلا بها إذ انه ينبغـــي أن يروا أن التفكير فيها أكثر سهولة واقصر طريقا بينما توجد هنـــاك أفكـــار بسيطة يستطيع البدائي أن يستعرضها في فكرة . مثال ذلك : لماذا لا يفكر

١- انظر تيلور صـــ ١٤٩ تأليف احمد ابو زيد طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٧

النائم أن له خاصية تجعله يري من بعيد . ويبدو انه كان من الأسهل علي البدائي أن يتصور بان له تلك المقدرة بدلا من إقحام نفسه علي أن يتصور مفهوما شديد التعقيد والغموض ، كمفهوم القرين غير المرئي والشفاف مما يتعسر معرفته بالتجربة وإذا كانت بعض الأحلام تساعد علي إيضاح النظرية الروحية فان اغلبها يناقضها .

ثم يقول دور كايم : أن أحلامنا في الأكثر تخص حوادث وقعت في الماضي قبل يوم أو يومين أو في أيام صبانا ... الخ .. ونري في الحلم أمورا كنا شاهدناها أو أجربناها ، وتحدث هذه الأحلام بكثرة وتحتل في الحياة الليلية مكانا مهما بعض الأهمية ، ومع ذلك فأنها لا توضح فكرة القرين . وهذا القرين يقدر أن يتجول في الفضاء ولكنه كيف يستطيع البدائي أن يفهم أن القرين يعمل معاكسا للزمان ؟ ومهما يكن – العقل البدائي متأخرا فانه بعد يقطته لا يتمكن من تفسير ما حلم به قبل برهة من حوادث يعرف أنها وقعت قبلا أو انه اشترك فيها . كيف يستطيع أن يعرف بأنه رأي في حلمه حياة يعرف جيدا انه عاشها قبل مدة طويلة ؟ وكان من الأفضل له أن يعتبر تلك الخيالات المتكررة خواطر لاحت له كالخواطر التي تتوارد إلي ذهنه في النهار ولكنها تجلت في نومه أكثر وضوحا . يضاف إلي ذلك انه يحدث كثيرا أن احد معاصرنا يلعب دورا في المرسح الذي نشاهده في النوم أو نشترك فيه ، وكما نري أنفسنا فيه نري أيضا احد أصدقائنا ونظن أننا سمعنا صوته . والنظرية الروحية تفسر ذلك بان قرين صديقنا زار قرين الحالم ، أو أن قرينه اجتمع بقرين صديقه . ولكن هذا التفسير يتلاشي حينما يجتمع الحالم بصديقه ويسأله عن تلك الحادثة فيتأكد منه أن الحادثة لم تقع . إلا يكفي هذا لنفي التفسير وقد نفته التجربة . ولا سيما إذا كان صديقه قد

رأي حلما في الوقت ذاته . ولكنه يختلف عما شاهده هو . إلا يؤيد ذلك أن – الصديقين لم يشتركا في مجري الحادثة وانهما زارا مكانين مختلفين وبما أن هذا التناقض في الأحلام يستمر فكيف يقتنع البدائيون بأنه ليس في الأمر خطاء ووهم ؟ ومن سذاجة التفكير الادعاء بان البدائي يصدق ذلك تصـــديقا اعمي . أن البدائي ينتبه في حالة اليقظة إلي أن احساساته تخدعه أحيانـــا . وكيف يعقل أن الاحساسات المذكورة تخطيء في النهار لا تخطيء في الليل ؟ ويستبان من ذلك أن كثيرا من الأسباب تحول دون اعتبار الأحلام حقيقـــة واقعة ، وأنها تحمل البدائي علي أنها تفسر الحالة الثنائية . (١)

وبهذا نستطيع أن نتبين بان الأحلام وهم وخداع وكذب وليست حقيقـــة واقعة . إذ كيف يعقل أن يبني البدائي فكرة التدين علي زعم لم يجد له مـــا يبرره ، وفضلا عن ذلك فان الأبحاث الانثروبولوجيـــة تؤكـــد أن الرجـــل البدائي لم يكن يهتم بالأحلام لهذا الحد ، ثم أن الأحلام لا تشـــغل إلا مكانـــا ضيقا في حياتنا إذ لا يحتفظ فيها إلا بصورة مشوشة مهتزة تزول بســـرعة بعد أن نستيقظ ، فكيف نتصور أن البدائي يبذل هذا المجهود الجبـــار كـــي يصل إلي تعليل معقول لها ؟ . ويبني علي ذلك عقيدة تأليه وتقديس للأرواح التي بلي أصحابها وماتوا من زمان .

يا لها من تفاهة تلك العقول .

إذ كيف يؤدي الموت إلي انتقال الروح من المجال العادي إلي مجال الأشياء المقدسة ؟

لقد زعم أنصار النظرية الروحية أن الروح لا تكن موضع عبادة إلا إذا انفصلت عن الجسد ، والموت في نظرهم هو الذي يجعل الروح مقدسة

١– طه الهاشمي تاريخ الاديان وفلفستها صـــ ١٠٧

وهذا تضليل ووهم وذلك لان الشعوب المتوحشة في استراليا في الوقت نفسه تعتقد بأن الروح تهرم مع هرم الإنسان الأمر الذي جعلهم يقتلون رؤساءهم ورجالاتهم قبل بلوغهم أرذل العمر وذلك كي تظل أرواحهم محتفظة بقوتها ونشاطها وكذلك يعتقدون بان الموت إذا حدث نتيجة مرض أو عجز فان الروح تصبح عاجزة لا قوة لها إلا يدل كل ذلك علي أن الموت بحد ذاته مصدر عجز وضعف لا منبع قوة ونشاط ؟ لهذا يتعذر تصديق فكرة تقديس الروح بعد موتها وإذا تعذر ذلك يتعذر أيضا الزعم القائل بان عبادة الأجداد نشأت من فكرة الأرواح ولو كانت عبادة الأجداد من مظاهر الدين الفطري فيتقضي أن نجد أثارها لدي الشعوب المتوحشة في استراليا التي مازالت تحافظ علي أوضاعها الاجتماعية المنحطة بينما نري أثار هذه العبادة لدي الأقوام التي تقدمت في الحضارة كالهنود القدماء واليونان والرومان .(١)

ومما يستحق الانتقاد الشديد في النظرية الروحية ادعاء تايلور أن عبادة الطبيعة نشأت من عبادة الأرواح وذلك بتعميم فكرة الروح إلي الحيوان فالجماد وزعمه أن البشر البدائي كالطفل يري سائر الموجودات علي مثاله فيتصور لها أرواحا ولكن زميله ومؤيد نظريته سبنسر اعترض علي رأي تايلور هذا وتساءل نري أن القط حينما يلاعب الفار ويري انه لا يتحرك مدة طويلة يلكزه بمخلبه لكي يحمله علي الحركة ويظهر من ذلك أن القط نفسه يدرك بان الفار حينما يضطهد يسعي لإنقاذ نفسه ، وإذا كان الحيوان يظهر هذا الإدراك فلماذا يحرم الإنسان منه مهما كان عريقا في

١- المصدر السابق صـ ١١٠

التوحش ؟ أن الادعاء بان البشر البدائي كان لا يستطيع أن يفرق بين الحيوان والجماد ، ثم بناء نظرية الانتقال من عبادة الأجداد إلي عبادة الطبيعة علي هذا الادعاء أمر لا ينطبق علي العلم . (١) وقد علل سبنسر انتقال البدائيين من عبادة الأرواح إلي عبادة الطبيعة وقال يشاهد أن البدائيين يحترمون الحيوانات التي تجوب في المقابر وحول المساكن ، ويتصورون بان أرواح الموجودات حلت بها . أن هذا الاقتناع كان فيما بعد احد العوامل التي أدت إلي عبادة الطبيعة ويشاهد أن بعض القبائل تعبد الجبال والأشجار . وليس من شك في أن هذا الطور من التعبد ناشيء من أن الناس تصوروا أن الجبل الذي اعتبروه بموجب تقاليدهم القديمة جدهم الاعلي تناسلوا من صلبه ، ولهذا اخذوا يعبدونه كما يعبدون أجدادهم ومن المفيد الإشارة إلي أن سبنسر لم يستند إلي هذا التعليل وحده لإيضاح انتقال عبادة الأجداد إلي عبادة الطبيعة ، بل يذكر سببا أخر لذلك ويدعي أن العامل الحقيقي لعبادة الطبيعة هو الأسماء التي كانت مجازا ، ثم أصبح البدائي يعتبرها حقيقة . وهذا الرأي قد اعترض عليه دور.كايم أيضا (٢) وعلي ذلك نستطيع أن نقول لو صحت هذه النظرية لكانت الاعتقادات الدينية خرافات وتصورات لا تموت إلي الحقيقة بصلة ، فلا يبقي عندئذ اثر لما ندعوه علم الديانات لأن العلم لابد وان تشيد دعائمه علي الحوادث الطبيعية والحقائق التي لها وجود حقيقي لا علي الوهم والخيال وهذا ما حدث في النظرية الروحية أنها قامت علي الخيال والخداع والتضليل .

١- تاريخ الاديان وفلفستها صـ ١١٤
٢- المصدر السابق صـ ١١٤

ب- نقد النظرية الطبيعية :-

وبعد أن بينا أن النظرية الروحية تقوم علي الظن والتخمين وأنها مجرد فرض لم تصل إلي حقيقة علمية . تنتقل بعد ذلك إلي نقد النظرية الطبيعية . فنجد أن العلماء قد وجهوا إليها عدة انتقادات نجملها في الأتي :-

١- لقد أقام ماكس موللر نظريته علي أساس دراسة فيلولوجية (لغوية مقارنة) زعم فيها أنها تثبت أن اللغة الإنسانية الأولي في نظره - الهند وأوربية - كانت تحتوي علي أصول مقدسة للآلهة وكلها تشير إلي عناصر الطبيعة ومظاهرها . هذه النظرية تعوزها الدقة العلمية . وقد قام بنقدها عدد كبير من العلماء ، وبينوا أن هذه الأصول المقدسة ليست عامة ومشتركة في جميع اللغات فضلا عن انه لم يقم الدليل علي أن اللغة السنسكريتية تمثل اللغة البدائية الأولي للإنسان ، بل ذهب بعض العلماء إلي أن آلهة الفيدا التي اعتمد ماكس موللر عليها في أنها تدل من الناحية اللغوية علي معان طبيعية لا تتحقق فيها هذه الصفة الطبيعية بالذات (١)

٢- وقد استند ماكس موللر أيضا إلي أن التأمل في الطبيعة هو الذي بعث الإحساس باللانهائي فأيقظ بذلك الفكرة الدينية في الإنسان . وان الدين هو اللغة التي يعبر بها الإنسان عن هذا الشعور باللانهائي . والواقع أننا لو سلمنا بان التأمل في الطبيعة يوقظ الفكرة الدينية . فانه لا يوقظها عن طريق التعبير باللغة ولكن عن طريق التعبير عن الموجد أو المحرك للقوي المسيطرة علي هذه

١- الاجتماع الديني مفاهيمه النظير وتطبقاته العملية د/ احمد الخشاب صـ ١٠٧

الظواهر الطبيعية أو المكونة لهذه العناصر ، فكما أن الناظر في جمال اثر فني لا يقدر أن يمنع نفسه من التفكير في ذوق الفنان والناظر في دقة الإله المركبة ينتقل فكرة توا إلي مهارة المهندس ، كذلك التأمل في عظمة البدائع الكونية ينساق بطبيعته إلي التفكر في عظمة القوة العاقلة المدبرة لهذا الكون فالملاحظ من الناحية النفسية أن غريزة حب الاستطلاع لفهم الطبيعة والحاسة الوجدانية في التذوق الفني لما في الطبيعة من نظام دقيق يثير في الفرد الإحساس الديني وفكرة التأليه (١)

٣- يري بعض العلماء أن التدرج من الشعور الكوني إلي الشعور الديني لا يتم بمجرد التأمل في الظواهر الطبيعية التي تسير علي نسق واحد مطرد لا يلفت النظر ولا يحتاج إلي تدبر وتعليل وتفسير بل أن الإنسان البدائي حينما اتجه إلي الطبيعة لم يتجه إليها متأملا خاشعا ، وإنما اتجه إليها متحكما ، يحاول إخضاعها له ، ويحاول أن يحملها علي تحقيق رغباته ، وإذا كان قد قدم لها القرابين ، وأقام لها الصلوات ، فإنما فعل ذلك كي يتحكم فيها ويسيطر عليها بوسائل غير علمية . ولو فرض أن ملاحظة الظواهر الطبيعية الرتيبة تترك إحساسا في الرجل البدائي فان هذا الإحساس لا يتعدي إحساس الإعجاب ويجب أن نميز بين انفعال الدهشة والعجب من ناحية والشعور الديني الذي يمتاز بالرهبة والخشوع من ناحية اخري (٢)

٤- كذلك اعتمد ماكس موللر في نظريته علي فكرة اللانهائي . وهي فكرة خاطئة وذلك لان العقل البدائي لا يستطيع أن يتوصل إلي هذه

١- انظر الدين صـ ١٢١ د/ محمد دراز

٢- انظر نشأة الدين د/ علي النشار صـ ٨١

الفكرة عن طريق تأمل الظواهر الطبيعية نفسها ، لان العقل البدائي لا يمكن أن يجرد الأشياء الحسية الملموسة في الزمان والمكان بحيث يتصور اللانهائي اللامحدود ، بل أن العقل البدائي يتصور المعنويات والأرواح تصورا ماديا ملموسا ، في زمان وفي مكان ، فهو لا يدرك ما بعد الطبيعة وبالتالي لا يقدسها ، وهو لا ينظر إلي القوي المقدسة من ناحية اتساعها وشمولها ولا نهايتها ، بل من ناحية صفاتها التي تباين صفات الأشياء غير المقدسة .(١)

وعلي ذلك يمكننا القول بان فكرة اللانهاية ما كانت تخطر علي بال البدائي وما كان يعرفها إطلاقا فكيف يتدين بها ؟ ولذا نجد الأستاذ العقاد يقول : ويبدو لنا أن القول بادراك الهجمي لفكرة اللانهاية بعيد التصديق ، وانه لو كان قد أدركها قبل أن يتدين لتنزهت عقائده الأولي عن كثير من السخف الذي لا يجمل بتلك الحقيقة الكبري ولا يسلم من فساد الذوق ولا من العجز عن فهم العظائم التي تتجاوز أفقية الضيق ومعيشته المحدودة .(٢)

وأخيرا أن من اطلع علي ما أتاه علماء العمران في دراستهم للشعوب المتأخرة وقرأ أبحاث علماء النفس عن تطور العقل عند الأطفال أتضح له أن اللانهاية من الأمور التي تعجز العقلية الفطرية عن السمو إليها فالأولي يعتقد أن الأرض محدودة بحدود قبيلته ، والطفل يتوهم أن الكون صغير ينتهي عند الأفق ، حيث يبدو للنظر تلاصق

١- نشرة الدين د/ النشار صـ ٨٧
٢- العقاد في مؤلفه الله صـ ٢٤

الأرض والسماء وعلي الجملة أن فكرة اللانهاية هي فكرة حديثة ابتدعتها العلوم العقلية .(١)

٥- وأيضا من الأمور التي اعتمد عليها ماكس موللر في تدعيم نظريته الطبيعية اللغة كوسيلة للتعبير عن الشعور الديني أو الإحساس الذي تثيره مظاهر الطبيعة غير أن اللغة كثيرا ما تتضمن غموض وإبهام يؤثر في الفهم الديني فهما حقيقيا ، يتمثل هذا الغموض والإبهام اللغوي فيما يتعلق بالنواحي الدينية في الأساطير والخرافات التي تصور لنا الآلهة في المجتمعات القديمة ، فان مثل هذه الأساطير تخفي معالم الصور الواقعية للفكر الديني بوجه عام ، بل أكثر من ذلك نلاحظ أن الأساطير والخرافات تحوي وتنسب للآلهة أمورا لا تقرها القواعد الخلقية ، ولا الأوامر الدينية فمثلا نجد أن الاعتقاد في زيوس اعتقاد ديني طالما كان اليونان يعتبرونه الإله الاسمي حامي القوانين والشرائع والمنتقم من المجرمين ومع ذلك فانه ينسب إليه بعض النقائص وارتكاب بعض الجرائم وما يصدق علي تصور زيوس يصدق علي جميع الأساطير الممثلة فيما جاء في الإلياذة والاوديسيا .(٢)

٦- واهم اعتراض وجهة دور كايم إلي نظرية الطبيعة هو أن الشعوب البدائية الحالية كشعوب أمريكيا الأصليين ، واستراليا لا يعبدون المظاهر العظمي للطبيعة كالشمس والقمر والسماء والجبال والبحار ، بل يعبدون بعض الحيوانات الحقيرة كالضدفع والأرنب . وأما

١- الاجتماع الديني صـ ٦١ أ/ يوسف باسيل

٢- تاريخ الاديان وفلفستها صـ ١١٥

الذين يعبدون مظاهر الطبيعة المخيفة والعظيمة فهم الراقون في سلم الحضارة من شعوب أمريكا القديمة كالمكسيكين والاروبيون والهنود واليونان والرومان ، حتي أن عبده الكواكب فهم من المتقدمين في الحضارة بالنظر إلي الأقوام البدائية الحالية . فلو كانت المظاهر الطبيعية أول من نبه البشر إلي عبادتها لكانت الجماعات الأولي أول من عبدها واحتفظ بعبادتها . وهذا دليل أخر علي تهافت النظرية أمام النقد والواقع .(١)

جـ- نقد النظرية النفسية :-

وبعد أن بينا أن النظرية الطبيعية مجرد فرض لا تستند علي حقيقة علمية بل كل ما استندت عليه وهم وخيال . ننتقل بعد ذلك إلي نقد النظرية النفسية .

فنجد أن هذا التصوير الدقيق الذي صورته لنا هذه النظرية للفكرة الإلهية لا ينطبق إلا علي الديانات السماوية .

لذلك أحس أوجست ساباتييه بهذا فقال : أن الإنسان لا يحتاج لان يصبح فيلسوفا كي يلاحظ المتناقضات الأصلية في حياته اليومية فالهزة الدينية التي تهز الإنسان هي في جوهرها شيء واحد وكل واحد منا حين يفكر في عجزه وجهله وفنائه يشعر رغما عنه بزفرة يفيض بها صدره وتكاد تنطق بها شفتاه ، وما هي الحقيقة إلا فاتحة دعاء ومناجاة .(٢)

د- نقد النظرية الاجتماعية :-

يقول دور كايم لقد وجهت انتقادات كثير لتلك النظرية :

١- انظر تاريخ الاديان وفلسفتها صـ ١١٦
٢- انظر الدين صـ ١٤٦

أولا :انه ينبغي أن تدرس الظاهرة الدينية في أقدم عصورها وفي ابسط صورها وهذا المبدأ وان كان سليما في جملته ، إلا انه لا يصح أن نتخذ من بحث الظواهر الدينية البدائية قاعد .عامة ، تطبق علي حقيقة الدين في جميع صورها ، ولنضرب لذلك مثالا : فتقول أيحق لنا أن نحدد حقيقة الإنسانية من النظر في أول أطوار الجنين ، قبل أن تتميز أجهزته الخاصة وتتعين وظائف أعضائه وقبل أن يحيا حياة مستقلة ، قبل أن تستيقظ فيه ملكات الفهم والبيان وغيرها ؟ أن تحديد الدين بذلك الشعور الغامض الذي يتردد في ذهن الإنسان تطوره البدائي وهو بعد لم يتبين شعوره بشبة محاولة تعريف الإنسان بالجنين ولقد أصاب (هوفدنج) إذ يقول : انه ليس من المستطاع دائما أن نستقي معلومات كافية عن الطبيعة الحقيقية لكائن ما من مجرد النظر في تكوينه فان التغيرات والنظم التي تحدث له وتؤثر فيه أثناء نموه قد تبرز فيه صفات وخصائص ما كنا نري منها ادني اثر في بدايته . أن الطبيعة الحقيقية لكائن ما إنما يتكون من قانون تطوره منذ نشأتها الأولي إلي صورته النهائية (١)

ثانيا : وأيضا نجد أن دور كايم يقول أن قبائل استراليا الوسطي تمثل أقدم نظام معروف للقبائل وهذا الرأي لا يوافق عليه كثير من الباحثين ومنهم روبرت شميس الذي قام بدراسات دقيقة في استراليا . يقرر أن القبائل المذكورة هي أحدث القبائل .. الاسترالية وأكثرها تقدما وقد بين دور كايم نفسه في وصفه لحياة هذه القبائل أنهم قطعوا أشواطا واسعة

١- انظر الدين صـ ١٦٣

في التطور وذلك فيما يتعلق بنظامهم المادي والاقتصادي ويبدو ذلــك جليا فيما عندهم من قواعد الزواج ، والنسب والملكية وتنظــيم مواســم الصيد .. الخ .

فلماذا لا يكون نظامهم الديني قد تطور بالمثل ؟(١)

ثالثا : أما أهم اعتراض يمكن أن يوجه إلي هذه النظرية هو دعواها أن الدين خلقته الجماعة ليعود إليها بالتقديس والعبادة . أي أن الجماعة حين تقوم بالشعائر الدينية إنما تقدس نفسها ، وتقدس فكرة الحياة الجمعية .

فالحقيقة انه لا يكفي أن يقال أن الظواهر الدينية تحــدث فــي جماعــة وتختلف باختلاف الجماعات ، لإثبات أنها من خلق الجماعة ذاتها . ولا شك أن جانبا كبيرا من الظواهر الدينية وهو جانب الأنظمة والشــعائر العملية يعبر عن ثروات اجتماعية . ولكن هل هذا الجانب يعبــر عــن حقيقة الدين كلها ؟. أن دور كايم لا يكتفي بان يقول أن الدين إلزام أدبي يفرض به المجتمع علي الأفراد عقائد وعبادات بل يريد أن يكون هدف العبادة هو الجماعة نفسها وان يكون الشعور الديني في نفس الفرد مــا هو ألا انطباع إلي لصورة الجماعة في وعيه محوطة بها له من التقديس – لما للجماعة من فضل في قوام حياته والدفاع عن كيانه .(٢)

ونحن لا ننكر كل اثر للجماعات في شأن الأديان . فالــدين (كاللغــة وأسلوب التفكير والنظم التشريعية) احد المقومات الأساســية للمجتمــع ولا يستطيع احد أن ينكر أن الجماعة هي الحارسة لتلك المقومات وأنها

١- المصدر السابق صـــ ١٦٤

٢- المصدر السابق صـــ ١٦٨ صـــ ١٧٠

هي التي تنقلها إلي الأجيال المتتابعة ، غير أن المسألة ليست في صيانة الأديان القائمة وتخليدها ، بل في نشأة العقيدة وتكوينها .(١)

ثم لا ننكر ما لهذه الجماعة من اثر خطير في التمهيد لهذه النشأة والتمكين لها ، فالأمم حين تقف في مفترق الطرق بين القديم والجديد تستطيع أن تغير من مجري تاريخها بقبولها للدين الجديد أو برفضها إياه ولابد لمن يدعو لدين جديد أن يحسب إمكانيات أمته وحاجاتها وألا أصبح كمن يضع البذرة في ارض سبخة أو كالذي يعطي المريض طعاما لا تطيق أمعاؤه فلا يلبث أن يلفظة (٢)

بالرغم من اعترافنا بكل هذه العوامل الاجتماعية في نشأة الدين إلا انه لا يسوغ لنا أن نقول أن العقل الجمعي هو الذي يخلق الدين أو الأديان ويبرزها إلي الوجود . أن هذه العوامل كلها شروط ضرورية ولكنها ليست شروطا كافية كما يقول أهل المنطق ، وإذا كانت الأمم تخلق زعماءها أي تهي لهم فرصة الظهور فمن الحق أيضا أن نقول أن الزعماء تخلق أممها أي تقودها نحو حياة اجتماعية جديدة ومن هؤلاء الزعماء الرسل الذين يحملون رسالة روحية يؤثرون بها بوصفهم أفرادا علي حياة الجماعة كلها .(٣)

- تعقيب -

يبدو لنا جليا أن الدين لم ينشأ كظاهرة متطورة من الطواطم ودفع إليها دافع الخوف أو الحلم أو تعقل الحياة وفهمها أو نشأ نتيجة المصلحة الاجتماعية ، كما يري أنصار المذاهب السابقة في نشأة الدين ، تلك

١- المصدر السابق صـ ١٧١
٢- نفسه صـ ١٧١
٣- المصدر السابق صـ ١٧١

المذاهب التي طبقت مناهجها العلمية في تعليل نشأة الدين علي ما فيها من قصور ، ومع بعد المسافة الزمنية بين عصر الظاهرة وعصر الدراسة ولم تقدم تلك النظريات وثائق تاريخية مأمونة أو أدلة مادية قطعية الدلالة .

ولكننا نلاحظ أن كل ما استندت إليه هذه النظريات إنما هو مجرد ملاحظات ومشاهدات لقبائل بدائية متعاصرة ، وهذه المشاهدات يمكن أن تختلف من بيئة إلي بيئة ومن عصر إلي عصر ويمكن أن تكون ناشئة من أسباب تختلف تماما عن الأسباب الأولي التي تدين الإنسان الأول من اجلها

ثم أن المشكلة ليست من السهولة بمكان بحيث يمكننا أن ندلي فيها برأي حاسم ذلك لان العالم الذي نحاول تفسير دينه وتعليله كان كما قال احد العلماء محيطا مظلما لا يحد بلا تخم ، ولا بعد حيث الطول والارتفاع والاتساع ، وحيث الزمان والمكان جميعا ضياع وأيضا فان الأفكار في الدين البدائي أغض بكثير من أفكارنا ومثلنا وابعد منها علي التحديد (١) ولما كان الحال كذلك فان الآراء تضاربت وتصارعت حول نشأة الدين وليس واحدا منها يبلغ من الدقة مبلغا يجعلنا مضطرين إلي التسليم به .

وأيضا فان تلك النظريات السابقة تشترك جميعها في أن العقيدة الإلهية وصل إليها البشر بنفسه عن طريق عوامل إنسانية . سواء أكانت تلك العوامل من نوع الملاحظات والتأملات الفردية أم من نوع جنس التأثيرات والضرورات الاجتماعية اللاشعورية .(٢)

١- انظر فلسفة الحضارة صـ ١٤٢

٢- الدين صـ ١٧٢

ولكنا إذا تركنا تلك النظريات المفترضة والتي تعتمد علي الظن والتخمين ولم تستند إلي حقيقة علمية وذهبنا إلي المصدر الأصلي الذي لم تنله يد التحريف من بين سائر الكتب المنزلة وهو القرآن الكريم لنستقي منه معلوماتنا ألحقه الصحيحة فنجد انه يحدثنا أن التدين كان مصدره الوحي التدين الحق وانه الصورة الأولي التي عرفها الإنسان الأول ادم وتعلمها ووقف عليها وتأتي الآيات مبينه انه سبحانه مصدر التعليم لأدم وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم (١)

والخبر القرآني يتلخص في أن الله جل جلاله علم ادم الأسماء كلها .. وذلك هو إعطاؤه مفتاح اللغة ومفتاح الحياة في الوقت نفسه ولذلك كان قوله تعالي (خلق الإنسان علمه البيان) (٢)

تقريرا وشرحا وتأكيدا لهذه الحقيقة التي تفيد اعتماد الإنسان علي الخالق أوليات الأمر ولا يعقل كذلك أن يعلم الله الإنسان ، الأسماء ووظائفها وخصائصها ومراتبها ومنافعها ومضارها ولا يعلمه انه ربه الذي خلقه وانه يتعبده أو يطلب إليه أن يعبده وان يذكره ويشكره ويسير بين أخوته علي هدية وعلي قانونه (٣)

ومن هنا يحق لنا أن نقول أن البشرية بدأت علي الدين الحق والتوحيد المطلق لله رب العالمين والذي يقرره القرآن الكريم والسنة النبوية

١- سورة البقرة صـ ١٣ ، ٣٢
٢- سورة الرحمن صـ ٣،٤
٣- انظر الدين والتدين صـ ١٠ د/ محمد كمال جعفر

المطهرة أن ادم أبو البشر كان نبيا موحدا علي انقي صور التوحيد واصفاه وانه عرف حقيقة التوحيد كاملة وعرف طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (١)

وهذا اعتراف فيه رجوع و إنابة وفيه خضوع و تذلل للواحد الديان الذي خلقه من تراب ثم نفخ فيه من روحه و أسجد له الملائكة ٠

والذي لاشك فيه أن آدم عليه السلام أهبط إلي الأرض مسلماً لله متبعاً لهداه و أن الله أخذ عليه العهد هو و زوجه أن يتبعا ما يأتيهما من هدي ، و أن يبتعدا عن خطوات الشيطان إذ هو لهما عدو مبين ٠

قال تعالي : (فأما يأتينكم مني هدي فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى(٢)

والذي لاشك فيه أيضا أن آدم عليه السلام قد قام بنقل ما تلقاه من ربه إلي بنية وتعريفهم بإسلامه وعقيدته ، وتلقي بنوه هذه التعاليم بالقبول وتوارثوها جيلا بعد جيل و ظلت أجيال عدة بعد آدم لا تعرف إلا التوحيد النقي وإسلام الوجه لله ديناً ٠

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم علي شريعة الحق ، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين "(٣)

وعلي هذا نجد أن التوحيد أصل في البشرية به بدأت وعليه نشأت ، و أما الشرك والوثنية و الانحراف فهو شيء طارئ عليها ولا عجب فقد أخذ الله العهد والميثاق علي ذرية آدم منذ برأهم وهم لا يزالون في عالم الذر قائلاً

١- سورة الاعراف اية ٢٣

٢- سورة طه اية ١٢٣

٣- انظر تفسير بن الجرير ج٤ صـ ٢٧٥ تحقيق احمد شاكر

وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم علي أنفسهم الست بربكم قالوا بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين(١)

ومعني الآية أن الله تعالي قد أخذ علي البشرية عامة ميثاق الفطرة والعقل إذ استخرج من بني آدم من ظهورهم ذريتهم بطنا بعد بطن فخلقهم علي فطرة الإسلام وأودع في أنفسهم غريزة الإيمان وجعل المدركات الضرورية لعقولهم أن كل فعل لابد له من فاعل فعله لو لاه ما كان هذا الفعل وكل حادث لابد له من محدث وأن فوق جملة العوالم سلطانا يعلو جميع الكائنات وأنها خاضعة خضوعا تاما لهذا السلطان وهو سلطان الله تعالي الذي لا أول – لوجوده ولا نهاية له وهو وحده المستحق للعبادة ٠(٢)

و نستأنس بأخذ الميثاق علي الذرية بما ذكره الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي صلي الله عليه وسلم – قال : " يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة لو كان لك ما علي الأرض من شيء أكنت مفتديا به قال : فيقول نعم فيقول قد أردت منك ما هو أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئا فأبيت ألا أن تشرك بي ٠(٣)

وكما يؤيد هذا أيضا ما يرويه النبي – صلي الله عليه وسلم – عن رب العزة جل وعلا " أني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم جاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم و أمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا "(٤)

١- سورة الاعراف اية ١٧٢
٢- انظر تفسير المنار ج٩ صـ ٣٢٥ ، ٣٢٦
٣- اننظر البداية والنهاية لبن كثير ج١ صـ ٩٠
٤- رواه مسلم ج٨ صـ ١٥٩

وقوله – صلي الله عليه وسلم – " ما من مولود إلا يولد الفطرة فأبواه يهودأنه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " ٠ قال أبو هريرة راوي الحديث " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله " (١) ٠٠

وبكل هذا يعلم أن توحيد الله ومعرفته ، و الإسلام له ، كانت القواعد الأولي للتدين التي عرفتها البشرية في الأرض وبدأ به عهدها ٠ ولكن لما طال الأمد بذراري آدم قست قلوبهم و انحرفت فطرتهم واجتالهم إبليس فعبدوا الطواغيت والأصنام من دون الله ودانوا لشتي الأرباب المصنوعة والطواغيت الزائفة عند ذلك أرسل الله عز وجل – رحمة بالعباد نوحا عليه السلام يدعو قومه إلي عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام ٠ ثم توالت الرسل تترى ترد البشرية الزائفة إلى الرشد والحق وتعيدها إلى نقاء فطرتها واصل عقيدتها " وان من أمه إلا خلا فيها نذير "(٢)

ولكل ما تقدم من النصوص نستطيع أن نتبين أن الدين أمر فطرى في النفوس البشرية وانه ملازم للإنسان من يوم أن وجد على ظهر هذه البسيطة ويمكننا هنا أن نشير إلي أسس ثلاثة يقوم عليها القول بفطرية التدين:–

أولا:– من ناحية التأمل في أحوال الفرد مهما كان ملحدا وذلك أننا نجده متمردا على الاعتقاد بوجود الله طالما انه غارق في نعيم الله "أن الإنسان ليطغى أن أراه استغنى" (٣)

١– رواه البخاري ج ١١ صـ ٤١٨ ومسلم ج ١٨ صـ ٥٢
٢– تاريخ الدعوة د/ جمعة الخولي ج١ صـ ٢٣
٣– سورة العلق اية ٦ ،٧

فإذا أدركته نعمة الله – ليصحو من غفلته – بنقمه قارعة تتبدد بها وسائل – الاستغناء عن الله كأن يتعرض لحريق عاصف أو غرق يائس فان الحوائل التي كانت تحول بينه وبين فطرته تسقط تلقائيا ، ويجد نفسه وجها لوجه أمام حقيقة الاعتراف بوجود الله ويصرخ مناديا يا رب .

ثانيا :- من ناحية التأمل في أحوال الشعوب وذلك أننا نجد الشعوب في جميع مستوياتها وأطوارها الاجتماعية أو التاريخية تعتنق عقيدة في الله مما يدل علي أن ذلك أمر مفطورة عليه طبيعة البشر ، وان الانحراف الذي تتعرض له الشعوب إنما هو نوع من تشوية الفطرية يقودها إلي الشرك بالله لا إلي إنكار وجوده ، أو هو نوع من الكبت يقودها إليه طائفة من الحكام يريدون لها أن تهبط من عبودية الله إلي عبودية البشر .

ثالثا :- من ناحية التأمل في طبيعة الإنسان ، إذ نجد في فطرته نزعة إلي التحرر مساوقة تماما لنزعة فيه إلي العبودية ومهما يغالي الإنسان في نزعته إلي الحرية فلابد له من أن يشبع نزعته إلي العبودية وهو إذا لم يختر معبوده بوعي فانه ينزلق إلي عبادة معبود بغير وعي ، انه إذا تمرد علي الخضوع لله ، انزلق إلي الخضوع لحاكم أو فيلسوف أو صديق أو حبيب أو لمذهب أو حزب أو جماعة ، وهو بهذا يهبط من العبودية لله المتصف بصفات الجمال والجلال والكمال ، إلي عبودية زائفة تشوه فيه فطرته التي تنزع به إلي الحرية وفطرته التي تنزع به إلي العبودية علي السواء فإذا استقامت الفطرة داعية إلي الإيمان بالله ، فان الأمر يصبح بعد ذلك في غير حاجة إلي الاستدلال بنوع أخر من الأدلة (١)

ويقول الأستاذ إسماعيل مظهر (ثبت لدينا أن الدين ضرورة من ضرورات

١- دكتور / يحي هاشم حسن فرغل مداخل الي العقيدة الاسلامية صـ ١٣٨ ، ١٣٩

الاعتقاد لم تخرج عن حكم كل ضرورة في أنها ذات قاعدة مـا فضـرورة التغذية ضرورة طبيعية لها أثارها ، والتعاون ضرورة – اجتماعية أنشـأت للإنسان مدنيته وعمرانه والاعتقاد ضرورة عقلية لها أثارها الخاصة بها(١)

ويقول ارنولد توينبي أن جوهر الدين ثابت بثبات جوهر الطبيعـة البشـرية ذاتها ، فالدين في الحقيقة صفة ذاتية مميزة للطبيعة البشرية فهو الاسـتجابة الحتمية لتحدي غموض الطبيعة ، هذا هو التحـدي الـذي يواجـه الكـائن البشري بسبب انه يملك القدره البشرية الفريده : قدرة الوعي (٢)

ولذا كانت فطرة الخلق مجبولة علي أنهم متي شـاهدوا شـيئا مـن الحوادث المتجددة كالبرق والرعد والزلازل ذكروا وسبحوه ، لأنهم يعلمون أن ذلك المتجدد لم يتجدد بنفسه بل له محدث أحداثه .

ولا شك أن الناس أن غفلوا عن هذه الحقيقة في حال السراء فأنهم لـن يغفلـوا عنها في حال الضراء .

والقرآن الكريم يصور لنا خير تصوير الغشاوة التي تحجب بصيرة الإنسان عن النظر وعن رؤية الحق في جانب الخالق عندما يكون الإنسان في سعة من العيش ولكن إذا تبدلت حالة تجده يلجأ إلي الله والي هذا أشارت الآيـة الكريمة (وإذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين)(٣)

وقوله تعالي : وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه (٤)

١- انظر ملقي السبيل صـ ٣٩

٢- انظر تاريخ البشرية ج١ صـ ١٩ تأليف ارنولد توينبي

٣- سورة لقمان اية ٣٢

٤- سورة الاسراء اية ٦٧

وقال سبحانه (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لان أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنت تشركون (١)

ويقول الله عز وجل متنا علي عباده في انجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر أي الحائرين الواقعين في المهامه البرية وفي اللجج البحرية إذا هاجت العاصفة فحينئذ يفردون – الدعاء له وحده لا شريك له ...(٢)

ويقول تعالي وإذا أنعمنا علي الإنسان اعرض وناي بجانبه وإذا مسه الشـــر فذو دعاء عريض (٣)

ولعل أهم ما يصور لنا تلك النزعة ما تحكية لنا آيات القرآن الكـــريم فـــي قصة فرعون عندما أدركه الغرق وأطبق عليه البحر فثـــارت فـــي نفســـه الغريزة الدينية التي حجبت بكبريائه وصلفه وغـــروره ، فـــأعلن الإيمـــان ولكن هيهات أن ينفع الإيمان حيال رؤية بأس الله وعذابه فالله تعالي يقـــول فلم يكن ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عبادة وخسر هنا لك الكافرون (٤)

أقول : أن فرعون لما نزل به الموت وأدرك أن نهايته قد قربت وانقشـــعت عن نفسه غشاوة العناد والكبرياء ، وعادت نفسه إلي فطرتها السليمة أعلـــن الإيمان حيث لا ينفع إيمان يقول الحق جل وعلا وجاوزنا بنـــي إســـرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتي إذا أدركه الغرق قال أمنـــت انه لا اله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين (٥)

١- سورة الأنعام أية ٦٣ ، ٦٤
٢- انظر تفسير بن كثير ج٢ صـــ ١٣٩
٣- سورة فصلت اية ٥١
٤- سورة غافر اية ٨٥
٥- سورة يونس ايه ٩٠

وإذا كانت العقيدة امرأ فطريا في طبيعة الإنسان وملازمة له علـــي الـــدوام وإذا كان الإنسان عاجزا بمفرده أو حتي مع بني جنسه وعشيرته عن إدراك وجه الحق في صلته بالخالق وما يجب لهذه الصلة أن تكون عليه من قدسية وتنزيه ، فلقد كان من الطبيعي أن يرسل الله الرسل ليأخذوا بيـــد البشـــرية نحو الاتجاه السليم والصحيح لما يجب أن يكون عليه الوضع في أمر العقيدة . ومن اجل هذا كانت لحكمة الأهلية قاضية بأن تكون بعثة الأنبياء علـــيهم السلام عامة لجميع الأمم في جميع الأزمان والعصور ، وفي هذا يقـــول الله تعالي ولكل قوم هاد (١)

ويقول ولكل امة رسول (٢)

ويقول وان من امة إلا خلافيها نذير (٣)

وهذا هو الحق والصواب من لدن ادم إلي محمد صلي الله عليه وسلم ما عداه فهو باطل وهراء .

١- سورة الرعد اية ٧
٢- سورة يونس اية ٤٧
٣- سورة فاطر اية ٢٤

- الفصل الثالث -

(الديانة المصرية القديمة)

١- سبقها واصالتها :-

لاحظ المستمصرون والمعنيون بدراسة تاريخ الدين المصري القـديم أن هذه الديانة قد سبقت غيرها بكثير لدرجة أن حكم بعض العلماء بان هذه العقيدة مصدر لبقية العقائد المنتشرة في الأمم القديمة ومن ناحية أخري فان بعض الكتاب والدارسين يرون سبقها ولكنهم يتشككون فـي كونهـا مصدرا للأديان الاخري مكتفين بالإشارة لتطور هذه العقيدة ابتداء مـن السذاجة إلي التعمق في الألوهية التجريدية ، وان كانوا مع هذه الإشارة الفائقة ينكرون تأثير هذه العقيدة المتطورة بأدوارها في الأمم الاخـري لأسباب هامة في نظرهم وهي ما يلي :-

١- أن المصريين لم يرسلوا بعثات علمية إلي الخارج لنشر هذه العقيدة ومن ثم فليس هناك سبب كاف لنقلها من مصر إلي غيرها .

٢- كانت الآثار الدالة علي هذه العقيدة بما فيها من أسرار حكرا علـي الكهنة ولم تذع علي الرعية المصرية فضلا عن غيرهم من أبنـاء الأمم الاخري ، كل هذا دفع بعض الباحثين إلي القول بأنها سـابقة ومتطورة ولكنها مقصورة علي المصريين وحدهم .(١)

رد هذا الرأي :- وإذا اتفق أنصار الرأيين في أن عقيـدة المصـريين ودينهم تقدمت علي غيرهم من الأمم وضربت في عمق الزمن وتغلغلت في عصور ما قبل التاريخ ، فانه يمكن بعد هذا الاتفاق أن يرد الـرأي الثاني ، ويدفع بما يحقق للديانة المصرية السبق والتأثير لما يأتي :-

---

١- محاضرات في مقارنة الاديان صـ ١ د/ عبد الله الشاذلي

١- أن القول بأن المصريين لم يوفدوا بعثات لنشر دينهم أمر لا ينهض دليلا لعدم تسرب هذه الديانة إلي غيرها لاحتمال تسربها عن طريق الاحتكار التجاري والسياسي والرحلات والهجرات

٢- كما انه من الخطأ والتهافت أن نقول أن أسرار العبادة والعقيدة ظل محصورا في أذهان الكهنة لان أفراد الشعب قاموا بعباداتهم طبقا لما هو معلوم عندهم من أسرار وشعائر وأيضا فقد مثل لما يلمسونه من سر برموز حسية كتبوا تحتها بعض العبادات مما يجعل العثور والوقوف علي الأسرار أمرا ميسرا للمصريين .

٣- انه قد ورد كثير من المعارف والحقائق المتصلة بالدين القديم علي لسان الشعراء والأديان وجاء القصص الأدبي معبرا عن هذه المعاني التي تسربت إلي خيال الشعراء والأدباء فكيف بعد هذه العوامل الدالة والواضحة يزعم الزاعمون بعدم احتمال خروج الدين المصري القديم إلي الخارج .

والرأي الذي تسانده الأدلة هو أن هذه العقيدة علي اغلب الاحتمالات قد خرجت وانتشرت خارج حدود بلادها لا سيما وان مصر بموقعها الجغرافي والحضاري كانت مركزا يؤمه القاصدون من التجار وطلاب الثقافة .(١)

٢-معبودات المصريين القدماء :-

وإذا ما أردنا أن نعرف معبودات المصريين التي كانوا يتوجهون لها بالعبادة والتقديس فإننا نري أن مصر لم تكن في أول عهدها بالحكم

١- المصدر السابق صـ ٢

أمارة واحدة ، بل كانت مقسمة إلي أمارات ، وكما كـان لكـل أمـارة حاكمها الخاص بها ، كان لها معبودها الخاص الذي يلجأ إليـه النـاس وقت الشدة والحاجة .

ويذكر التاريخ انه قد شاعت في مصر عبادة الطواطم . (١)

وكانت معبوداتهم من وحي البيئة والطبيعة ، فنراهم قد عبدوا النسر لما يتمثل فيه من القوة والقدرة علي الانقضاض ، وأيضا فان النسر يحلـق في الفضاء فيتسني له أن يري من مرئيات هذا الكون ما لا يتاح لغيـره من المخلوقات الاخري .

وعبدوا أيضا الصقر لحسن منظره ، ولعينيه البراقتين ، وبصره الحاد النافذ .

كما عبدوا أيضا البقرة لقدرتها علي الإخصاب والتكاثر ، ومن هنا كان عجل أبيس معبود منف .

أما ابن أوي فكان ينبش قبور الموتي ، فجعلوه حارسا علي قبورهم كي يحفظها من أي عدوان .

وهكذا كانت عبادة قدماء المصريين لكثير من الحيوانات أما دفعا لشرها كالثعبان والتمساح والأسد ، وأما قصدا لجلب خيرهـا كـالعجول ، أو لعلهم كانوا يقدسونها باعتبار أن أرواح الآلهة تحل فيها .

وهنا نقف لنسأل : لماذا عبد المصريون القدماء الحيوانات هل عبـدوها قصدا لجلب نفعها أو اتقاء لضررها وأذاهـا ، أو لاعتقـادهم أن أرواح الآلهة تحل فيها ؟

لا نود أن نترك هذه النقطة ، وهي عبادة الإنسان للحيوان دون بحث أو دراسة ، إذ كيف يتوجه هذا المخلوق السامي الذي كرمـه الله وفضـله

علي سائر المخلوقات تجاه حيوان من الحيوانات كي يعبده ويقدسه . أن هذا لعجب عجاب .

لقد كان هذا الموضوع محل بحث ودراسة من قبل الباحثين الذين راحوا يتلمسون العلل والأسباب والدوافع وراء هذه العبادة وهذا التقديس للحيوان الأعجم الذي خلق من اجل خدمة الإنسان وهذه الدوافع والأسباب هي :-

أولا : ذهب بعض العلماء إلي أن نشأ هذه القداسة هو أن المصريين في عصور ما قبل التاريخ كانوا منقسمين إلي شعوب كل شعب اختار له حيوانا يطعمه إلي جانب ألهه الذي كان إذ ذاك رجلا من بني الإنسان وكان التقديس ينصب علي الحيوان باعتباره حيوانا مقدسا وعله التقديس كانت أما الرهبة من ضرره وشره وآما الرغبة في نفعه وجلب خيره(١)

ثانيا : أن هذه الحيوانات ما كانت تعبد لأنها آلهة ولكن لأنها رمز للآلهة ، فكان لكل اله رمز خاص به فيرمز لتوت برأس أبي قردان ، ويرمز لآمون اله طيبة برأس كبش وفتاح برأس عجل ، ولما كان لكل مكان آلهة فله أيضا حيوانه المقدس ، وقد يكون الحيوان مقدسا في مكان بينما هو غير مقدس في غيره . فالتمساح الذي كان يعبد في طيبة مثلا كان يطارد ويقتل في غيرها . ولما سرت فكرة تقديس الحيوان إلي العامة لم يعبدوه علي انه رمز للآلهة بل عبدوه علي انه من الآلهة نفسها وبذلك صار عندهم في صف اللالهة بل عبدوه علي انه من الآلهة نفسها وبذلك صار عندهم في صف الآلهة وليس رمزا لها .(٢)

١- الفلسفة الشرقية د/ محمد غلاب صـ ٢٨ ، ٢٩

٢- الديانات القديمة الشيخ محمد ابو زهرة صـ ١٤

ثالثا :- ويرجح بعض المؤرخين أن علماء الـــدين مـــن المصــــريين الاقدمين كانوا يعتقدون حلول الآلهة في الأجسام ، بل أنهم مـــا كـــانوا يتصورون عالما روحانيا مجردا من الجسمانية فالروح لابد لهـــا مـــن جسمان تحل فيه حتي أنها عند الموت لا تفارق الجسم إلا علي عودة – سريعة إليه ، وإذا كان ذلك شأن الأرواح فهو أيضا شأن الآلهة لابد من مأوي تأوي إليه في الحياة وجسم تحل فيه . فكانت تحل أحيانا في عجل واخري في تمساح وثالثة في قط ورابعة في طائر . وصاروا يعبـــدون هذه الحيوانات علي أنها أوعية قد حلت فيها الآلهة وليست هي الآلهة . فقوام عبادة الحيوان علي هذا الرأي الراجح هو اعتقاد الحلول عند قدماء المصريين .(١)

والعبادة كانت مقصورة علي واحد من أحاد الحيـــوان المقـــدس يختـــار لصفات تلاحظ فيه ، فمثلا في عبادة الثور ما كانت كل آحاده ، تعبد بل يختار واحد منها لعلامات في جسمه كان يعرفهـــا الكهنـــة بملاحظـــات مبهمة تتناول وضع الشعرات وضعا يمثل الأشكال المطلوبة ولو بتمثيل بعيد علي نحو ما تمثل النجوم في السماء الدب أو القيثارة ..

ويقول هيرودوت في وصف الذي وافقت أوصافه العلامات عند الكهنـــة أبيس هذا عجل شاب لا تستطيع أمه أن تلد غيره ، ويقول المصــــريون أن بريقا يهبط من السماء عليها ، وان هذا البريق ينبئها بأنه الإله أبيس ، ويعرف هذا العجل ببعض علامات شعره اسود ، وفي جبهتـــه غـــرة مثلثة بيضاء ، وعلي ظهره صورة نسر ، وتحت لسانه صورة عجل

١- الديانات القديمة صـــ ١٥

وشعر ذيله مضاعف .

وإذا مات الحيوان المختار للحلول عم الحزن مصر علي أن الكهنة لا يتركونه يعيش أكثر من خمس وعشرين سنة لأنه إذا بلغها أغرقوه في عين مخصصة للشمس .

ولقد انتقلت بعد ذلك عقيدة المصريين من اختصاص حيوان من بين أحاد نوعه بحلول الآلهة فيه إلي اعتقادهم أن الآلهة تحل في النوع كله ، فكل البقر مقدس ، وكل القطط مقدسة .

وهكذا جنس كل حيوان نأل مرتبة التقديس بحلول الآلهة فيه ولقد دفعتهم عقيدة الحلول هذه إلي اعتقاد أن الحيوانات المقدسة أوتيت علم الغيب والتعريف بالمستقبل ، ولهم في ذلك أساطير وقصص جاد ببعضها الخيال الخصب والبس بعضها لبوس الحقيقة والصدق والوهم الذي يرين علي النفس فلا تجعلها تري الأشياء علي حقيقتها .(١)

ومهما يكن من شيء فالمصريون كانوا يعبدون الحيوان ، ولا يمكن أن يكون سبب منطقي قد دفعهم إلي ذلك بل لابد أن يكون الدافع وهما باطلا ، وخيالا فاسدا لان ذلك الاعتقاد باطل فلا يمكن أن يوصل إليه إلا نظر منحرف وفكر غير قويم ومقدمات لاتمت إلي المنطق بنسب ولا يربطهما به سبب . (٢)

ويري البعض الأخر أن ما كان يسود مصر من ظروف طبيعية هي التي جعلت للحيوان قيمة كبري جعلت المصري يتوجه إليه بالعبادة والتقديس .

١- المصدر السابق صـ ١٥ ، ١٦

٢- المصدر السابق صـ ١٦

فقد كانت الطبيعة غنية بالمناقع والأحراش حيث أفراس النهر وحيث الغزلان في وديان الصحاري المحيطة بوادي النيل ، وحيث الظباء والثيران والسباع والذئاب ، ولم يكن غريبا أن يأنس المصريون وهم في حياتهم علي أوثق اتصال بطبيعة بلادهم في بعض الحيوان والطير ومن الصفات والخصائص ما يثير شعورهم فيعبدوه ويقدسوه سوء ، أما عن رهبة وخشية كاللبؤة والتمساح أو ابتغاء خيره ونفعه كالبقرة والثور آو لغرابة في طبعه وظهره كأبي منجل والقرد أو لصفة ممتازة فيه كالصقر .(١)

ولكن كل هذه المعبودات لم تكن مهيأ للتقديس في كل أنحاء مصر معا فقد كانت مصر قبل الأسرات تنقسم إلي مقاطعات ، لكل مقاطعة أعلامها ولكي تبين كل مقاطعة عن الاخري كان كل علم أو علم يحمل رمز الحيوان أو النبات الذي يميزه عن غيره ، وهي في مجموعها تمثل أقدم الآلهة ، ومن هنا لم تعد المقاطعات مقسمة تقسيما إداريا فقط ، بل تحولت إلي مناطق نفوذ ديني وظل مكان كل مدينة مستقلة يعتبرون معبودهم أعظم الآلهة واليه ينسبون خلق الكون .(٢)

علي أن الأمر لا يقف عند هذا الحد من عبادة الحيوان ، فنري المصريين القدماء يتوجهون بالبعادة لمظاهر الطبيعة وعناصر الكون ، مثل الهواء والسماء ، فعبدوا الشمس اسمي مظهر من مظاهر الطبيعة ، لما أحسوا بفائدتها في حياة المخلوقات ، فقد اتخذها أهل هليوبوليس

١- القصة الديانات للاستاذ / سليمان مظهر صـ ٩ ، ١٠ دار الوطن العربي للطباعة والنشر

٢- المصدر السابق صـ ١٠

معبودا مقدسا لهم ولكن هذا التقديس لم يلبث أن انتشر في أنحاء الوادي التي تخيلها المصريون تسبح في محيط السماء في زوارق من ذهب .

ثم انتشرت عبادة الإله بتاح في منف أيام الدولة القديمة وهو رب الفنون والصناعات ، أما أيام الدولة الوسطي فقد قدسوا المعبود أوزوريس اله الموتي واحتلت عبادته لديهم مركز الصداره بين معبوداتهم ، فكانوا يحجون إلي قبره ، ويطوفون حوله طالبين أن رحمه عند الموت .

وفي أيام الدولة الحديثة عبد المصريون الإله آمون رب طيبة وملك الأرباب .

وشاعت فيها عقيدة الأرواح فكان المصريون من اعرق الأمم التي أمنت بالروح ، أما اثبت العبادات وأعمقها وأقواها وأبقاها إلي أخر العصور فهي عبادة الموتي والأسلاف دون مراء فان عناية المصريين بتشييد القبور وتحنيط الجثث وأحياء الذكريات لاتفوقها عناية شعب من الشعوب . وقد بقيت أثار هذه العبادة إلي ما بعد بزوغ الديانة الشمسية وتمثيل أوزوريس بالشمس الغاربة ثم تغليبه علي الخلود وموازين الجزاء .(١)

وعلي أي حال فالآلهة المصريين القديمة تتشعب وتتنوع فمنهم الذكور ومنهم الإناث ويتم الزواج بينهم ، بل وكانت تقع المنازعات وينشب القتال في صفوفهم .

فقصة أوزوريس هي قصة أدمية تشير إلي واقعة قديمة مما كان يحدث في الأسر المالكة في تلك العصور السحيقة وهي قصة ملك أحبه شعبه

١- الله للعقاد صـ ٦٤ ، ٦٥

ثم نازعه أخوه ست عرشه فقتله وجاءت زوجته إيزيس بعد ذلك بـــابن اسمه حوريس أخفته في مكان قص حتي بلغ الرشـــد فرشـــحته للملـــك فساعده أنصار أبيه علي بلوغ حقه في العرش ، وعاد ست ينازعه هذا الحق أمام الآلهة ويدعي عليه انه ابن غيـــر شـــرعي مـــن أب غيـــر أوزوريس فلم تقبل الآلهة دعواه وحكمت لحوريس بـــالميراث وتقـــول الأسطورة : أن ازووريس ولد في الوجه البحري ولكن رأسه دفن فـــي الصعيد بقرية العرابة المدفونه وان ست حيث قتله فرق أعضـــاءه بـــين البقاع لكي لا يعثر علي جثته احد من المطالبين بثأره ، ولكـــن إيـــزيس جمعت هذه الأعضاء وتعهدتها بالصلوات والأسحار حتي دبـــت فيهـــا الروح من جديد ، وحملت منه بحوريس الذي قدح عمه في نسبه ، وقد حاول أوزوريس أن يعود إلي الملك فاخفق في محاولته ، وقنع بالسيادة علي عالم المغرب حيث تغيب الشمس وتنحدر إلي عالم الأموات .(١)

٣- حول وحدة الآلهة المصرية القديمة وتعددها :-

تقف هنا لنسأل : هل كان المصريون القدماء معددون للآلهـــة أم أنهـــم عرفوا التوحيد ؟

في حقيقة الأمر اختلفت الإجابة علي هذا السؤال ما بـــين ذاهـــب إلـــي التعدد ، وأخر يذهب إلي التوحيد .

ولكن هل يمكن القول بالتوحيد مع هذه الآلهة التي عبـــدها المصـــريون القدماء وقدسوها ؟ لقد رأينا الآلهة تتعدد وتتنوع من الحيوان والطيـــر ، ومظاهر الطبيعة المختلفة ، وكان لكل إقليم من أقاليم مصر آلهة الخاص به ، فليس هو التوحيد أذن ؟

١- المصدر السابق صـــ ٦٥

يقول جوستاف لويون في كتابة الحضارة المصرية :-

أن مصر القديمة لم تكن تعرف هذا الإيمان الوحداني في أي عصر من عصورنا تاريخها ، واقطع برهان ينهض علي ذلـك نقوشـها البـارزة وصور معابدها وأثارها ، وان الإنسان ليستطيع أن يقلب كتاب المـوتي وجميع أوراق البردي دون أن يعثر علي شيء يمكن أد يدله علي وجود الإيمان الحقيق باله واحد . فمصر قد عرفت الوحدة السياسية ولكنها لم تعرف بتاتا إلها وطنيا واحدا ، وإذا افترضنا أن بعـض عقـول عاليـة **انتهت في عهد العائلات الأخيرة إلي الاعتقاد بان الآلهة الحافلـة بهـا المعابد لم تكن سوي مظاهر لأله واحد ، فان هذا لا يؤثر في المعتقدات العامة وعلي هذا فليس للمؤرخ أن يعني بها فما يسمي ديانه هـو فـي الحقيقة تلك المذاهب التي يلقنها القساوسة ويرضي بها الشـعب لأتلكـم** النظريات التي تتمخض عنها أفكار بعض السابحين في الأوهام وهم في مكاتبهم . وقد أخذت الاعتقادات في مصر تتزايـد مـدة ٥٠٠٠ سـنة والآلهة تتعدد وتتنافر فلا يخلف بعضها بعضا كما كانت الحال في الهند التي تبدلت فيها الاعتقادات تبدلا عظيما في خلال العصور مع أن الفيدا القديمة ظلت كتبهم المقدسة .(١)

ولكن كان هناك بجانب هذا الرأي الذاهب الي التعدد رأي أخر يتجه إلي التوحيد بل ويصف الإله الواحد بصفات توحي بالعظمة والجلال .

يقول أبو الفيض المنوفي في كتابه وحده الدين والعلم والفلسفة : وكـان المصريون يعرفون الله الواحد الأحد وكانـت عبـادتهم لـه بالصـمت والرهبة احتراما وتوقيرا وكان وصفه عندهم فرد أزلي خالق كان قبل

١- المحاضرات في الفلسفة الشرقية صـ ١٢ ، ١٣ د/ هراس

كل شيء ويبقي بعد كل شيء لا بداية له ولا نهاية خالق الأرواح في الأشباح يمضي الزمان وهو باق ولأنه هو الإله الذي لا اسم له وقد سماه المصريون القدماء أتون ولهذا الاسم معنيان : معني خفي وهو اصل كل شيء قام به الوجود ومعني ظاهري وهو الاتوم الذري المعروف الذي تكونت به السماوات وما فيها من شموس والأرض وما فيها من مخلوقات ، فإذا اتجه اتوم للوهب والإعطاء سمي رع وإذا ظهر بارزا بمثاله الشمس سمي آمون فظهر آمون ثم رع ثم اتوم الخفي ووجد في هرم سقارة المدرج من الوثائق ما يدل علي أنهم كانوا يعتقدون في اله ذي صبغة خفية لأنه غير متطور ، ووجد أيضا في هيكل إيزيس بصا الحجر نقش قديم يتضمن الكلمات آلاتية :-

(أنا كل شيء كان وكل شيء كائن ، وكل شيء سيكون ومحال علي من يفني أن يزيل النقاب الذي تنقب به وجه من لا يفني)(١)

ويرد هذا الاتجاه الذاهب إلي التوحيد علي ما اتجه إليه قدماء المصريين من عبادتاتهم للآلهة المتعددة بان المصريين لم يعبدوا هذه المعبودات لذاتها وإنما لأنها كانت رموزا مجازية تدل علي حقائق وصفات الهيه أو كما قلنا لان أرواح الآلهة تحل فيها .

أما هذا التعدد فإنما هو من فعل الكهنة في دور من أدوار الديانة المصرية وهو الدور الرمزي المعدد للآلهة

ويدل علي ما ورد في صلواتهم وأنا شيدهم من الأدعية التي يوجهونها إلي الآله حيث يقولون : يا مولاي ويا سيدي أنك خلقتني وصورتني وجعلت لي

١- السيد محمود ابو الفيض المنوفي وحدة الدين والفلسفة والعلم صـــ ٦١ ، ٦٢

عيناً أبصر بها أثار قدرتك وأذانا أسمع بها أناشيد تقديسك .

فهل يعقل أن قوم يصدر عنهم مثل هذه الصلوات والأدعية بل مع قول ألـــه المصريين عن نفسه .... أن يقال في حقهم أنهم كـــانوا يعبــدون النجــوم والحيوانات (١)

وأيضاً فأن مما يقوي هذا الرأي أن المصريين وصفوا الأله الأعظم بصفات ثم اشتقوا آلهتهم المصرية من الآله الأعظم فمن صفات الله الثلاثة (الوجود ، الحكمة ، الحياة) أشتق المصريون في العصر الثـــاني لتطــور الديانـــة المصرية (عصر الرموز) أسم أتون ، ورع ، وآمون ، بمعاني : الخفي ، والواهب والمعطي ، والظاهر في الشمس وفي باقي الطبيعة .

وما زالوا يشتقون علي تمادي الزمن حتـــي صـــارت الوحدانيـــة ثالوثـــاً . والثالوث تاسوعاً ، عدا آلهة ثانوية منسوبة إلي هذا التاسوع .(٢)

التاسوع المصري :-

١- **اتوم :** الآلهة الخفي الذي لا يظهر إلا بصفاته وهو نور الأنوار

٢- **رع :** الذي تشخص فيه النور فصار عطاء وخلقا " الخلق والرزق "

٣- **امون :** ظهور القدرة المشرقة في الشمس وهو مظهــر رع الــذي يوصل عطائه إلي المخلوقات " وفي النهاية صار صنما لطيبة "

٤- **ميت الاثير العام**

٥- **توت :** السماء باقلاقها وكواكبها والهيولة العامة

٦- **شو :** وهو الشحنة الكهربائية الموجبة

٧- **إيزيس :** بمعني الحياة مطلقا أو الروح تخصيصا

١- المصدر السابق صـــ ٦٢ ، ٦٣

٢- نفس المصدر صـــ ٦٨

٨- **اوزيريس :** بمعني النماء أو الازدهار

٩- **سيت :** المدمر أو الفناء أو الجد

وبذا يكون لديك تسعة آلهة وضعها لكهنة المصريون .

وإليك أحدي صلواتهم التي يمكن من خلالها أن تتبين منها أفـراد التاسـوع المصري إذا دققت في معانيها ، وأن كانوا في النهاية يرجعون كل ذلك إلي الآله الحق الواحد الأحد الذي لا تراه الأبصار وأن تشعبت بنوره البصائر . الخضوع لك يا من أسمه رع إذا أشرق وأوزوريس إذا غرب يا من تـوج ملكاً علي الآلهة أنت ملك السماوات أنت ملك الأرض أنت خالق كل شـيء يعيش علي سطح الأرض وما اختفي في باطنها أنت الآله الأوحـد آتـون الذي له الوجود الأزلي أنت الذي خلقت الأرض وصورت الإنسان وبنيـت فيه السماء المائية أنت الأبدي الواحد الذي خلق نفسه بنفسه ...

وعلي الرغم من هذين الاتجاهين المتقابلين حول الوحدة والتعـدد فإنـه لا يمكن القطع بأن المصريين القدماء عرفوا التوحيد خاليا خالصا غير مشوب بشوائب التعدد .

فالقرآن الكريم يحدثنا عن حوار يوسف عليه السلام مع صـاحبي السـجن وفيه يدعوهما إلي الوحدانية فذلك خير من الآلهة المتعددة التي يعبدونها من دون الله تعالي .

يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خيراً أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أن الحكم إلا لله أمر لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١)

بل يحكي القرآن الكريم عن عبادة الأشخاص لديهم كما حدث من فرعون

١- سورة يوسف اية ٣٩ ، ٤٠

حيث قال عنه " فحشر فنادي أنا ربكم الأعلى (١)

" وقال " وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري (٢)

ولكن الذي يمكن أن نقوله به أن المصريين القدماء وأن قاموا بعبادة آلهة متعددة كما أوضحنا الا أن هذا كان مرتبطاً بانقسام مصر إلي ممالك متعددة وأمارات ولكن بعد أن توحدت بلادهم عرفوا الأله الواحد وليس هذا فحسب بل أ الزمن نفسه كان له أثره الكبير في التدرج والوصول من التعدد إلي الوحدة كما يقول الأستاذ العقاد من أن الزمن فعل فعله في تصفية هذه العقائد والأرباب فنسي أوزوريس السلف المعبود ورسخ في الأذهان وصف أوزوريس الشمس القائمة علي المغرب أو عالم الأموات وتوحدت الشمس بمعناها وتعدد بأسمائها وموعدها وجمعت عبادة بينها كلها عبادة آمون ثم عبادة آتون وعبادة آتون هي أرقي ما وصل إليه البشر من عبادات التوحيد في القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

فلم يكن المراد بأتون قرص الشمس ولا نورها المحسوس بالعيون ولكن الشمس نفسها كانت رمزاً للأله الواحد المتفرد بالخلق في الأرض والسماء وإنما جاء هذا الطور بعد تمهيدات دينية وسياسية تهيأت لمصر ولم تتهيأ لغيرها من الدول الكبرى في تلك الفترة .

فكانت في أقاليم القطر قبل ظهور عبادة أتون ثلاث عبادات شمسية تتنافس في المبادئ الروحية ووسائل النفوذ التي تتغلب بها علي النظراء فكانت

١- سورة النازعات اسة ٢٣ ، ٢٤

٢- سورة القصص اية ٣٨

منف تدين لأله الشمس باسم فتاح وكانت عين شمي أو هليوبوليس تدين لـــه باسم رع وأحياناً باسم أتوم وكانت طبيعة تدين له باسم آمون ٠(١)

ولكن الذي حيث أن نفوذ كهنة آمون وسلطانهم قد تعاظم و امتدت سيطرتهم علي مناصب الدولة وخاصة في عهد تحتمس الثالث أكبر وأعظـم ملـوك الأسرة الثانية عشرة ٠.

ولم تقف الأمة المصرية القديمة عند حدودها بل تعدتها في عهد هذا الملك العظيم لتشمل بلاد النوبة والصومال في الجنوب وامتدت إلي الفرات وآسيا الصغرى في الشرق والشمال وكان اتساع الأفق في السياسة مقترناً باتساع الأفق في تصدر العالم ، وما ينبغي لخالقه من التعظيم والتنزيـه ، فـارتقي الفكر الإنساني في هذا العهد من البيئة المحلية إلي البيئة العالميـة وطغـي نفوذ الكهان الأمونيين علي كل نفوذ في البلاد من جراء هذه القربي بيـنهم وبين الملك العظيم فاستأثر رئيسهم بلقب الرئيس فـي أنحـاء الـديار ٠٠ ولزموا حدودهم مع الملك العظيم في حياته لقوته ورهبته ٠٠ وفـرط مـا أغدق عليهم من الهبات والحبوس و الأوقاف ، ولكنهم ذهبوا في الطغيـان كل مذهب علي عهد خلفائه فطمعوا في نفوذ الملك بعد اطمئنانهم إلي نفـوذ الدين ٠ومن هنا خطر للملوك خاطر الخلاص مـن هـذا النفـوذ ، فـتكلم امنحتب الثالث عن آمون في بعض أوامره وتسجيلاته باسم آخر هـو اسـم آتون ٠ وساعد علي هذا التبديل الطفيف أن صفات الإلـه فـي أذهـان – المصريين كانت أقرب إلي صفاته عند كهان منف وعـين شـمس ، وأن مسالك الكهان الدنيويين من شيعة أمون لم تكن وفاق الآداب والعادات التي

١- الله للعقاد صـ ٦٦

استلزمها ارتقاء المصريين في فهم كهان الإله ٠

فلما تولي الملك أمنحتب الرابع أو اخناتون كما تسمي بعد ذلك – كان التمهيد للعبادة الجديدة قد بلغ مداه ، وكان اتساع الأفق في النظر إلي الدنيا والنظر إلي صفات خالقها قد وسع له المجال للابتكار والتجديد وأعان عبقريته علي التدعيم بعد التمهيد ٠ (١)

أما الذي حدث من هذا الملك أمنحتب الرابع أو أخناتون فأنه قد ثار علي كل مظاهر الوثنية ، فأزال الصور ومحا التماثيل من المعابد وأمر بعباده اله واحد ٠

أما توضيح تلك الثورة التي قام بها ، فتذكر النقوش والتماثيل وأوراق البردي كثيراً من أخباره و بأنه كان عبقرياً من أولئك العباقرة الملهمين ٠

وكان الفتي اخناتون حدثا ناشئا عند ولايته الملك معروفا بالعكوف علي التأمل والتفكير والخلوة بنفسه في صلواته ومناجاته ، وكان لطيف الحس حالم النفس ، منصرفا عن طلب البأس والقوة ومتابعة الفتوح والغزوات التي توطد بها ملك آبائه وأجداده فطمع فيه كهنة آمون ، وخيل إليهم أنهم مالكون زمام الأمر كله .

غير أن الفتي الحالم كان عبقريا يحب الابتكار والتفقه في العبادة بالعقل والبداهة المستقلة ولم يكن تقليد يا يلغي بزمامه لمن يسيطر عليه .

وكان مع لطف حسه قوي النفس صعب المراس ، فاستنكر دسائس الامونيين وتهافتهم علي المناصب والأموال فقمعهم قمعا شديدا ومحا اسم آمون من كل مكان حتي هياكل ابيه واسمه الذي يبدأ باسم آمون ، وجهر

١- المصدر السابق صـ ٦٨

بعبادة أتون دون سواه .(١)

وقرر اخناتون أن يترك طيبة ويبني عاصمة جديدة في مكان لم تدنسه عبادة أي اله من قبل ، وهكذا انتقل إلي تل العمارنة حيث أقام عاصمة اخناتون . وهناك اتيحت له الفرصة للديانة الجديدة أن تستكمل خصائصها دون معوقات من تقاليد وأثار قديمة (٢)

والغي جميع الأرباب وأعوانهم من الأرواح وأولهم الرب القديم اوزيريس فكان هذا من أسباب غلبته يومئذ وأسباب التمرد عليه بعد حين

ومن صلوات اخناتون تعرف صفات الله الذي دعا إلي عبادته دون سواه فإذا هي اعلي الصفات التي ارتقي إليها فهم البشر قديما في إدراك كمال الإله . فهو الحي المبديء الحياة ، الملك الذي لا شريك له في الملك ، خالق الجنين وخالق المنطقة التي ينمو منها الجنين ، نافث الأنفاس الحية في كل مخلوق ، بعيد بكماله قريب بآلائه تسبح باسمه الخلائق علي الأرض والطير في الهواء ، وترقص الحملان من مرح في الحقول فهي تصلي له وتستجيب لأمره ، ويسمع الفرخ في البيضة دعائه فيخرج إلي نور النهار واثبا علي قدميه ، قد بسط الأرض ورفع السماء وأسبغ عليهما حلل الجمال وهو مليء البصر وملء الفؤاد وهو الوجود وواهب الوجود ، وشعوب الأرض كلها عبيده لأنه هو الذي أقام كل شعب في موطنه ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض ومن أيام العمر في رعاية الواحد الأحد أتون .(٣)

١- المصدر السابق صـ ٦٩

٢- قصة الديانات صـ ٢٤

٣- الله للعقاد صـ ٦٩

وليس هذا فحسب ، بل راح اخناتون يصوغ من الأناشيد ما يشيد فيه في حماس شديد بنعيم الإله الواحد علي الكائنات المختلفة من إنسان وحيوان ونبات وما يفيضه عليها جميعا من قوة وحياة وكان يقول :-

بزوغك جليل في أفق السماء يا أتون يا حي يا مبديء الحياة إذا صعدت في أفق السماء الشرقي أفضت علي الأرض جمالك ماذا إلا لأنك جميل عظيم نير في السماوات العليا تسطع علي الأرض وعلي جميع مخلوقاتك بأشعتك انه بعيد عن الأرض ولكنك علي اتصال معها بأشعتك .

أنت عال لكن أثارك واضحة في ضوء النهار . أنت خالق الجنين في بطن أمه أنت خالق نظفه الإنسان أنت واهب الحياة للجنين في رحم أمه وملطفة حتي لا يتكرر فيبكي كيف لا وأنت المربي في الرحم أنت معطي نفس الحياة لكل مخلوقاتك . أنت فاتح فم الجنين – بالكلام ومعطية حاجاته يوم تلده امة . ما أكثر مخلوقاتك التي نجهلها . أنت الإله الأحد لا شريك لك في الملك . خلقت الأرض بإرادتك

ولما كنت وحيدا في هذا الكون خلقت الإنسان والحيوان الكبير منها والصغير والمخلوقات التي تدب في الأرض وتطير بأجنحتها أنت مبدع الجمال من نفسك ، فالمدن والبلاد والقري والطرق والأنهار كلها عيون تبصرك أمامها . كيف لا وأنت أتون النهار فوق الأرض .(١)

ولكن هل قدر لهذه ، الدعوي أن تعمر وان تدوم طويلا لا ، لم يقدر لها أن تعمر طويلا لان البعادات القديمة اشد رسوخا في البلاد من آن تعصف بها دعوة جديدة لم تتأصل جذورها . تقوم بها أقلية من المفكرين ، وان تزعمها ملك . وكان رجال الدين وخاصة كهنة آمون قوة تعتمد علي مشاعر العامة

١- قصة الديانات صـ ٢٤ ، ٢٥

وتمسكهم بتقاليدهم ولذلك لم يكن من السهل التغلب عليها . بل كان الأسهل أم ينقض الكهنة علي الدين الجديد وان تنجم المؤامرات أخـــر الأمـــر فـــي القضاء علي دين التوحيد الذي جاء به اخناتون ، وان تـــتحكم مـــع حطـــام مدينة اخناتون دعوة الإله الواحد في مصر القديمة .(١)

ولذا فانه يمكن القول بان هذه الدعوة كانت أشبه بالصحوة القصـــيرة التـــي أعقبتها نكسة سريعة من حيث الأحداث السياسية ، التي أحاطـــت بالدولـــة ومن كيد الكهان المخلوعين في طيبة وما جاورها ، وهـــم كهـــان آمـــون الأقوياء الذين سلبهم اخناتون مناصبهم وحبسهم وسيطرتهم علـــي العـــرش والمحراب ولعلهم كانوا مخفقين في كيدهم ولو اصطنع هذا المصلح الكبيـــر شيئا من الدهاء ، ولم تدفعه الحماسة الروحانية وراء كل تقدير وتدبير لأنه هجم علي الشعب في اعز العقائد عليه وهي عقيدته فـــي أســـاطير عـــالم الأموات وشعائر الإله اوزريس رب المغـــرب والخلـــود فـــانكر ســـلطان اوزريس علي الأرواح وجرده من قدره الحكم عليها بالعقاب ، أو العـــذاب فلم يؤمن بجحيم اوزيريس ولا بجحيم غيره ، وبشر النـــاس بحيـــاة خالـــدة كحياة الأطياف تحياها الروح بين الهدوء في ظلمة الليل واستقبال الضـــياء من وجه أتون .

ولهذا بقيت عبادة اوزريس وإيزيس بين المصريين كما بقيت بين اليونـــان والرومان وانطوت أيام أتون بانطواء نبي أتون .(٢)

١- المصدر السابق صـــ ٢٥

٢- الله للعقاد صـــ ٧٢

٥- النفس الإنسانية ومصيرها في اليوم الأخر

كان المصريون يعتقدون بان الانسان مؤلف من جوهرين متميزين هما النفس والجسم ومعهما عنصر ثالث يسمي كا وهو عبارة عن شبح غير منظور يولد مع الشخص ويلزمه أو يحل فيه ويبقي بجانبه بعد الموت ليعني بالنفس والجسم .

وكانوا يعتقدون أن الروح تعود إلي الجسد بعد الموت فإذا وجدته سليما لم يتحلل فأنها تحل فيه وتسكنه وإذا وجدته قد تحلل رحلت وتركته ومن هنا كان اهتمامهم بتحنيط الأجسام .(١)

كما نفهم أيضا لماذا كانوا يتركون فتحة صغيرة في قبورهم كي تمر منها الروح عندما تشتاق لزيارة بدنها .

ومن ثم فقد احتلت العقائد الجنائزية مكانا كبيرا في الديانة المصرية .

كانت العقائد الجنائزية كما يقول علماء المصرولوجي خليطا من الأفكار والخيالات فكان يعتقد أن الميت في قبره يأكل ويشرب وانه يحيا حياة خالدة في مملكة الغرب .

وكان يغالي في تحنيط الجثة وما يؤدي لها من طقوس وما يودع معها من أثاث ، وكثيرا ما كان يزود الميت بتعاويذ وفصول تكتب علي أوراق البردي من كتاب الموتي وكثرت التمائم واختلفت أصنافها وزاد عدد التماثيل الجنازية حتي كان يودع منها مع ألميت مئات في بعض الأحيان وازداد في نفس الوقت شأن الآلهة المختلفة بما كانت تلقاه من كل ملك يتولي العرش من هبات وعطايا .

١- محاضرات في الفلسفة الشرقية صـ ٩ ، ١٠ د/ هراس

وكان ابرز هذه الآلهة آمون اله طيبة الذي كان كهنته قد بلغوا وخاصة في عصر الإمبراطورية شأوا كبيرا في الغني والسلطة والنفوذ بحيث أصبح بيدهم التحكيم في كل شيء من ثروة البلاد وسياستها .(١)

وكانوا شديدي الاعتقاد باليوم الأخر ، وان هناك بعثا وخلودا بعد الموت وقد اجتهدوا في تشييد مدافنهم فوق الجبال الغربية لاعتقادهم أن الموتي يسكنون عالما غريبا يهبط فيه المعبود (الشمس) كل يوم بعد الغروب كما اعتقد البعض منهم في وجود عالم أخر تحت الأرض تسكنه الأموات منتظرة ظهور قرص المعبود (الشمس) كي تتمتع بأشعته .

وعلي كلُ فقد كانوا يعتقدون أن بعد موت الإنسان يقف أمام أوزوريس اله الموتي وقد حف به اثنان وأربعون قاضيا ويحاول الميت الدفاع عن نفسه وتزكيتها وتبرئه ساحتها مما يدينها أو يوجب لها العقاب فيقول ها إذا جئت أعاين جمالك لم ارتكب الظلم في الناس لم اقتل ولم أمر بالقتل لم اسرق الحبوب لم اسرق القرابين لم اسرق ممتلكات الآلهة لم اكذب لم انطق بالعنة لم اقترف جريمة الزنا ، لم اقترف جريمة اللواط لم ابك أحدا لم أكن متشائما لم أهاجم أحدا لم أتسمع علي الأبواب ، لم أشنع علي احد بما ليس فيه . لم اغضب بدون سبب ، لم اعمل شيئا بتسرع لم أكثر من الكلام عبثا لم ارهب أحدا لم أحدث قط شغبا في النظام ، لم امنع الماء من الجريان لم احجز الخبز عن الأطفال .(٢)

وتقول الأسطورة آن الإنسان الميت بعد أن يفرع من هذا الدفاع يتقدم الإله (هورس ابن اوزريس فينتزع قلبه ثم يضعه في كفه ميزان ثم يضع في

١- قصة الديانات صـ ٢١

٢- الفلسفة الشرقية صـ ٧٧ ، ٧٨ د/ غلاب

الكفة الاخري ريشه طائر ابيض رمزا للصدق ، فمن ثقلت موازينه صعدت روحه إلي السماء وركب زورق النجاه مع الإله رع وعاش في جوار الآلهة والأرواح المطهرة عيشه السعداء وأما الجناه فيلقون في الهوة المظلة .(١)

وهكذا كانت عقيدة البعث والجزاء لدي قدماء المصريين دافعة لهم إلي السلوك الفاضل ، والعمل الصالح . واجتناب الأعمال الفاسدة ، والأخلاق الذميمة .

١- محاضرات في الفلسفة الشرقية والإغريقية صـ ١٠ ، ١١

(الفصل الرابع)

- أديان الهند -

انتشرت في الهند ديانتان كبيرتان : وهما البرهمية واليوذية

أولا : الديانة البرهمية :-

وهي من أقدم الديانات في الهند والتي يرجع وجودها إلـــي نحـــو القـــرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ويعتنقها الآن معظم سكان الهند وبعض ســـكان الباكستان ، كما يقرر الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي يري أن الديانـــة البرهمية تنسب للإله براهما وهو عند معتنقي هذه الديانة اسم للإله الخالق . ناقضا بذلك ما ذكره الشهر ستاني في الملل والنحل من انها تنســـب إلـــي رجل عظيم منهم يقال له براهم .(١)

وقد اشتملت البرهمية في بدايتها طرقا مختلفة للعبادة وعددا من الآلهة فـــي العقيدة وقواعد متغايرة للسلوك والشريعة وخليط من أفكار الهنود وأفكـــار غيرهم من الغزاه الآريين وغيرهم من المهاجرين ، فكانت تمثـــل صـــورة المجتمع الهندي المتعدد والبيئات والأجواء واللغات والعادات والتقاليد ومدي قوة تأثير الغزاة المهاجرين .(٢)

يقول الأستاذ العقاد في كتابه (الله) اشتملت البرهمية القديمة علي عبـــادة الأسلاف كما اشتملت علي عبادة المظاهر الطبيعية فتقديس الملـــك عنـــدهم إنما هو تقليد موروث من تقديس جد القبيلة تحول إلي تقديس الرئيس الأكبر في الدولة بعد أن تحولت القبيلة إلي الأمة ويحسب العلامة ليوث شميث كما قال في كتابه (المباديء) the begriming أن مراسم تقديس الملك التي

١- الاصفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام صـــ ١٥١ د/ علي عبد الواحد
٢- الانسان في ظل الاديان صـــ ١٧٨

لا تزال مرعية في جوار الهند كانت تحاكي مراسم قصة الخليفة كما تخيلها المصريون فلم يكن حق الملك مستمدا من الجلوس علي العرش أو من البناء بالمملكة التي تنقل إليه حقوقه الملكية ، ولكنه يتولي هذا الحق بعد تقديسه في حفل يمثل قصة الخليقة . وكأنهم يعنون بهذا أن الملك يستمد من ذلك التقديس قدرته علي الخلق ومنح الحياة وهي قدره لا غني عنها لإطلاعه بالفرائض الملكية (١)

وقصة الخليقة في الهند تشبه قصة الخليقة المصرية في أكثر من صيغة واحدة من صيغها العديدة فالحياة خرجت من بيضة ذهبية كانت تطفو علي الماء في العماء والإله الأكبر كان ذكرا وأنثي فهو الأب وألام للأحياء كما جاء عن رع في بعض الأساطير المصرية وبناء العالم من صنع بناء ماهر في أساطير مصر والهند علي السواء وتتفق مصر وبابل والهند علي أن الإله الأكبر قد خلف الأرض بكلمة ساحرة فأمرها بان توجد فبرزت علي الفور إلي حيز الوجود .(٢)

ثم يواصل العقاد حديثة فيقول وتعززت في الهند عبادة : الطواطم بعقيدتهم في وحدة الوجود وتناسخ الأرواح كما تعززت بعقيدة الحلول – فعبدوا الحيوان علي اعتباره جدا حقيقيا أو رمزا للأسرة ثم للقبيلة .

ثم تخلفت عبادة الحيوان حتي امنوا بان الله يتجلي في كل موجود أو يخص بعض الأحياء بالحلول فيه ، وامنوا بتناسخ الأرواح فجاز عندهم أن يكون الحيوان جدا قديما أو صديقا عائدا إلي الحياة في محنه التكفير والتطهير .

فعاشت عندهم الطوطمية في ارقي العصور كما عاشت في عصور الهجمية

١- الله للعقاد صـ ٧٤

٢- المصدر السابق صـ ٧٤

بهذا الامتزاج بين الاعتقاد الحديث والاعتقاد القديم لكنهم خلصوا كما خلص غيرهم من هذه العبادات إلي الأيمان بالإله – الواحد ، وان اختلفوا في المنهج الذي سلكوه فلم يكن إيمانهم به علي الأساس الذي قام عليه إيمان الشعوب الاخري بالتوحيد . فهم قد بدأوا بإبطال جميع المظاهر فنسبوا إليها التعدد والاختلاف لأنها تتكرر وتزول وتستمر من ورائها الحقيقة الأبدية التي لا تتكرر ولا تزول وتلك هي حقيقة القضاء والقدر التي تقدر للآلهة وتقضي عليهم كما تقدر لسائر الموجودات وتقضي عليها في اجلها المحدود وهنا ذهب حكماؤهم إلي مذهبين غير متفقين ، فبعضهم تمثل تلك الحقيقة إلها واحدا قريبا من الإله الواحد في أكثر ديانات التوحيد .

أما الفريق الثاني فالحقيقة الأبدية عنده معني ليس له قوام من الذات الواعية وإنما هو قانون يقضي بتلازم الآثار والمؤثرات ويقابل الاعتقاد بالقضاء والقدر عند المؤمنين بالأديان الكتابية ألا أنه قضاء يسري علي الاله البشر ويتغلغل في طبائع الخالقين كما يتغلغل في طبائع المخلوقات ، وحكمه الذي لا مرد له حكم التغيير الدائم والفناء وحكم الإعادة والإبداء ٠ (١)

أصل البرهمية ومراجعها : –

يختلف علماء مقارنة الأديان في تاريخ نشأة البرهمية فمنهم من يقرر وجودها بين سنتي ٨٠٠ ثمانمائة و ٦٠٠ ستمائة قبل الميلاد ومنهم من يرجع بها إلي زمن أبعد بكثير حيث يصل إلي ألف وخمسمائة قبل الميلاد ولعل سر الاختلاف يرجع إلي عدم معرفة الوقت الذي دونت فيه كتبها المقدسة بدقة وعدم معرفة وضعها الحقيقي ٠

وسميت البرهمية نسبة إلي ألهها براهما واسم براهما نفسه مأخوذ من

١- المصدر السابق صـ ٧٥ ، ٧٦

معاني المعبود والعبادة ومرجع هذه الديانة الكتب المنسوبة إلي الفيدا ومن هذه الكتب استخرجت وكذلك استمدت منها قوانين " مانو " التي تنسب إلي مشرع هندي قديم يسمي "مانو" وتفسير وتبين ما اشتملت عليه كتب الفيدا من عقائد وعبادات ، وشرائع وأخلاق وقصص وهذه الكتب وقوانين مانو مقدسه لدي البرهميين ، ويعتقدون أنها من وضع الآلهة المنبثقين عن الإله الخالق " براها " وهو اي واضع الفيدا أزلي في نظرهم .(١)

الكتب الفيدية ومشتملاتها إجمالاً :

يطلق البرهميون أسم الفيدا علي مجموعة كتب دينية يعتقدون أنها وحي من الألة براهما نفسه وقد جمعها حكيم من حكمائهم أشتهر باسم فيدا فياسا أي جامع الفيدا .(٢)

وتضم أخبار وأحوال الآريين في الهند في عهدهم القديم ومقرهم الجديد في حلهم وترحالهم دينهم وسياستهم حضارتهم وثقافتهم معيشتهم ومعاملاتهم ومساكنهم وملابسهم ومهنهم وأعمالهم مراحل تدرجهم العقلي ابتداء من سذاجة البدوي إلي شعور الفلسفي وتدرجهم الديني من أوعية ابتدائية تنتهي بالارتياب إلي الوهية تترقي إلي وحدة الوجود (٣)

وهي أربعة مجموعات من الأسفار تنقسم كل مجموعة منها إلي قسمين : قسم للأدعية والصلوات وتسمي مفتراً وقسم للتعاليم المتعلقة بالعبادات والشرائح وما إلي ذلك ويسمي " برهمانا " وهذه المجموعات الأربع هي :

١- الريج فيدا ومعناها الفيدا النارية إي المنسوبة إلي النار ويعد أشهر الكتب

١- الاصفار المقدسة صـ ١٥١

٢- المصدر نفسه

٣- اديان الهند الكبري د/ احمد شلبي صـ ٤٢

الفيدية الأربعة وأهمها وأشملها . وهي قسمان قسم أدعية وأناشيد . وأورادا منظومة يقولها أتباع البرهيميه أمام الآلهة تضرعا في بعض المناسبات ويشتمل الآخر علي تعاليم تتعلق بالعبادات والواجبات الدينية ويسمي هذا القسم " برهمانا "

٢- ياجور فيدا أوياجو فيدا ومعناها المعارف والمعلم الهوائية أي المنسوبة للهواء وهي أيضاً قسمان وكل قسم ينقسم هو الآخر إلي قسمين .

القسم الأول ويسمي براجور فيدا البيضاء هذا القسم يشمل جزء الأول أدعية وابتهالات يتجه بها الأتباع إلي الآلهة في بعض المناسبات ويشمل جزء تعاليم تتعلق بالطقوس والشعائر الدينية وطريقة ممارستها .

وطقوس الياجور فيدا تتضمن طريقة تقديم الضحايا والقرابين التي تحفظ الناس من الشياطين والأرواح الخبيثة التي يتوقعون شرها .

٣- ساما فيدا ومعناها المعارف الشمسية أي المنسوبة إلي الشمس وهي أيضا قسمان قسم يشمل أغاني وترانيم دينية يتغنى بها الأتباع في بعض المناسبات الدينية وقسم يشمل تعاليم الطقوس والشعائر الدينية وطريقة ممارستها ٠

٤-آثار فيدا وتشمل في أحد قسميها أدعية وأناشيد للإستغفار والرقي ضد السحر وضد الأرواح الشريرة خاصة ما يتصل بالعلاقات الاجتماعية وتقسيمها إلي طبقات وتحديد الصفات التي تعين كل طبقة ومركزها ووظائفها عند البرهميين ٠(١)

١- الاسفار المقدسة د/ علي عبد الواحد وافي صـ ١٥٢ ، ١٥٣

كتب مقدسة أخري :-

ويضاف إلي مجموعة الكتب الأربعة كتابا يلحقه بعضهم بالكتب الفيدية فتصبح خمسة ويسمون هذا الكتاب " الفيدا الخامس " ، ويضم سفرين أو قسمين هما " الإبتهازا" و "اليورانا "

ولكن الصحيح كما يقرر ذلك الدكتور علي عبد الواحد وافي أن هذين السفرين وأسعار أخري مثل " السوترا " و " البرهمانا " و "اليوبانيشاد " و"الفيدانتا" و "الأرانيا كاس " هي شروح وتعليقات علي الفيدا وليست من أسفار الفيدا نفسها أنها قد ألفت في عصور متأخرة عن العصور التي ظهرت فيها أسفار الفيدا الأصلية ٠ (١)

ومن الكتب المقدسة الهامة في الديانة البرهمية " قوانين مانو " أو " مانافاد هارماسا سترا" الذي يحتوي تفصيلا شاملا للدين البرهمي عقائده وعباداته ومعاملاته ونظمه الاجتماعية سياسة واقتصادية وتربية وقضاء وحربا وقوانين مدنية وعقوبات ونظم تربية وأخلاق وعلاقات أسرية كما يشتمل علي تاريخ نشأة الكون وخلق الإنسان وتقسيم الطبقات ٠ (٢)

وهذا الكتاب يعد لدي البرهميين من الكتب المقدسة ذات المنزلة الخاصة التي تصل إلي الاعتقاد بأن مؤلفها أحد الآلهة الستة المنبثقين عن الإله الخالق أو المطلق " براهما " ٠

كما يعد من أهم المراجع للباحثين في الدين البرهمي لاستيعابه جميع نواحي

١- المصدر السابق صـ ١٥٤

٢- المصدر السابق صـ ١٥٥

هذا الدين وشموله لجميع فروع الحياة واستمداده الأحكام من الكتب الفيدية نفسها كما أكد مؤلفه نفسه في مقدمته ٠

وينسب إلي مشرع قديم اسمه " مانو" أو " مانافا" ولا يعلم تاريخ تدوينه علي وجه الدقة وأرجع ما قيل في هذا الصدد من آراء أن مؤلفه عاش حوالي القرن الثالث الميلادي ٠ (١)

العقيدة البرهمية في كتبهم المقدسة :-

تقوم العقيدة البرهمية في كتب الفيدا وقوانين مانوا علي الأسس التالية :-

١- توحيد الله مع تعدد أسمائه وصفاته :-

انتهت الكتب الفيدية إلي توحيد الله الخالق وتنزيهه عن النقص والشرك وأن ذكرت له عدة أسماء وكثيراً من الصفات فهو وحده الموجود بحق ولا تمثل هذه الكائنات إلا مظاهر وآثارا صدرت عنه ، وقد سرت منه روح في الجماد والنبات ، وهو النهاية " براهما " الفاعل المطلق والخالق الأزلي والأبدي المتصف بكل صفات الكمال الإلهي وإليه وحده " براهما " يتوجه الأتباع بالعبادة .

ويذكر الدكتور / علي عبد الواحد وافي في الأسفار المقدسة هذه الكلمات التي تقولها أسفار الفيدا علي لسان " براهما " .

أنني أنا الله نور الشمس وضوء القمر وبريق اللهب ووميض البرق وصوت الرياح والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء والأصل الأزلي لجميع الكائنات وحياة كل موجود أنني صلاح الصالح أنا الأول ، والآخر ، أنا الحياة والموت لكل كائن . أنني أنا الله الذي لا أله غيري ، رب الأرباب ، مالك السماوات والأرض " (٢)

١- المصدر السابق صـــ ١٥٥

٢- نفسه صـــ ١٥٧

ويقول البيروني واعتقاد الهند في الله سبحانه : أنه الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحي المحي المدبر المبقي الفرد في ملكوته أي المنزه عن الأصداد والأنداد لا يشبه شيئا ولا يشبه شيء . (١)

ثم اخذ يورد نصوصا كثيرة من كتبهم تؤيد ما ذكره عن اعتقادهم في وحدانية الله وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث .

هذا وتبدو فكرة التوحيد واضحة كل الوضوح في شرحين من شرح الفيدا وهما اليوبانشاد والفيدانتا .

وهذه العقيدة أي عقيدة التوحيد – يتشكك البعض في وجودها علي الحقيقة فينقل الدكتور / احمد شلبي في كتابه أديان الهند الكبري رأيا للويس رينو يقول فيه ولكنهم في وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحيانا للتوحيد أو اتجاه قريب منه فكانوا إذ دعوا إلها من آلهتهم أو اثنوا عليه أو تقربوا إليه بقربان اقبلوا عليه بكل عواطفهم وجل ميولهم حتي يغيب عن أعينهم سائر الآلهة والأرباب ويعلق علي هذا القول بكلام لمؤلف كتاب الفلسفة الهندية القديمة . محمد عبد السلام الذي يصل الحديث بقوله ويصير إليهم هو ذلك الإله لا غير فيسمونه بكل اسم حسن ويصوفنه بكل صفة كمالية ويخاطبونه برب الأرباب واله الآلهة تعظيما وإجلالا لا تحقيقا وإيقانا وإذا عطفوا إلي اله غيره أقاموه مقام الأول . وجعلوه رب الأرباب واله الآلهة ، فهذا التعبير رب الأرباب أو اله الآلهة كان أولا يدل علي العظمة والجلال فلما مضت القرون علي هذا النحو أصبح هذا التعبير ثابت المعني أي أنهم اعتقدوا فعلا أن وصف الآلهة رئيسا ومرؤسين ، وأمر ومأمورين ، وان

١- البيروني تحقيق مال الهند من مقولة صـ ٢٣

الرئيس والأمر هو وحده رب الأرباب واله الآلهة وهذا وصف ثابت لــه لا ينتقل إلي سواه والكائنات كلها تحت يده وسائر الآلهة تحت أمره .(١)

فالديانه البرهمية كانت في أصلها وكما يبدو من نصوص كتبهــا المقدسـة ديانة توحيد لكنها تغيرت وحرفت علي مر الأيام لأنهم زعموا أن براهمــا كان الوجود في فضاء لا نهاية له فرغب أن يكون كثيرا فخلق العالم بقــوة إرادته ويفيض من ذاته ، ويسمي نفسه الخالق ثم انبثق منه إلالــه المــدمر وهو الإله سيما الموكل بالخراب والفناء فلا يذر من شيء آتــي عليــه إلا جعله كالرميم ، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت الســماوات والأرض مــن فيهن ولهذا انبثق من براهما اله ثالث حافظ محدد وهو الإله فيشنوا وبــذلك انمحت عقيدة التوحيد الأصلية في الدين البرهمــي ، واســتبدل بهــا هــذا الثالثوث (٢)

٢- **وحدة الوجود :-**

تقرر الكتب المقدسة للدين البرهمي انه صدرت عــن الله الواحــد جميــع الكائنات وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان ، فالمجوده بحق هــو الله وحده وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه ، وهذا ما يعبر عنه بنظريــة وحدة الوجود التي انتقلت إلي التصرف الإسلامي ونظريات رجاله وخاصــة ابن عربي والحلاج .(٣)

فالفناء في هذا المطلق والاتصال بهذه الروح العامة يمثــل فــي نظــر الهندي هدفا أساسيا في حياته أن لم يكن هدف حياته كلها فعرف الهنود

١- اديان الهند الكبري صـــ ٤٧ ، ٤٨ ثالوث

٢- الاسفار المقدسة صـــ ١٦٠

٣- المصدر نفسه صـــ ١٥٧

من قديم الزمان الزهد المفرط وجهاد النفس بالصوم وارق الليل وتعذيب الجسد كطريق فناء في المطلق والاتصال بالروح العامة .

وفي الفيدانتا تظهر فكرة وحدة الوجود التي يقوم عليها الدين البرهمي وتتضح إلي حد لا يتحمل الجدل من خلال أشارات صريحة بان الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شيء واحد مثل هذه العبارة هذا الكون كله ليس إلا ظهور للوجود الحقيقي الأساسي وان الشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق وان الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصلية وان الجبال والبحار والأنهار . تفجر من ذلك الروح المحيط الذي يستقر في سائر الأشياء .(١)

٣- **<u>إنكار النبوة</u> :-**

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أن من عقائد البرهميين إنكار النبوة ونسب ذلك إلي رجل منهم يقال له براهم مهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول بوجوه منها انه قال أن الذي يأتي به الرسول لم يخلوا من احد أمرين أما أن يكون معقولا وأما أن يكون غير معقول ، فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه فلا حاجة لنا إلي الرسول : وان لم يكن معقولا فلا يكون قبولا آذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية .(٢)

ولا ريب انه أن صح هذا بالنسبة للبرهمية كان دليلا علي انحرافها بعد استقامة خصوصا وان الشهر ستاني نفسه يقول ومن أهل الهند جماعة

١- اديان الهند الكبري صـ ٦٨

٢- الملل والنحل لشهرستاني جـ ٢ صـ ٢٥٨

اثبتوا متوسطات روحانية . يأتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل في صورة البشر من غير كتاب فيأمرهم بأشياء وينهام عن أشياء ، ويبين لهم الشرائع ويبين لهم الحدود ، وإنما يعرفون صدقه بتنزهه عن أحكام الدنيا واستغنائه عن الأكل والشرب والبعال – أي الجماعة .(١)

٤- تناسخ الأرواح :-

يجتمع البراهمية علي الاعتقاد بتناسخ الأرواح بمعني أن الأرواح لا تفني بعد الموت ، ولكنها تبقي بعد مفارقتها للجسد الذي كانت فيه تنتقل إلي جسد أخر وهكذا تظل منتقلة من جسد إلي جسد .(٢)

في طريقها إلي نهايتها الأخيرة وهي العودة إلي أصلها الذي صدرت عنه وهو براهما والاتصال به .

واصل الاعتقاد بالتناسخ هو الاعتقاد بان الروح الإنسانية هي الإنسان بالحقيقة ، وأما الجسد فهو زيف باطل ، ومن ثم فهي خالده يصيبها الفناء الذي يصيب الجسد .

وسبب الاعتقاد بالتناسخ وعلته في نظرهم :

أولا : أن ما ياتيم الإنسان في حياته من أفعال يستتبع نتيجة بالضرورة وذلك بما ينال روحه من النقص أو الكمال ، ومن السعادة أو الشقاء ، فان لم ينله شيء من ذلك في دور حياته الذي وقع فيه ذلك الفعل ناله في ادوار تالية تتناسخ فيها روحه ، سواء في أجساد إنسانية أو حيوانية حسب صلاح أعماله أو فسادها ، حتي تتطهر الروح من شهواتها وأهوائها الفاسدة ونتائج أعمالها الناقصة وتكون بهذا التطهر مستعدة للاتصال ببراهما وانتهاء

١- المصدر السابق جـ ٢ صـ ٢٦٣

٢- الفصل لبن حزم جـ١ صـ ٧٧

دورتها من الحياة الدنيا ويعبرون عن هذه الفكرة بكلمة كارما .

ثانيا : أن الروح بعد خروجها من الجسم تبقي لها أهـواء وشـهوات مرتبطة بالعالم المادي ولم تتحقق خلال دور وجودها في جسدها ، وإذا كانت الميول قد خلقت لتستوفي فإذا لم تستوفي في دورة وجودهـا فـي جسدها كان لابد أن تستوفي خلال التناسخ حتي تكتمل الميول ولا تبقـي للإنسان شهوة ما حتي تنجو روحه وتنطلق لتتصل ببراهما .

من الشروط اللازمة لتجوال الروح وخلاصا علي هذا النحو أن الـروح في عالمها الجيد لا تذكر شيئا عن عالمها السابق فكـل دورة منقطعـة تماما بالنسبة للأرواح عن سواها من الدورات .(١)

ومنزلة التناسخ وتجوال الأرواح لدي البرهيين كمنزلـة الشـهادة عنـد المسلمين والتثليث لدي المسحيين والاسبات عند اليهود ، كذلك التناسـخ عند البرهميين ، فمن لم ينتحله لم يك ولم يعد في جملتها .

ويؤيد البيروني هذه القضية بنصوص من كتبهم فيقول حقيقة علينا أن نورد من كتبهم شيئا من صريح كلامهم في هذا الباب ... قال باسديو لا رجسـن يحرضه علي القتال وهما بين الصفين أن كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معا بموتي ، ولا ذاهبين ذهابا لا رجـوع معـه فـان الأرواح غير مائته ولا متغيرة وإنما تتردد في الأبدان علي تغاير الإنسـان من الطفولة إلي الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ثـم العود وقال له كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجـود لا عن ولادة ولا إلي تلف وعدم ، بل هي ثابتة لا سيف يقطعهـا ولا نـار تحرقها ولا ماء يغصها ولا ريح تيبسها لكنها تنتقل عن بدنها إذا عتق نحو

١- أديان الهند الكبري صـ ٦٤

أخر ليس كذلك كما يستبدل اللباس إذا خلق فما غمك لنفس لا تبيد ولو كانت بائدة فاحري إلا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود فان كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكل مولود ميت عائد ...... (١)

تأثير القول بالتناسخ في بعض الفرق المنتسبة للإسلام :-

وفي الفكر الإسلامي كان لهذا المذهب صداه في بعض جوانبه نجد ذلك عند أحمد بن حابط كما نجده عند أبي مسلم الخرساني والقرامطة .

فقد زعم أحمد بن حابط أن الروح تتكرر في هذه الدنيا في صور مختلفة مادامت طاعات الإنسان مشوبة ومخطلتة بذنوبه ، وعلي قدر ذنوبه وطاعاته تكون منازله ومراتبه في درجات الإنسانية والبهيمية ، فإذا ما تمحض عمل الإنسان إلي طاعات كان مرده إلي دار النعيم أما إذا تحولت أعماله إلي معاصي كان مقره دار الجحيم .

يقول الشهرستاني (أن أحمد بن حايط قد ذهب إلي أن الله تعالي أبدع خلقه أصحاء سالمين عقلاء بالغين في دار سوي هذه الدار التي هم فيها اليوم وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم نعمه ولا يجوز أن يكون أول ما يخلقه إلا عاقلا ناظرا معتبرا فابتدأهم بتكليف شكره فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به ، وعصاه بعضهم في جميع ذلك ، وأطاعه بعضهم في البعض دون البعض فمن أطاعه في الكل أقره في دار النعيم التي ابتدأتهم فيها ومن عصاه في الكل أخرجه من تلك الدار إلي دار العذاب ، وهي النار ومن أطاعه في البعض وعصاه في البعض أخرجه إلي دار الدنيا فألبسه هذه الأجسام الكثيفة وابتلاه بالبأس والضراء والشدة والرخاء والآلام واللذات علي صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات ، علي قدر

١- تحقيق مال الهند من مقولة صـــ ٤٠

ذنوبهم ، فمن كانت معاصيه أقل وطاعاته أكثر كانت صورته أحسن والامه أقل ومن كانت ذنوبه أكثر كانت صورته أقبح والامه أكثر ثم لا يزال يكون الحيوان في الدنيا كرة بعد كرة وصورة بعد أخري مادامت معه ذنوبه وطاعاته ٠٠٠٠) (١)

وقد ذكر ابن حزم أيضا أن بعض فلاسفة الإسلام قد ذهبوا إلي القول بالتناسخ فذهب فريق منهم إلي أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلي أجساد أخري وأن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت ٠٠٠٠ وقال محمد بن زكريا الرازي الطبيب في بعض كتبه : " لولا أنه لا سبيل إلي تخليص أي نقل الأرواح من ألأجساد المتصورة بالصور البهيمية إلي الأجساد المتصورة بصور الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان البتة ، ويقولون أن التناسخ أنما هو علي سبيل العقاب والثواب . قالوا فالفاسق المسيء الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة في الأقذار والمسخرة الممتهنه بالذبح (٢)

واحتجت هذه الطائفه المرتسمه بالإسلام أعنى احمد بن حابط واحمد بن نانوس يقول الله تعالى " يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اى صورة ما شاء ركبك " (٣)

ويقول تعالي " جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه"

الرد :- ويكفى في الرد علي هؤلاء إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم وعلي أن من قال بقولهم فانه علي غير الإسلام وان النبي صلي الله عليه وسلم أتى بغير هذا والمسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد

١- الملل والنحل للشهر ستاني ج١ صـ ٦٨ بهامش الفصل لبن حزم
٢- الفصل لبن حزم ج١ صـ ٧٧
٣- سورة الانفطار الايات ٦، ٧، ٨

فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة ثم بالجنة أو النار في موقف الحشر فقط إذا جمعت اجسادها مع أرواحها التي كانت فيها (١) وأما احتجاجهم بالآيتين باطل أيضا وذلك لان ألامه كلها مجمعون بلا خلاف علي أن المراد بهاتين الآيتين غير ما ذكر هؤلاء الملاحدة وان المراد بقوله تعالي "في اى صوره ما شاء ركبك" أنها الصورة التي رتب الإنسان عليها من طول أو قصر أو حسن أو قبح أو بياض أو سواد أو ما شبه ذلك .

وأما الآية الأخرى فان معناها أن الله تعالي امتن علينا في أن خلق لنا من أنفسنا أزواجا تتولد منها ثم امتن علينا بان خلق لنا من الأنعام ثمانية أزواج ثم اخبر تعالي انه يذرؤنا في هذه الأزواج يعني التي هي من أنفسنا فتبين ذلك بيانا ظاهرا لا خفاء به أن الله تعالي اخبرنا في هذه الآية نفسها أن الأزواج المخلوقة لنا ، إنما هي من أنفسنا ثم فرق بين أنفسنا وبين الأنعام فلا سبيل إلي أن يكون لنا أزواج تتولد فيها من غير أنفسنا .(٢)

٥- عودة الأرواح إلي مصدرها الأول وهو الله :-

تقرر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلي مصدرها الأول الذي نشأت عنه وهو الله . والإنسان احد هذه الكائنات فيعرض له ما يعرض لها وروحه قطرة من نور الله ، وانفصلت عن الله إلي اجل محدود ، واتصلت به ثم تتصل بعده بكائن أخر وأخر وهكذا علي طريق التناسخ وتجوال الروح ثم تعود في النهاية إلي الله متي جاء الأجل كالقطرة من الماء العذب تصعد بخارا ، وترقي في السماء وتنتقل من جهة إلي جهة ، وقد تتحول إلي قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك ، ثم تسقط

١- الفصل في الاهواء والممل والنحل لبن حزم ج١ صـ ٧٧

٢- المصدر السابق صـ ٧٨

علي قمم الجبال ، وتجري في الأنهار ثم ترجع في نهاية مطافها إلي البحر الذي انفصلت عنه في آخر الأمر أو كالهواء الحبيس في قدح مقلوب – حسب تشبيه أسفارهم نفسها – يظل منفصلا عن الهواء الخارجي وان كان منه حتي يتحطم القدح وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان .(١)

٦- الجنة والنار :-

يكون طبيعيا مع ما تقدم من معتقدات البراهمة خاصة الاعتقاد بالتناسخ وعودة الروح إلي خالقها آلا يكون هناك جزاء أخري غير هذه الدورة التناسخية والنهاية إلي الاتصال بالله إلا أن الذي يثير التساؤل ويبعث علي الغرابة أن يعتقد البرهميون في الجنة والنار فكيف ذلك ؟

يقول البيروني شارحا عقيدة البرهميين في الجنة والنار المجتمع يسمي لوك والعالم ينقسم قسمة أولية إلي علو وسفل وواسطة ، فيسمي العالم الاعلي سفرلوك وهو الجنة ، والعالم الأسفل فاكارك أي مجمع الحيات وهو جهنم ويسمي أيضا يزلوك وربما سموه بافال أي أسفل الأرضيين ، وأما الأوسط للاكتساب والاعلي للثواب والأسفل للعقاب وفي هذين الآخرين يستوفي جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل والكون في كل واحد منهما للروح وحدها مجردة عن البدن ، وللقاصر عن السمو إلي الجنة أو الرسوب إلي جهنم لوك أخر يسمي ترجلوك وهو النبات والحيوان غير الناطق يتزود الروح في اشخاصهما بالتناسخ إلي أن ينتقل إلي الإنس ، علي تدريج من ادوان المراتب النامية إلي عليا المراتب الحساسة وكونها فيه علي احد وجهين أما القصور مقدار – المكافأة عن محلي الثواب

١- الاسفار المقدسة صـ ١٥٩ ، ١٦٠

والعقاب وأما لرجوعها عن جهنم ، فعندهم أن العائد إلي الدنيا من الجنة متأنس في أول حالته والعائد إليها من جهنم متردد في النبات والحيوان إلي أن يبلغ مرتبة الإنسان .(١)

وهكذا تم التوفيق بين عقيدة التناسخ وعقيدة الأيمان بالجنة والنار فأرواح الناس في حياتهم الأولي تكون في المنزلة الوسطي منزلة العمل والكسب فإذا ماتوا ذهبت أرواح الخيرين منهم إلي المنزلة العليا (الجنة) تستوفي فيها جزاء اكتسابها مدة معينة تساوي قيمة العمل والاكتساب . أما أرواح الشريرين فتذهب إلي المنزلة السفلي (جهنم تستوفي فيها جزاء ما كسبت مدة معينة تساوي قيمة العمل والاكتساب .

وبعد ذلك تتوزع الأرواح أرواح الخيرين تنتقل إلي آدميين آخرين أي ترجع إلي المنزلة الوسطي وأرواح الشريرين تنتقل إلي الحيوان ، والنبات ثم تتدرج بالتناسخ وهكذا .

فالجنة والنار عند البرهميين علي هذا يكونان للروح وحدها في الدنيا مجرد عن البدن ويكونان مؤقتين لمدة معينة ، ويكونان في الدنيا وأسمائها ويذكر البيروني أنهم يكثرون من الجهنمات وصفاتها وأسمائها محلا خاصا ويفردون لكل ذنب أو لكل مجموعة من الذنوب جهنم خاصة أو محلا خاصا مائة وثمانون في جهنم حتي أن عددها قد بلغ في بعض أسفارهم إلي ثمانية وثمانين ألفا ذكر البيروني منها ثلاث عشر جهنم منها ما يسمي رور وهي مخصصة للكاذب وشاهد الزور والمعاون لهما والمستهزي بالناس ، ومنها ما يسمي رودة وهي مخصصة لسافك الدم بغير حق وغاصب حقوق الناس ، والمغير عليهم وقاتل البقر ومنها ما يسمي كيتب

١- تحقيق مال الهند من مقولة صـ ٤٥

وهي مخصصة لقاتل البرهمة (المنتمي إلي الطبقة العليا وهي طبقة – رجال الدين) وسارق الذهب ومن يصحبهم والأمراء الذين لا يقومون بواجبهم نحو رعاياهم ومن يزني بأهل أستاذه ومن يضاجع أم زوجته ومنها ما يسمي مهاجال وهي مخصصة لمن يغضي علي فاحشة زوجته في منفعة ومن يزني بابنته أو زوجة ابنه أو يبيع ولده أو يبخل علي نفسه بما يملك(١)

ويذكر البيروني مذاهب أخري للبرهميين في الجنة والنار ، منها ما يراه بعضهم من أن جهنم ليست شيئا أخر غير الانحطاط عن البشرية وتردد روح الخاطيء في الحيوان والنبات .(٢)

– الشرائع في الدين البرهمي :–

من أهم شرائع الدين البرهمي النظم المتعلقة بالتفرقة العنصرية وتقسيم المجتمع إلي طبقات ، ووظائف كل طبقة منها واختصاصاتها ، وانتقال هذه الوظائف والاختصاصات بطريق الوراثة فالأبناء يتورثونها عن الآباء .

تضمن ذلك كتب الفيدا وقوانين مانو :–

فتذهب إلي أن الإله براهما قد خلق الناس من أربع طبقات ، وخلق كل طبقة من هذه الطبقات من طبيعة خاصة ومن موضع خاص من جسمه . فخلق طبقة البرهميين من فمه ، وطبقة الكشتريين من ذراعه وطبقة الفيسائيين من فخذه ، وطبقة الشودار أو المنبوذيين من قدمه .

وتقسيم الوظائف الاجتماعية بحسب منزلة كل طبقة وحسب شرف الوظيفة نفسها وأهميتها فللبرهمانيين المخلوقين من اشرف جزء من الإله هو الفم ارقي الوظائف وهي الوظائف الدينية ، فلهم وحدهم حق المنح والمنع

١– المصدر السابق صـ ٤٥ ، ٤٦

٢– المصدر السابق صـ ٤٧

والقبول والرفض ، وللكشتريين المخلوقين من الذراع الذي هو اقل مرتبة من الفم الوظائف الحربية وحماية الشعب ، والذود عن حياض البلاد والمحافظة علي الأمن والفسائيين المخلوقين من الفخذ الأقل مرتبة من الذراع والفم القيام بتربية الأنعام وفلح الأرض وشئون التجارة ، وأما الشودر المنحدرين من القدم الذي هو أحط جزء في جسم الإله براهما فليس لهم غير وظيفة الخدمة للطبقات السابقة ، وهم مع ذلك رجس ونجس لا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم ولا الارتباط بهم إلا برابطة السيد والمسود وفي احياء كثيرة من الهند يعتبر مجرد المنبوذ دنسا ورجسا وفي أحياء أخري يلحق الدنس والرجس بالشخص إذا مر به المنبوذ علي بعد بضعة أمتار ، وديانة المنبوذين غير ديانة بقية الشعب ، فهي تنحصر في عبادة الأرواح وأعظم الآلهة عنهم يظهر في شكل كومة من اجر أو في هيئة أخري ساذجة .(١)

وكما يتوارث الأبناء عن الآباء طبقتهم يتوارثون وظيفتهم .

وقد اجتهد غاندي في القضاء علي هذه الفوارق ورد الاعتبار ألي المنبوذين ولكن جهوده لم تكلل بالنجاح ، وبقي نظام الطبقات علي ما كان عليه من قبل . والي هذا النظام يشير البيروني إذ يقول وللهند في أيامنا من ذلك أي تقسيم الناس إلي طبقات أوفر الحظوظ حتي أن مخالفتنا إياهم وتسويتنا بين الكافة إلا بالتقوي ، أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام (أي أن سير المسلمين علي مبدأ أن الناس سواسية لا فضل لأحدهم علي الأخر إلا بالتقوي كان من أعظم الحوائل بين الهنود والدخول في الإسلام لشدة تمسكهم بالتفرقة العنصرية وهم يسمون طبقاتهم برن أي الألوان ويسمونها

١- الاسفار المقدرسة صـ ١٦٦ ، ١٦٧

من جهة النسب جانك أي المواليد .

ويضيف البيروني إلي ذلك أنه بجانب هذه الطبقات الأربع توجد طبقتان أخريان تشتمل كل طبقة منها علي عدة فروع أحداهما طبقة الصناع والاخري طبقة المشتغلين برد آلات الأعمال .(١)

ومما تعني به شريعتهم نظم الزواج والأسرة حيث يعتبر الزواج واجبا علي كل قادر وتنظر إلي الأعزب نظرتها إلي عنصر فاسد ضار ويعتقد البرهميون أن من يموت بدون عقاب تتخبط روحه كمن يتخبطه الشيطان من المس .(٢)

وتبيح هذه النظم الاستيلاء علي المرأة بالقوة لاتخاذها زوجة كما تبيح أن يلحق الولد بجده لأمة نسبا إذا اشترط ذلك في العقد ، كما تبيح للمرأة الاتصال بزوج أختها لتحمل منه إذا كان زوجها عقيما ، وتبيح أيضا اتصال المرأة برجل قوي نجيب لتأتي لزوجها بأولاد نجباء بإذنه وان يشترك في المرأة عدة أزواج وخاصة إذا كانوا أخوة ولا يزال هذا الاشتراك متبعا إلي الوقت الحاضر في الهند في عدة مناطق وأما تعدد الزوجات للزوج الواحد فقد أباحته جميع كتبهم المقدسة وتضع كتبهم المقدسة قيودا كثيرة علي الطبقات حتي لا تتزوج طبقة من طبقة أخري . (٣)

<u>الأخلاق في أسفار الدين البرهمي :-</u>

تدعو الديانة البرهمية إلي كثير من الفضائل التي يدعو إليها الإسلام وتنهي عن كثير مما ينهي عنه من مظاهر الرذائل والفحشاء والمنكر

١- تحقيق مال الهند من مقولة صـ ٧١
٢- قصة الزواج والعذوبة في العالم صـ ٩ ، ١٠ د/ علي عبد الواحد
٣- الاسرة والمجتمع د/ علي عبد الواحد صـ ٧١ ، ٧٣

والبغي .وتقوم أخلاقها الايجابية علي عشر دعائم أساسية هي الوصايا العشر للدين البرهمي وهي مراعاة الكائن الإلهي ومقابلة الإساءة بالإحسان والقناعة والاستقامة والطهارة وكبح جماح الحواس ودراسة الفيدا والصبر والصدق واجتناب الغضب .

ويذكر البيروني في صدد هذه الدعائم رواية أخري لا تختلف كثيرا عن هذه الرواية فيقول والسيرة الفاضلة وهي التي يفرضها الدين وأصوله بعد كثرة الفروع عندهم راجعه إلي جوامع عدة هي : ألا يقتل ولا يكذب ولا يسرق ولا يزني . ولا يدخر ، ثم يلزم القدس والطهارة ، ويديم الصوم والتقشف ويعتصم بعبادة الله تسبيحا وتمجيدا ، ويديم أخطار اوم التي هي كلمة التكوين والخلق علي قلبه بدون التكلم به .(١)

ومن أهم الرذائل التي تخصها أسفارهم بالذكر الكذب وشهادة الزور وسفك الدم بغير حق والاستهزاء بالناس وغصب حقوقهم والسرقة وخاصة سرقة الذهب وقتل البقر والزنا وخاصة الزنا بالابنة وزوجة الابن وأم الزوجة واتصال التلميذ بزوجة أستاذة وجماع في الأيام المعظمة وآتيان البهائم والأغضاء علي فاحشة الزوجة طمعا في منفعة والاحتيال والغدر وعقوق الآباء والأجداد والشح والبخل علي النفس وإخفاء المال طمعا في صلات الأمراء وإحراق بيوت الناس وقطع الأشجار وتقصير الأمراء في واجباتهم نحو رعاياهم .(٢)

ويبدو أن الأخلاق البرهمية في جملتها تدعو إلي كثير من الفضائل التي يدعو إليها الدين السماوي وتنهي عن كثير مما ينهي عنه الدين السماوي

١- تحقيق مال الهند من مقولة صـ ٥٤ ، ٥٥

٢- المصدر السابق صـ ٤٦

من رذائل ، مما يدل علي أن لها أصلا صله بـدعوة دينيـة قديمـة ، ثـم أصابتها يد التحريف ففرقت بين الناس ووضعت قواعد التفرقة العنصـرية إلي ذلك من رذائل ينهي عنها الدين الصحيح

ثانيا : البوذية :-

هذه هي الديانة الثانية من أديان الهند القديمة وتنسـب هـذه الديانـة إلـي فيلسوف هندي اسمه " بوذا "

نشأ هذا الفيلسوف في بيت من بيوت الهند الكبيرة حوالي القرن السادس قبل الميلاد وقد أطلق عليه أسماء كثيرة منها جوتامـا ومنهـا سـاكيا مـوني ونونسبة إلي قبيلة ساكيا التي منها أسرته . وهذان الاسمان يوجـدان فـي الأسفار المكتوبة عنه باللغة السانسكريتية . ومنها أيضا : تاتا جاتا ومعنـاه الذي جاء ومنها ياجات ومعناه السعيد ومنها سيدارتا ومعناه المشرف علـي النور .(١)

وقد كان بوذا من أسرة غنية تحكم مقاطعة صغيرة علي منحدرات الهملايـا ، وقد تسللت إلي عقله أفكار اختلطت بمرارة الواقع الطبقي عنـدما التقـي برجل من الزهاد الذين يكثر وجودهم ببلاد الهند حتي قبل أيامه ، والـذين يتبعون في عيشهم قواعد قاسية ويقضون معظم أوقاتهم في التأمل والـوعظ والمناقشات الدينية التي تحي أعماق النفس الإنسانية وتنبه العقل الباحث عن الحقيقة فاستولت علي جوماتا رغبة شديدة وملحـة فـي الجـري وراء - الحقيقة وشعر أن الحياة التي يحياها ليست هي الحياة ألحقه ، وان ما قضاه منها كان عطلة دامت أكثر من ينبغي فقرر هجرها والانطلاق وراء البحث والاحتذاء حذو الزهد .(٢)

١- الفلسفة الشرقية د/ محمد غلاب صـ ١٢١
٢- الانسان في ظل الاديان صـ ٢٠٨

والذي دفعه إلي الزهد انه خرج ذات مرة إلي التربص فلقيه شيخ هرم يعرج في مشيته ويئن مما حل به من آلام

فسأل بوذا حاشيته : ما الذي أصاب هذا الرجل حتي جف لحمه ووهن عظمه وانحلت قواه ؟ وهل هذا خاص به وبأسرته أو أن ذلك مال الناس جميعا ؟ ..

فقال بوذا : أننا إذن لمفتونون بشبابنا غافلون عما سيحل بنا .

وقد خرج مرة أخري فرأي نعشا محمولا علي الأعناق والناس من حوله يبكون وينتحبون فسأل ، وقال ما هذا ؟ فقيل له هذا رجل قد استوفي عمره في هذه الدنيا وهذه نهايته .

فقال تعسا لأيام الصبا ، لا تلبث أن تفر منهزمة أمام الهرم وتعسا للحياة فهي حلم نائم .

ثم خرج مرة ثالثة فرأي شخصا يسأل الناس وعليه سيما الوقار والسكينة ، فسأل عنه ، فقيل له انه احد الذين هجروا هذه الدنيا وزخرفها وانقطعوا إلي الله لا تلهيهم تجارة ولا متاع الدنيا ومن هنا صفت نفوسهم واضائت وجوههم واطمأنت قلوبهم ، فقال بوذا حقا لقد اجمع العقلاء علي امتداح التدين والتمسك بالأخلاق الفاضلة والعمل الصالح ولذلك فإنني سأجعل الدين وسيلتي وطريق سعادتي في الدنيا والآخرة .(١)

تعاليم الديانة البوذية :-

أما تعاليم هذه الديانة التي جاء بها بوذا فهي تتخلص فيما يلي :-

١- لقد ألغت هذه الديانة نظام الطبقات الذي كان موجودا في الديانة البرهمية وقررت أن الناس جميعا سواسية كأسنان المشط يتفاضلون

١- مقارنة الاديان د/ عوض الله حجازي صـ ٥٤

في المواهب ، ويتسأوون في الحقوق لا فرق بين شخص وشخص بنسبة أو طبقته ، ولكن الفرق بينهما بالموهبة والقدرة والعمل .(١) ودعت إلي الإخاء والمساواه والرأفة بالضعفاء ومحبة السلام .

٢-قررت هذه الديانة أن هذا العالم المحس المشاهد هو عالم الاذي والإساءة عالم كله شر ، وان الواجب علي الشخص العاقل أن يزهد في هذه الحياة ويبتعد عن لذائذها ومغرياتها كي لا يقع في الشرور والآثام

ويقول بوذا في بعض تعاليمه إنما لا اعرف برهيما إلا الفقير الذي لا يشتهي في حياته شيئا والمتسامح بكل براءة وطهارة يتحمل السب واللعن والضرب بكل صبر ولطافة والذي لا يحسد حاسديه .

ولعل أروع صورة لتعاليم التسامح الديني تلك التي جاءت في محاورة بين بوذا وتلميذ له اسم بورنا عندما أراد بوذا أن يرسله إلي قبيلة معروفة بالشراسة والخشونة ولا ينجح معها إلا الضليع فأراد أن يعرف مدي استعداد تلميذه لتحمل ما قد يلم به من عناء

فقال له بوذا أن رجال هذه القبيلة قساة سريعوا الغضب فإذا وجهوا إليك ألفاظا بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت فاعلا ؟

فأجاب بورنا : أقول لا شك أن هؤلاء قوم طيبون لينوا العريكة لأنهم لم يضربوني بأيديهم ولم يرجموني بالحجارة فان ضربوك بأيديهم ورجموك بالحجارة فماذا كنت فاعلا ؟

أقول أنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصي ولا بالسيوف فان ضربوك بالعصي والسيوف ؟ أقول أنهم طيبون إذ لم يحرموني الحياة نهائيا فان حرموك الحياة

أقول أنهم طيبون لينون إذ خاصوا روحي من سجن هذا الجسد السيء بلا كبير الم ..

فقال له بوذا أحسنت يابورنا وانك لخير من يستطيع أن يعاشر تلك الشعوب البربرية . اذهب فأنت الخالص فخلص غيرك ، وكما وصلت إلي الساحل فأوصلهم معك ، وكما تعذيت فعذهم وكما وصلت إلي مقام النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك (١)

انتشار البوذية :-

انتشرت البوذية في حياة بوذا بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا علي السواء ، أما طبقة الأمراء والجنود فقد وجدوا فيها تنفيسا لكراهيتهم لسلطان البرهمانيين وتسلطهم وأما الآخرون فقد وجدوا تخلصا من معاناتهم من الاضطهاد والاحتقار ولكن البوذية بدأت تنكمش بعد وفاة بوذا إذ بدأت فيها ثغرات وفجوات لم يجد لها الناس إجابة .

إلا انه بعد انقضاء بضعة أجيال تمكن تلاميذ بوذا وإتباعه من سد هذه الثغرات وملء هذه الفجوات أما بالاعتراف بالآلهة الآخرين أو بتأليه بوذا وعبادته واحتلال تمثاله مكانا بين آلهة الهند المتعددة .

وبعد أذن ما لبثت هذه التعاليم أن حيث خصوصا بعد أن استولت علي لب الملك من أعظام الملوك الذين شهدهم العالم كما يقول هجويلز .(٢) وهو الملك سوكا الذي دام ملكه للهند ثمانية وعشرين عاما فتبني مذهب البوذية ، واهتم بجانبها السلبي ، وأعلن أن قوة بلاده وقدرتها علي الفتوح ستكون منذ ذلك الحين فتوحا في ميادين الدين بطريقة سلمية

١- اديان الهند الكبري صـ ١٤٧ ، ١٤٨

٢- المصدر السابق صـ ١٣٧

عملية فحفر الآبار وزرع الأشجار وأسس المستشفيات والحدائق العامة وانشأ وزارة للعناية بأهلي الهند واتخذ العدة لتعليم النساء وخصص هبات خيرية هائلة لتعليم البوذية وانطلقت البعوث الدين إلي كشمير وفارس وسيلان والإسكندرية .

ولكن أسوكا لم يخلف من ورائه من يواصل جهوده ، لذا لم تكد تقضي مائه عام علي وفاته حتي صارت أيام حكمه العظيمة ذكري مجيدة في بلاد الهند التي عبثت بها أيدي التمزق والانحلال ، لقد كانت طائفة الكهان البرهمانية وهي اعلي طوائف المجتمع الهندي وأكثرها امتيازات مناهضة علي الدوام لتعاليم بوذا فراحوا يقوضون علي التدريج نفوذ البوذية في البلاد ، واستردت الآلهة القديمة سلطانها هي والعقائد الهندوكية التي لأعد لها وأصبح نظام الطوائف اشد قوة وأعظم تعقيدا وبعد قرون طويلة ازدهرت فيها البوذية والبرهمانية احدهما بجوار الاخري أخذت البوذية تضحل ببطء وأخذت البرهمانية تحل محلها متخذه عددا كبيرا من الصور والأشكال ، بيد أن البوذية انتشرت خارج حدود الهند بعيدا عن سلطان الطوائف حتي اجتذبت إليها بلاد الصين وبورما واليابان وهي بلاد لا تبرح البوذية سائدة فيها إلي اليوم .(١)

عقائد الديانة البوذية :-

الديانة البوذية لا تشير إلي اله خالق سوي الترفانا والترفانا معناها الإطلاق الطبيعي أو المتساوي أو بوذا نفسه ، ولم تتكلم عن اله صراحة بخلاف الديانة البرهمية التي تقول أن هناك اله بل بوحدة ذلك الإله .

والذي لا يمكن إنكاره أن بوذا نفسه لم يدع يوما انه اله أو ابن آلهة ،

١- موجز تاريخ العالم صـ ١٣٠

ولكن مبالغة إتباعه هي التي جعلت من بوذا آلها ، ومن مذهبه الفلسفي والإصلاحي دينا ، وهذه المبالغة قادتهم إلي الشرك والكفر وذلك ظاهر في عبادتهم لبعض الحيوانات وتقديسهم إياها والتغني بمجدها واستجلاب مددها وتحريم ذبحها تحريما أنباء المذابح التي كانت تحدث نتيجة ذبح هذه الحيوانات .(١)

قواعد الديانة البوذية :-

وتقوم الديانة البوذية علي دعائم أساسية للديانة ، والأركان التي تعتبر خطوطا عريضة يتخذ منها التفسيرات والشروح بحيث لا تخرج تلك الشروح والتفاسير عن هذه الدعائم الأساسية وهي :-

١- الألم من لوازم الوجود

٢- الرجوع إلي هذه الدنيا مرة أخري سببه إتباع الشهوات والنقائض في الحياة السابقة (عقيدة التناسخ)

٣- الخلاص من الشرور والنقائص هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة للأرض في تقمص جديد بعد الموت .

٤- التخلص من العقبات التي توقف حركة الخلاص من الشهوات

٥- التسامح والطيبة والشفقة والحب ولين الجانب والإقلاع عن الرغبات الباهظة والإضراب عن الضروريات الهامة وأشدها درجات الزهد في الحياة نفسها متي كانت مبذولة في سبيل تخليص الغير .

٦- الأغراض في الانكماش والترهب .

وبهذه القواعد والأسس يمكن للإنسان المطبق لها تطبيقا صحيحا أن يصل إلي النرفانا في عرف البوذيين عبارة عن بلوغ النفس الكمال الاسمي وانطلاقها من اسر المادة واجتماعها الأدبي بالنرفانا وهي

١ - الاديان في كافة الميزان د / محمد فؤاد الهاشمي صـ ١٩

الكمال المطلق الغير محدود أو الذي لا يمكن وصفه إلا لمن – انكشفت له الإسرار وكشف عن بصيرته الحجاب فتراء له بوذا نفسه ومعني ذلك أن يفني المؤمن في الروحانية البوذية الكاملة .(١)

الأخلاق البوذية :-

بدأ بوذا منذ فجر اليوم الأول لدعوته لديانته يعلم تلاميذه الفضائل التي رأي أنها وسائل الخلاص والنجاة ولكنه شاء أن يعلمهم هذه الفضائل عن طريق أنبائهم بأضدادها فأعلن أن الرذائل الواجبة التجنب عشر وهي الشهوات والمقت ، والعمي والجهل والادعاء والرأي ، والشك والإهمال والخلاعة والوقاحة .

كانت هذه الرذائل في أول الأمر تذكر في تعاليم بوذا علي النحو المتقدم دون ترتيب ولا تخصيص ، أما بعد ذلك فقد قسمت إلي فضائل اختصت كل ناحية من الإنسان بفضيلة معينة منها بعد تطورها ، وتحديدها في مجموعتها ، وهاك هذا التقسيم :-

أن الرذائل التي تهوي بالإنسان عشر ، وان نواصيه التي تأتي هذه الرذائل ثلاث ، اختصت كل ناحية منها بعدد من تلك الرذائل ، فرذائل الجسم ثلاث ، وهي : التعذيب والسرقة والزني ، ورذائل النطق أربع وهي : الكذب والنميمة والسباب ، والطيش ورذائل التفكير ثلاث وهي : الطمع والخبث والتزيف ..

ولم تكن البوذية تسوي بين هذه الرذائل ، بل جعلتها متفاوتة في مراتب ألاثم كما هي متفاوتة في سرعة الإغضاء عن مرتكبها ولكنها صرحت بأن الندم هو من أهم وسائل الخلاص منها علي أن الفضائل المضادة

١- المصدر السابق صـ ٢٠ ، ٢١

لهذه الرذائل المتقدمة ليست في مجموعها من النوع العـالي فـي رأي البوذية ، وإنما هي فضائل – سلبية لان من تعفف عن السرقة مثلا لـم يزد علي انه هجر رذيلة من شأنه أن يهجرها وهو لهذا لا يسمو إلـي درجة من يستعمل فضيلة الزهادة أو الإيثار أو ما شاكل ذلك .

وعندهم أن أهم تلك الفضائل الايجابية ما يأتي :-

١- حب الحقيقة ٢- الرأفـة ٣- الطهـر ٤- الإحسـان

٥- مداومة التقوي

٦- احتمال كل المؤلمات والمقززات وغير ذلك ..(١)

١- الفلسفة الشرقية د / محمد غلاب صـ ١٤١ ، ١٤٣٢

الفصل الخامس

الديانات الفارسية

نستعرض هنا في هذا الفصل أهم الديانات الفارسية التي كان يعتقدها المجوس في فارس وما تسلل منها إلي الفكر الإسلامي ليظهر بعد ذلك واضحا في مظاهر الزمبقة التي كانت في المجتمع الإسلامي وعاني منها معاناه شديدة وهددت كيانه في فترة خطيرة وهامة من فترات تاريخنا الإسلامي .

وعن ديانة الفرس يقول العقاد " لعل تاريخ الديانة الفارسية القديمة أهم التواريخ الدينية بين الأمم الآسيوية لتوشح القرابة بينه وبين الديانات الهندية والطورانية والبابلية واليونانية وارتباطه بالتواريخ السابقة له واللاحقة به واقتباس الديانة الفارسية من غيرها واقتباس غيرها منها وتقدم الفكرة الإلهية علي يد دزرادشت صاحب الشريعة القومية في بلاد فارس وارفع الأعلام شأنا بين دعاة المجوسية من أقدم عصورها إلي أحدثها .

فالفرس الاقدمون من السلالة الهندية الجرمانية وموقع بلادهم قريب من دولة بابل قريب من أقاليم الطورانيين ، قريب من مسالك الحضارة بين المشرق والمغرب وقد تلاقت حضارة فارس وحضارة مصر في السلم والحرب غير مرة وانقضي زمن طويل علي الدنيا المتحضرة وهي تقرن بين المجوسية وبين الحكمة أو العلم بأسرار الطبيعة والسيطرة عليها بالسحر والمعرفة الإلهية وكان لليهود وأبناء فلسطين وأمم العرب علاقات قديمة بالدولة الفارسية تارة والدولة البابلية تارة أخري فاتصل من ثم تاريخ

المجوس بتاريخ اليهود والمسيحين والمسلمين (١)

وإذا كانت الديانة الفارسية تشترك في أمور وتفترق في أخري فإننا نري أن " التثنية " اختصت بالمجوس حتي اثبتوا اصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد يسمون احدها : النور ، والأخر الظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن (٢)

وإذا كان ما سبق يمثل مظهرا مما اتفق عليه المجوس فان هناك مظهرا أخر من نواحي الاتفاق نود الإشارة إليه وهو كما يعبر عنه الشهر ستاني : " ومسائل المجوس كلها تدور علي قاعدتين اثنين : احدهما : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانية : بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا (٣)

ورغم ذلك فهناك خلاف بين المجوس الأصلية وبين الثنوية وهم المجوس اللاحقون علي المجوس الأصلية .

هذا الخلاف يتمثل في أن المجوس الأصلية ذهبوا إلي أن الأصلية وهما النور والظلمة لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمة محدثه . أما الثنوية فقد ذهبوا إلي أن كلا من النور والظلمة أزليان قديمان وما قلته ألان وان كان يمثل بعض وجوه الاتفاق والاختلاف بين ديانته الفرس أو عقائد المجوس إلا انه لا يعطي الصورة الكاملة والبيان الواضح لهذه الديانات وهو ما سنحاول توضيحه وبيانه في الصفحات التالية

١- الكيومريثة :-

هم أصحاب " كيومرث " وهو أول من نسب إليه القول بأصلي الوجود وهو

---

١ - الله للعاقد صـ ٨٧

٢ - الملل والنحل للشهر ستاني ج١ صـ ٢١٢

٣ المصدر نفسه صـ ٢١٢

في الأساطير الفارسية " ادم " أول الخليقة وقيل انه أول من قال بالأصـلين يزدان واهرمن وذهب إلي أن يزدان أزلي قديم واهرمن محدث مخلوق .

ولكن كيف حدث هذا المحدث وهو " اهرمن " ، وكيف خرج من النور وهو خير بحت – الظلام وهو شر بحت ؟

تجيب الأسطورة الكيو مرثية علي ذلك فتقول : أن فكرة الشر حدثت حـين فكر " يزدان " في نفسه " انه لو كان لي منازع كيف يكون " وهذه الفكـرة كانت رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة . وهذه الفكرة أو هذا الظلام انفصل من عالم النور وسمي " اهرمن " انفصل عنـه لأنه يخالفه طبيعة وفعلا فهو مطبوع علي الشر والفتنة والفسـاد والفسـق والضرر والأضرار ومن هنا فلا يستطيع النور أن يحيا مـع الظـلام ولا يستطيع الظلام أن يحيا مع النور .

ولذا نري انه قد جرت محاربه بين عسكر النور وعسكر الظـلام فتـدخلت الملائكة وصالحوا المعسكرين علي أن العالم السفلي خالصا لاهرمن سـبعة ألاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمة إلي يزدان

أنا كيف حدث الإفراج بين النور والظلمة ؟

فقد زعموا أن النور خير الناس – وهم أرواح بلا أجساد – بين أن يرفعهم عن مواضع اهرمن وبين أن يلبسهم الأجساد فيحاربون اهـرمن فاختـاروا لبس الأجساد ومحاربة اهرمن ، لكن الذي حدث أنهم اختاروا لبس الأجساد ومحاربة اهرمن علي أن يمدهم بقوة من جنده فإذا ما تم لهم النصـرة مـن عند النور والظفر بجنود اهرمن وحسن العاقبة وعند الظفر بـه وإهـلاك جنوده تكون القيامة فذاك سبب المتزاج وهذا سبب الخلاص (١)

١- الملل والنحل للشهر ستاني جـ ١ صـ ٢١٤

٢- الزروانية :

الطائفة الثانية بعد الكيومثية هي الزروانية ويقال أنها عاصرت نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وأنها قاومته مقاومة عنيفة وهي تشبه الكيومرثية إلا أنها تفترق عنها في تصوريها نشأة الموجودات في صورة أخري .

ذلك أنها قررت : أن النور أبدع أشخاصا من نور ، كلها روحانية ربانية وكان أعظمها شخصا " زروان " هذا الشخص الأعظم شك في شيء من الأشياء فحدث " اهرمن " الشيطان يعني إبليس من ذلك الشك .

وزعم بعض الزروانية : انه لم يزل - كان - مع الله شيء رديء أما فكرة رديئة وأما عفونه رديئة ، وذلك هو مصدر وزعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن وكان أهلها في خير محض ونعيم خالص فلما حدث " اهرمن " حدثت الشرور والآفات والفتن والمحن وكان بمعزل عن السماء فاحتال حتي خرق السماء وصعد ، وقال بعضهم كان هو في السماء والأرض خالية عنه فاحتال حتي طرق السماء ونزل إلي الأرض بجنوده كلها ، فهرب النور بملائكته واتبعه الشيطان حتي حاصره في جنته وحاربه ثلاثة ألاف سنة ، لا يصل الشيطان إلي الرب تعالي ثم توسط الملائكة وتصالحا علي أن يكون إبليس وجنوده في قرار الأرض تسعة ألاف سنة بالثلاثة ألاف التي قاتله فيها ثم يخرج إلي موضعه

ورأي الرب تعالي عن قولهم الصلاح في احتمال المكروه من إبليس وجنوده وان لا ينقص الشرط حتي تنقضي المدة المضروبه للصلح والناس في البلايا والفتن والخزايا والمحن إلي انقضاء المدة ثم يعودون إلي النعيم الأول وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء يفعلها ويطلقه في أفعال رديئة

يباشرها فلما فرغا من الشرط اشهرا عليهما عدلين ودفعا سيفيهما اليهما وقالا لهما من نكث فاقتلاه بهذا السيف (١)

ويعلق الشهر ستاني علي تفسير بعض الزروانية لوجود الشر فيقول " ولست أظن عاقلا يعتقد هذا الرأي القائل ويري هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ولعله كان رمزاً إلي ما يتصور في العقل ومن عرف الله سبحانه وتعالي بجلاله وكبريائه لم يسمح بهذه الترهات عقله ولم يسمع مثل هذه الترهات سمعه .

ثم يورد الشهر ستاني تعليلا أخر لوجود الشر في العالم يحكيه عن " أبي حامد الزوزني "

أن الشيطان كان لم يزل في الظلمة والجو والخلاء بمعزل عن الكون حتي رأوا النور فجذب إليه فوثب وثبه فصار في سلطان الله النور وادخل معه الشروز والآفات فأوجد الله تعالي هذا العالم شبكة له فوقع فيها وصار متعلقا بها لا يمكنه الرجوع إلي سلطانه فهو محبوس في هذا العالم يرمي بالآفات والمحن إلي الناس فمن أحياه الله رماه بالموت ومن أصحة رماه بالسقم ومن سره رماه بالحزن فلا يزال كذلك إلي يوم القيامة وفي كل يوم ينتقص سلطانه حتي لا تبقي له قوة فإذا كانت القيامة ذهب سلطانه وخمدت نيرانه وزالت قوته واضمحلت قدرته فيطرحه في الجو والجو ظلمة ليس لها حد ولا منتهي ، ثم يجمع الله تعالي أهل الأديان فيحاسبهم ويجازيهم علي طاعة الشيطان وعصيانه .(٢)

١- المصدر السابق صـ ٢١٤ ، ٢١٥ ج١

٢- المصدر نفسه ج١ صـ ٢١٧

٣- الزردشنتية :

تنسب هذه الديانة إلي " زردشت " بن بوزشب نبي الفرس صاحب الدين الذي اعتنقته فارس واثر في حضارتها

ولقد كان وجود " زردشت " موضع شك لدي كثير من الباحثين واختلف المثبتون لوجوده في تاريخ مولده " فكتاب اليونان " يرجعون بتاريخ مولده إلي أقدم الأزمنة فنجد مثلا " بلبتوس " يؤكد معتمدا في ذلك علي أرسطو انه " زردشت " كان علي قيد الوجود قبل وفاة أفلاطون بخمسة ألاف عام ويذكر البعض أن " زردشت " كان موجودا في عهد سمير أميس ملكة نينوي وملكها نينوس

ويرجع احد الكتاب المحدثين عهد زراد شت إلي عشرين ألف عام قبل الميلاد . بل يذهب إلي أكثر من ذلك فيقول انه في ذلك العهد السحيق في القدم كان زرادشت صاحب الديانة الزرادشتية هو في الحقيقة سابع من تسمي بهذا الاسم ويذهب بعض العلماء من ناحية أخري إلي أن زرادشتا ولد عام ألف قبل الميلاد وذلك استنادا علي نص ورد في احدي الكتابات الآشورية . علي أن الروايات الزرداشتبة نفسها تؤيدها في ذلك المصادر الغربية تجعل بداية تعاليم زرادشت قبل وفاة الاسكندر المقدوني بـ ٢٢٢ سنة وهذا يحدد مولده بعام ٦٦٠ قبل الميلاد وكانت وفاته عام ٥٨٣ قبل الميلاد . وقد ألف الأستاذ " جاكسن " كتابا عن حياته كان له اثر كبير في ترجيح كفه المثبتين لوجوده وقد وصل في بحثه إلي أن " زرادشت " شخص تاريخي لأخرافي وانه كان من قبيله ميديا في الجزء الغربي الشمالي من فارس وانه ظهر أمره نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد ومات نحو سنة ٥٨٣ قبل الميلاد بعد أن عمر ٧٧ سنة وان موطنه كان

أذربيجان .وعلي هذا يمكن القول بان اصح التقديرات في تاريخه ترجع إلي انه قد ولد سنة ٦٦٠ قبل الميلاد وانه قد مات سنة ٥٨٣ قبل الميلاد (١) ويروي أهل فارس عما صحب ولادته من أمور خارقة للعادة لا نستطيع التثبيت منها بالأساليب العلمية ولكن الذي يمكن أن نقوله " انه القطع منذ صباه إلي التفكير ومال إلي العزلة وانه في أثناء ذلك رأي سبع رؤي ثم أعلن رسالته فكان يقول انه رسول الله بعثه ليزيل ما علق بالدين من الضلال وليهدي إلي الحق وقد ظل يدعو الناس سنين طوالا فلم يستجب لدعوته إلا القليل فأوحي إليه أن يهاجر إلي بلخ فتشر دعوته في بلاط الملك فاستجاب له أولاد أبناء الوزير ثم الملكة نفسها وقاومه رجال البلاط وجادلوه ولكنه انتصر عليهم بدخول الملك نفسه وهو " بشتاسب " في دينه وقد تحمس الملك لهذا الدين الجديد فتتابع فيه أفواجا .(٢)

مصادر الزرادشتية :-

ولزردشت كتاب مقدس يسمي " افستا " وعليه شرح يسمي " زند افستا " قال المسعودي " واسم هذا الكتاب " " الإيستا " وإذا عرب أثبتت فيه قاف فقيل " الايستاق " وعدد سوره احدي وعشرون سورة تقع كل سورة في مائتي ورقة وانه كتب باللغة الفارسية الأولي .

وهذا الكتاب يقسم العالم إلي قسمين الروحاني والجسماني أو الروح والشخص ، كما يقسم الخلق إلي قسمين التقدير والفعل ثم يتكلم في موارد التكليف وهي حركات الإنسان فيقسمها إلي ثلاثة أقسام الأعتقاد والقول والعمل وبالثلاثة يتم التكليف فإذا قصر الإنسان فيها خرج عن الدين

١- فجر الاسلام تأليف د/ احمد امين صـ ٩٩

٢- المصدر نفسه صـ ١٠٠

والطاعة وإذا جري في هذه الحركات علي مقتضي الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر .

أما عن معالجة الزرادشتية لمشكلة الشر وكيف نشأ في هذا الوجود ؟ ثم كيفية الخلاص منه فانه يري " أن النور والظلمة أصلان متضادان وكذلك " يزدان " و " اهرمن " وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور من التراكيب المختلفة والباري تعالي خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له وضر ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة ... ولكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم وهما يتقاومان ويتغالبان إلي أن يغلب النور الظلمة والخير والشر ثم يتخلص الخير إلي عالمه والشر ينحط إلي عالمه وذلك هو سبب الخلاص والباري تعالي هو الذي مزجهما وخلطهما لحكمه رآها في التراكيب وربما جعل النور أصلا وقال وجوده وجود حقيقي وأما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلي الشخص فانه يري انه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور وحصل الظلام تبعا لان من ضرورة الوجود التضاد فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الأول كما ذكرنا في الشخص والظل(١) .

أما كيف توصل زردشت إلي هذه الحقيقة من وجهة نظره ؟ أو كيف لاحت له بوارق الخلاص مما كان يفكر فيه في هذه المشكلة الكبيرة فان بعض المراجع تفسر ذلك بان زرادشت ظل أياما وأسابيع يفكر أمام كهفه فوق الجبل ويحاول أن يفهم سر هذا العالم ولكنه لم يستطع أن يجد ما يفسر له

١- الملل والنحل للشهرستاني ج١ صـ ٢١٨

عالم الخير والشر . وتساءل عما إذا كان عليه أن يتخلي عن بحثه عن مصدر العناء وان يعود إلي زوجته وأطفاله

وأخذت الشمس تغوص خلال ذلك في المغرب وراء الأفق واستحالت الشمس أمام ناظريه بين ذهبية وقرمزية وحمراء ثم أخذت الشمس تغيب في بطء شيئا فشيئا خلف التلال ونشر الظلام جناحيه علي الوادي تحته وعلي حين فجأة قفز زرادشت واقفا علي قدميه وقد ملاءه فرح غامر لقد امسك بيديه سر الحكمة التي يبحث عنها

وجاء ذلك الإدراك وهو يرقب غروب الشمس كما أدرك وقتئذ أن اليوم ينقسم إلي قسمين النهار والليل والنور والظلام ، ولكن الم يكن يعرف هذه الحقيقة العادية منذ طفولته ؟ نعم ولكنه تبين فيها الآن سر الحكمة

فكما أن اليوم يتألف من النور والظلام فالعالم أيضا فيما بدا لزرادشت يتألف من الخير والشر

وكما أن الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما أبدا النهار متألق والليل مظلم فكذلك لا يمكن أبدا للخير أن يصبح شرا ولا للشر أن يصبح خيرا قط الخير لابد أن يكون خيرا دائما والشر لابد وان يكون شرا أبدا .

وإذا كان الخير دائما خيرا والشر شرا فان السحرة والكهنة الذين يقومون علي عبادة الأوثان لابد أن يكونوا جزء من الخطأ أيضا فهم يعتقدون أو يوهمون الناس أن الإنسان يستطيع أن يصلي لآلهة الخير لتوقع الشر بأعدائه ويتقرب لآلهة الشر من اجل أن تصنع له خيرا .

وبدا واضحا كل الوضوح لزرادشت أن العالم تحكمه قوتان خير واحد وشر واحد وقال زرادشت أن " اهوار فردا " وهو قوة الخير وان " أهرمان " هو قوة الشر .

غير أن زرادشت – وان كان قد أصبح لديه سر الحكمة – إلا انه لم يصبح واضحا له تماما لماذا خلق الشر ، ولا كيف يجب علي الناس أن يفعلوا من اجل أن يقضوا علي الشر وعلي العناء ؟

وظل زرادشت واقفا علي جبل سايلان يستوضح أفكاره شيئا فشيئا ويتقدم في بطء من حقيقة اكتشافه أن الخير خير دائما وان الشر شر أبدا تماما كما يتقدم نحو السبيل الذي يجعل الناس كلهم أخيارا .(١)

وتقر الزرادشتية بالأمور الغيبية السمعية من البعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار فيقولون أن للإنسان حياتين حياة أولي في الدنيا وحياة أخري بعد الموت ونصيبه في حياته الآخرة نتيجة لأعماله في حياته الأولي وقد أحصيت أعماله في كتاب وعدت سيئاته ديونا عليه ، وفي الأيام الثلاثة التي تعقب الموت تحلق نفس الإنسان فوق جسده وتنعم أو تشفي تبعا لأعماله ومن اجل هذا تقام الشعائر الدينية في هذه الأيام إيناسا للنفس وعند الحساب تمر النفس علي صراط ممدود علي شفير جهنم وهو للمؤمن عريض سهل المجاز وللكافر ادق من الشعرة فمن امن وعمل صالحا جاز الصراط بسلام ولقي اهورا فأحسن لقاءه وانزله منزلا كريما وألا سقط في الجحيم وصار عبدا لاهرمن وان تعادلت سيئاته وحسناته ذهبت الروح إلي الأعراف يوم الفصل وقد غيب علي الإنسان في حياته الدنيا وأعدله بعد موته ولم يعلم الخير من الشر فكان من رحمته الله أن أرسل رسولا يهدي به الناس وفي الأساطير الزرادشتية أن النبوة أولا نزلت علي جمشيد ملك الفرس ولكن لم يستطع حملها زردشت فكان الله يكلمه وينزل عليه الوحي(٢)

١- قصة الديانات صـ ٢٨٣ ، ٢٨٦ لسليمان مظهر

٢- احمد امين فجر الاسلام صـ ١٠٢

وقبل أن نختم هذا البحث عن الزردشتية نسأل هذا السؤال

هل كانت الزرادشتية دينا ثانويا يري أن العالم يحكمه إلهان : الـــه الخيـــر واله الشر أو المبدآن النور والظلمة أو هو أي زرادشت يـــري أن العـــالم يحكمه اله واحد وان ما يوجد في العالم من خير وشر إنما هما مظهران أو أثران لإله واحد .

كانت هناك إجابات مختلفة علي هذا السؤال

فقد رأي بعض الباحثين أن تلك الديانة ديانة ثانوية كما يدل علي ذلك ظاهر النصوص

أما الرأي الأخر فذهب إلي انه موحد والي ذلك ذهب " القلقشـــندي " فـــي " صبح الاعشي " وغيره من الباحثين

يقول الأستاذ " هوج " أن زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحدا ومـــن الناحية الفلسفية ثانويا .

ولعل الأستاذ هوج يريد من قوله أن زردشت من ناحية العقيدة كان يري أن للعالم إلها واحدا ، ولكن إذا تعرض لشرح فلسفة العالم وما فيه مـــن خيـــر وشر يتطاحنان فهو ثنوي يري أن في العالم قوتين .(١)

وقد سميت الزرادشتية عند المسلمين بالمجوسية والمجوسية علم علي عبادة النار وقد اعتنق زرادشت – فيما يبدو – عبادة النار ودعـــا إلـــي تقديســـها فأصبح وسما للملة المجوسية وللدين الفارسي كله ثم بقيت هذه العبادة حـــين دخل الإسلام فارس وانتشرت بيوت النـــار فـــي أرجـــاء الامبراطوريـــة الإسلامية

١- المصدر نفسه صـــ ١٠٣

أما مصير الديانة الزرادشتية فقد اعتنق معظم إتباع تلـــك الديانـــة الـــدين الإسلامي عند الفتح الإسلامي لبلاد فارس وفر بعض إتباعها إلي بلاد الهند فكانوا اصل طائفة المجوس في الهند إلي اليوم ولا تزال طائفة منهم تقيم في "بمباي " تعرف بالفرسين وظلت قلة منهم علي الديانة الزرداشتية .

- الفصل السادس -

- اليهودية -

هي احدي الديانات السماوية الثلاث المشهورة وهي الديانة اليهودية ، والديانة النصرانية ، والإسلام وهي أقدمها وجودا وتنسب هذه الديانة إلي أتباع سيدنا موسي عليه السلام الذي أرسله الله إلي بني إسرائيل ، وقد كان وجود موسي عليه السلام في التاريخ قبل عيسي بما يقرب من ١٣٠٠ سنة أو يزيد (١)

<u>اليهودية : اسم منسوب إلي اليهود:-</u>

وهذا اللفظ أما مشتق من هاذا يهود إذا رجع وتاب من ذنبه وذلك لأنهم عندما تابوا ورجعوا من عبادة العجل الذي صنعه لهم السامري قال موسي عليه السلام داعيا ربه ومناجيا له يوم التوبة من عبادة العجل (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنه وفي - الآخرة أنا هدنا إليك ..)(٢)

أي رجعنا وتبنا من ذنبنا وهو عبادة العجل وعلي ذلك يكون اسم يهود عربيا لاشتقاقه من لفظ عربي هوهاد وأما أن يكون مشتقا ومأخوذا من يهوذا وهو اسم احد أنباء سيدنا يعقوب عليه السلام ومن المقربين إليه واكبر أولاد يعقوب عليه السلام سنا وعلي هذا الاسم اليهود معربا لأنه منسوب إلي اسم أعجمي يهوذا .

والنسبة إلي يهوذا أرجح عند بعض الباحثين وذلك قياسا علي نسبتهم إلي إسرائيل (يعقوب) عليه السلام .

١- مقارنة الاديان صـ ٥٦ د/ عوض الله حجازي

٢- سورة الاعراف اية ١٥٦

وهناك من يقول أنهم سموا (يهود) لأنهم إذا جاءهم نبـــي أو رســـول هادوا إلي ملكهم ، فدلوه عليه ليقتلوه .

وقيل أن اسم اليهود مشتق من الهوادة بمعني المودة واللين وهذا الـــرأي بيعد وذلك لأنه لا مودة فهم قوم أنانيون لا يحبون إلي الانفسهم .

ويكرهون غيرهم ويحتقرونهم ، ولذلك كانوا دائمـــا فـــي الـــبلاد التـــي يسكنونها يبتعدون عن أهلها ويعتزلونهم ، فأنهم كانوا يرون أنهـــم مـــن جنس غير جنس باقي البشر ، وذلك أنهم أبناء الله وأحباؤه كما يزعمون

وقيل أنهم سموا بهذا الاسم لأنهم يهودون أي يتحركـــون عنـــد قـــراءة التوراة ، وقد نسب هذا الرأي إلي أبي عمرو بن العلاء ، وليس بشـــيء وذلك لان المسلمين يتحركون عند قراءة القرآن وعلي هذا فليس التحرك عند القراءة أمرا خاصا بهم .(١)

ويذهب الدكتور / احمد شلبي : إلي أن اسم اليهود قد حدث لهم عنـــدما أحتل الفرس ارض (يهوذا) أطلق الفرس علي شعب (يهـــوذا) اســـم اليهود ، وأطلقوا علي عقيدتهم اليهودية .(٢)

تاريخ اليهود قبل موسي عليه السلام :-

من المعروف أن الجزيرة العربية اغلبها صحراء وجبال وانه يندر فيها وجود الترع والأنهار والبلاد الصحراوية اغلب أراضيها جـــدباء فهـــي قليلة الخضرة والنبات لذلك قد حدثت هجرات كثيرة من الجزيرة العربية – قديما – إلي شمالها طلبا للانتجاع والمرعي ، ورغبـــة فـــي الـــرزق والماء .

١- مقارنة الاديان صـــ ٦٠ د / عوض الله حجازي

٢- اليهودية د/ احمد شلبي صـــ ٨٤

فمنذ الألف الثالث قبل الميلاد هاجرت بعض القبائل العربية من الجزيرة العربية إلي الشمال ، ويحدثنا التاريخ أن قبائل الفينيقيين كانت أقدم القبائل المهاجرة والتي خرجت من الجزيرة العربية ووصلت إلي الشمال حيث استقرت علي الشاطيء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط علي شريط ضيق يحده البحر الأبيض من الغرب والجبال الشاهقة من الشرق ويقول المؤرخون أن هذا المكان الضيق وصعوبة الإقامة فيه هو الذي دفع الفينيقيين إلي ركوب البحر حتي صاروا سادة البحار من قديم الزمان ثم هاجر بعد قبائل الفينيقيين قبائل أخري ، ومنها قبائل الكنعانيين الذين استقروا في شمال الجزيرة وقد أطلق علي الأرض التي سكنتها هذه القبائل ارض الكنعانيين .(١)

وقد ظل اسم كل قبيلة من هذه القبائل المهاجرة ، يغلب علي المنطقة التي نزلت بها إلي أن هاجر إلي هذه المنطقة جماعات من جزيرة كريت تلك الجزيرة التي تقع في البحر الأبيض المتوسط بالقرب من ايطاليا .

وكانت هذه القبائل تسمي فلسطين وقد غلب هذا الاسم علي سكان المنطقة فسميت المنطقة كلها فلسطين .

وفي الشمال الشرقي لنهر الأردن كانت تعيش قبائل الآراميين الوافدة من حوض الفرات بعد أن ازدحمت سهول دجلة والفرات بالوافدين من الجزيرة العربية ، وهذه القبائل هي المعروفة في الكتب المقدسة : بالسوريين وكانت دمشق عاصمتها وكانت هذه القبائل تعمل بالزراعة ولكن موقعها دفعها للعمل في التجارة البرية ، فإذا كان الفينيقيون قد

١- اليهودية د/ احمد شلبي صـ ٤٣

امتهروا بركوب البحر متأجريين فان الموريين ركبوا البر منافسين لهم في النشاط التجاري ، والآراميون كانوا قريبين جدا من الكنعانيين في لغتهم وديانتهم وعنصرهم .(١)

ومن هنا يتبين لنا أن ساحل البحر الأبيض الشرقي كان ملتقي الهجرات من جهتين :-

١- من شمال ووسط الجزيرة العربية من ناحية .

٢- ومن حوض نهري دجلة والفرات من ناحية ثانية .(٢)

إبراهيم عليه السلام :-

ينتسب إبراهيم – عليه السلام – إلي الجنس السامي ، وهو الذي تفرع من سام بن نوح عليه السلام .

ولقد نشأ إبراهيم في ارض البابليين بالعراق ، وكان قومه آهل أوثان وكان أبوه نجارا ينحت الأصنام ويبيعها وكان إبراهيم قد أقاد الله بصيرته وهداه إلي الرشد فعلم أن الأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع وان أباه هو الذي يصنعها من الخشب .(٣)

قال الله عز شأنه ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكتابه عالمين ، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين .(٤)

ومن هنا فإبراهيم بعد أن أتاه الله رشده بدأ بممارسة الدعوة إلي هذا الإله الواحد ولما كانت عقيدتهم الشرك راسخة في عقول وقلوب هؤلاء نتيجة لما درجوا عليه من حبهم لاسلافهم وتقديسهم لآبائهم كانت دعوة

---

١ اليهودية د/ احمد شلبي صـ ٤٤

٢ مقارنة الاديان صـ ٦٥

٣ قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار صـ ١٠٣ مكتبة التراث

٤ سورة الانبياء الايات من ٥١ ، ٥٤

إبراهيم تلقي صعوبات بالغة مع ترفقه بهم .

وتظهر صورة الأدب النبوي في الدعوة إلي الله تعالي اظهر ما تكون في دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه فبدأ حديثه معه بذكر بنوته ليستثير عطفه وشغاف قلبه ، ثم يسأله عما يدعوه إلي ركونه إلي الأصنام وعكوفه علي عبادتها مع أنها لا تسمع دعائه وثناءه ولا تبصر خضوعه ولا تستدفع في بلاء فتدفعه أو تستمنح شياء فتمنحه .(١)

قال عز من قائل علي لسان إبراهيم .... إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان أن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا .(٢)

ولكن أباه يهدده ويتوعده أن سار في دعوته . قال أراغب أنت عن الهتي يا إبراهيم لان لم تنته لارجمنك واهجرني ماليا

فيجيب إبراهيم في آداب سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسي إلا أكون بدعاء ربي شقيا(٤)

ويعبر القرآن الكريم عن موقف إبراهيم – عليه السلام – من قومه بعد أن رسخت عقيدة التوحيد في نفسه فيقول واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل

١- قصص القرآن للاستاذ / جاد المولي صـ ٣٧ دار التراث
٢- سورة مريم الايات ٤٢ ، ٤٥
٣- سورة مريم الايات ٤٦ ، ٤٨

يسمونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بلي وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال فرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين ، والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .(١)

وقد كان إبراهيم قويا في حراسه عقيدته عقليا ومحاربه عبده الأصنام محاربه اقناعية عقلية ليثت لهم قيمة ما يدعو إليه . فقد روي له موقف جليل في مناقشة احد الطغاة في عصره وهو النمروذ عندما سأل إبراهيم عن ربه فقال له إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال الملك الطاغية أنا احي وأميت ويقال انه أخر محكوما عليه بالإعدام وقتل برئيا

وكان من الممكن أن يستطرد إبراهيم ويناقشه في حقيقة الحياة ولكنه عير به إلي تحد أخر اثبت من خلاله عجز الطاغية بطريق الإلزام المفحم حين تحداه بان ربه يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الملك الطاغية . قال الله تعالي الم تر إلي الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا احي وأميت قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين .(٢)

ومما يدل علي قوة حجته قومه أيضا ما جاء عنه عليه السلام في موقفه من الأصنام عندما خرج قومه في يوم عيدهم وتخلف إبراهيم عن الخروج معهم وقام عليه السلام – بتكسير الأصنام التي يعبدونها من

---

١ - سورة الشعراء الاية ٦٩ وما بعدها

٢ - سورة البقرة اية ٢٥٨

دون الله وعلق فأسه في رأس كبيرهم وحينما عادوا ذهلوا من هول هذه المفاجأة فقالوا من فعل هذا – بألهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتي يذكرهم يقال له إبراهيم فاحضروه وسألوه قائلين أنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم أن كانوا ينطقون فرجعوا إلي أنفسهم فقالوا أنكم انتم الظالمون ولكن هذه العودة لم تنفعهم طويلا بل عادوا يحتجون لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .(١)

ولكنهم لما عجزوا عن مقارعة حجته تدانيها لجأوا إلي استخدام القوة الغاشمة قالوا حرقوه وانصروا ألهتكم أن كنتم فاعلين .

ولما اعدوا عدتهم لهذه الفعلة الشنيعة تدخلت العناية الإلهية ومنعت النار من اخص خواصها وهو الإحراق بل حولتها إلي خاصية أخري وهي أن تكون بردا وسلاما علي إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الإخاسرين ونجيناه ولو لما إلي الأرض التي باركنا فيها للعالمين .(٢)

أن هذه الآية الكريمة : تشير إلي أن هذه الأرض التي هاجر إليها إبراهيم عليه السلام ارض فيها خير وبركة وان الله تعالي قد باركها للعالمين من خلقه ، مما يدل علي أنها دار هجرة لقبائل أخري ولم تكن لإبراهيم وحده عليه السلام .

والآية بهذه الصورة تبيين الوضع التاريخي لهذه المنطقة من الأرض وهي أنها ارض باركها الله تعالي ، وملاها بالرزق الكثير والعيش الرغد لكل من يحل فيها ويأتي إليها من العالمين وانه قد باركها الله بوجود كثير من الرسل فيها ، وإنها كانت دار هجرة من زمن قديم –

١- سورة الانبياء اية ٥١ وما بعدها
٢- سورة الانبياء اية ٧٠ و ٧١

ومن هنا ندرك السر في هجرة كثير من القبائل إليها قديما .(١)

وهاجر إبراهيم عليه السلام وابن أخيه لوط وزوجته سارة وبعض الإتباع والخدم من ارض الشرك والكفر والعصيان في بابل بالعراق إلي هذه الأرض الطيبة المباركة ارض كنعان في زمن يختلف المؤرخون في تحديده وتعيينه ، ولكنهم بالرغم من هذا الاختلاف أمكنهم أن يحصروا آراءهم في أن زمن هذه الهجرة يتراوح بين سنتي ٢٠٠٠ ، ١٧٠٠ ق . م

الهجرة الثانية : هذه هي الهجرة الأولي لسيدنا إبراهيم عليه السلام وهي التي كانت من بابل بالعراق إلي ارض الكنعانيين بالشام ارض فلسطين ألآن لكن هناك هجرة ثانية قام بها أبو الأنبياء إبراهيم من الشام إلي مصر وكان ذلك بسبب جدب وقحط حل في هذه البلاد فهاجر إبراهيم إلي مصر ، ولكنه لم يمكث فيها كثيرا – إذ ما لبث أن عاد إلي ارض فلسطين ، ثم استمر مقيما في فلسطين إلي أن وافته منيته فمات ودفن في مدينة فلسطين تسمي مدينة الخليل وهي معروفة بهذا الاسم حتي ألآن .(٢)

ولا يفوتنا أن نذكر انه عليه السلام قد سافر إلي مكة عدة مرات حيث اسكن فيها ابنه إسماعيل وزوجة هاجر وحيث أمره الله ببناء بيت الله الحرام هو وابنه إسماعيل عليهما السلام .

قال الله تعالي : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم .(٣)

١- مقارنة الاديان صـ ٦٧
٢- نفس المصدر صـ ٦٨
٣- سورة البقرة اية ١٢٧ وما بعدها

<u>إسرائيل (يعقوب) عليه السلام :-</u>

إسرائيل هو يعقوب ، وهو حفيد إبراهيم عليه السلام وهو من الذين هداهم الله وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهداهم . فهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وهو نبي الله ووالد نبي الله يوسف عليه السلام .

وقد نشأ يعقوب وعاش في ارض الكنعانيين بالشام وفلسطين ألان ، وقد ولد له اثنا عشر ولدا من عدة نسوة وهم يوسف وبنامين وشمعون وليفي ويهوذا وراؤبين وزيولون ، ودان – وبساكر وجاد وأشير .

وهؤلاء الأولاد الإثناء عشر هم اصل الأسباط الإسرائيليين المذكورين في القرآن الكريم ، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وعلي هذا فالأسباط هم تلكم الجماعات التي تناسلت من هؤلاء الأبناء ألاثني عشرة أسباطا أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ...(١)



وقد اشتهر من هؤلاء الأبناء ألاثني عشرة يوسف عليه السلام وصار نبيا مرسلا وقد تحدث القرآن عنه في أكثر من سورة ومما يدل علي رسالته قوله تعالي في سورة غافر ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيان فما زلتم في شك مما جاءكم به حتي إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مصرف مرتاب .(٢)

وقوله تعالي : وكذلكَ يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلي آل يعقوب كما أتمها علي أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ....(٣)

١- سورة الاعراف اية ١٦٨
٢- سورة غافر اية ٢٤
٣- سورة يوسف اية ٦

وليوسف في القرآن الكريم سورة خاصة سميت باسمه ولقد صورت هذه السورة في قوة بيان واتساق نظام وائتلاف الآيات حياة يوسف ونشأته بين أخوته وأبية وبينت شدة حب أبيه له وعطفه عليه ثم غيرته أخوته من ذلك وحسدهم له وتآمرهم عليه كي يقتلوه أو يبعدوه عن أبيه قال تعالي معبرا عن هذه الحالة علي لسان اخوته اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين .(١)

كما بينت السورة موقف أخوته منه وأنهم وباعوه بثمن بخس دارهم معدودة ، وكيف قدم به السيارة إلي مصر حملوه إليها وشراء العزيز له ثم عطف العزيز عليه وإكرامه له حتي كأنه ابن له من صلبه قال الله تعالي وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسي أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض .. الآية (٢)

ويبلغ يوسف رشده ، ويفيض الله تعالي عليه العلم والحكمة والتقي والعفة ، ويمتحن يوسف في دينه وشرفه وعفته ويبتلي بامرأة العزيز فتراوده عن نفسه فيأبى ويمتنع وكيف يخون من أحسن إليه وأكرمه وانعم عليه ؟ وأوصي به خيرا ، فيهرب منها جاريا نحو الباب فتجري خلفه وتقد قميصه من دبر (أي من الخلف) وعند الباب تجد سيدها زوجها عنده فتعلن لزوجها أن يوسف خائن لشرفه ومنكر لمعرفة وانه راودها عن نفسها ولكن الله تعالي العليم الخبير ، ينجيه من كيدها بواسطة قد القميص قطعة من دبر ، ومع ذلك فقد رأي العزيز بعد ذلك

١- سورة يوسف اية ٩

٢- سورة يوسف اية ٢١

انه من الحكمة والمصلحة أن يدخل يوسف السجن اتقاء الفتنة .(١)
ودخل يوسف السجن ودخل معه فتيان ، ويري كل منهما رؤيا فيسفرها لهما ، ويقول يوسف للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (٢)
وبعد تلك السنين أراد الله أن يعجل بالفرج ليوسف فهيأ الأسباب وذلك بأن رأي الملك رؤياه التي يقول فيها انه رأي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات .. أصبح فرعون منزعجا لهذين المنامين فدعا بالسحرة وكل من له علم يسألهم عن تأويل هذا المنام فلم يجد عند احدهم جوابا بل قالوا أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين عند ذلك تذكر الفتي منامه الذي رآه في السجن وتفسير يوسف له عند ذلك قال الفتي أرسلوني إلي يوسف ليفسر له الرؤيا فيأتيه الفتي ويفسرها له ، ويبلغ ذلك عزيز مصر ، فيحب الملك يوسف ويأمر بإحضاره ويقربه إليه ثم يوليه خزائن الدولة .(٣)
وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني علي خزائن الأرض أني حفيظ عليم .(٤)
وهي وظيفة تشبه مركز وزير التموين في العصر الحاضر .
وتمر الأيام ويحصل جدب وقحط في بلاد الكنعانيين فيأتي أهلها إلي مصر لشراء الطعام والحبوب منها ويحضر مع هؤلاء الرجال أخوة يوسف فيعرفهم يوسف ويكرمهم وبعد أن جهزهم بجهازهم طلب منهم

١- مقارنة الاديان صـ ٧١ .
٢- قصص الانبياء للشيخ النجار صـ ١٦٣
٣- نفسه صـ ١٦٣ ، ١٦٤
٤- سورة يوسف اية ٥٤

أن يأتوا في المرة القادمة ومعهم أخ لهم من أبيهم وهو شقيقه بنيامين . ويكيد يوسف لأخوته وبتمكين من استبقاء أخيه معه . وذلك عندما وضع صوان الملك في وعاء أخيه وفي المرة الثالثة يحاول يوسف أن يعرفهم بنفسه حينما جاؤا إليه في المرة الثالثة وقالوا له يا أيها العزيز مسنا وأهلنا النصر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا أن الله يجزي المتصدقين .(١)

قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلت بيوسف وأخيه إذ انتم جاهلون قالوا انك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين (٢)

ثم بعد أن يعرفهم بنفسه يغفر لهم خطأهم ويصفح عنهم ويطلب منهم أن يأخذوا قميصه فيلقوه علي وجه أبيه حتي تذهب الغشاوة التي حصلت لعينه من شدة حزنه علي يوسف وأخيه ، وبعد ذلك يحضرون أباهم وأهلهم معهم ويدخلون جميعا ارض مصر ويقيمون فيها وفي ذلك يقول الله تعالي حكاية عن ذلك إذهبوا بقميص هذا فالقوه علي وجه أبي يأت بصيرا واتوني بأهلكم أجمعين .... إلي قوله تعالي ورفع أبويه علي العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤيا من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الله بيني وبين أخوتي أن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم .(٣)

١- سورة يوسف اية ٨٨.

٢- سورة يوسف ٨٩ ، ٩٠

٣- سورة يوسف اية ٦٣ وما بعدها

إسرائيل وبنوه في مصر :

مرت بمصر سنون من الرخاء فاض خلالها الخير وادخر الكثير منه ثم جاءت سنوات أخري من الجدب والقحط فهرع الناس إلي خزائن الملك يطلبون عونه ويسألونه القوت واخذ يوسف يمنحهم القوت نظير ما يملكون من فضة وذهب وماشية وأطيان ، وامتدت المجاعة إلي الممالك المحيطة بمصر وكان وقعها شديدا علي العبرانيين .

فدفع يعقوب أبناءه ليطلبوا الميرة من مصر ، وهناك عرفهم يوسف ولكنهم لم يعرفوه وجرت بينه وبينهم أحداث انتهت بأن جلي يوسف لهم الأمر ، وأعلن لهم انه أخوهم وطلب إليهم أن يحضروا أباه وأهلهم أجمعين .(١)

وقد أنزلهم فرعون مصر في منطقة جيدة التربة خصبة الإنتاج من ارض مصر يقومون بزراعتها فيعملون علي فلاحتها والانتفاع بها .

وفي الحق أن بني إسرائيل في مصر في هذه الفترة لم يكتفوا بالاستيطان والاستقرار ، وإنما هبوا يجمعون المال ويتكالبون عليه ويحصلون عليه من طرق مشروعة وغير مشروعة ، واستغلوا كرم الضيافة عند المصريين وبدأوا في محاباة المستعمر الهكسوس .

وبدأوا من خلال هؤلاء الحكام الأجانب يحاولون السيطرة علي مقومات الحياة في مصر ، وخصصوا لأنفسهم عن طريق الرشوة والاختلاس فريدا من الأرض المصرية في أخصب أراضي الدلتا .

وجعلوا لهم أسواقا خاصة يبيعون فيها سلعهم واشتغلوا – بالسمسرة وهي مهنة غلبت علي بني إسرائيل في مصر .

---

١ – اليهودية د/ احمد شلبي صـ ٦١

ومن هنا وبهذا الأسلوب وبمعونة الأجنبي تغلغلوا في اقتصاد مصر مباشرة وتدخلوا في شئون مصر داخليا وخارجيا ، وكفروا بنعمة المصريين وكان اخطر ما قاموا به هو التجسس لحساب المستعمر .(١)

ومن هنا كره الشعب المصري الإسرائيليين كراهية شديدة لتعاونهم مع المستعمر ، ولاختلاف الدين بينهم وبين المصريين أيضا لان المصريين كانوا في ذلك العهد يعبدون الشمس والنيل والحيوانات بينما الإسرائيليون أناس موحدون يؤمنون بالإله الخالق ويعبدونه فإنهم كانوا علي ديانة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام وهما من رسال الله الذين يدعون إلي التوحيد ويخصون الله جل شأنه بالعبادة .

لذلك اعتزل الإسرائيليون الشعب المصري واجتنبوه وكانت العزلة من صفات بني إسرائيل ، واشتغلوا بالتجارة والزراعة وإصلاح الأراضي الزراعية وامتلكوا الكثير منها وسخروا في زراعتها بعض المصريين يعملون فيها ويفلحونها ، كما اشتغلوا بتجارة الذهب والفضة وصناعتهما ومن هنا صار الإسرائيليون من أغنياء الدولة واثروا ثراء فاحشا .

ولكن الأيام دول يوم لك ويم عليكم ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، فقد حدث أن ثار المصريون علي الهكسوس وخرجوا عليهم وحاربوهم وانتصروا عليهم وتمكنوا من طردهم من بلادهم وصار الحكام علي مصر وملوكها من المصريين أنفسهم ، فتملكوا أرضهم وديارهم وصاروا هم الحاكمين فاخذ فرعون مصر يذيق الإسرائيليين صنوف العذاب ويشدد عليهم في الأعمال كما سلب حكام مصر منهم .

١- قصة الدين مع مسيرة الفكر الاسلامي في اليهود واليهودية عقيدة وتاريخا صـ٨٦ د/ عبد السلام عبده

الاختصاصات والامتيازات التي كانت لهم ، والتي كان قد أعطاها الهكسوس لهم ، وانعكس الوضع وصار المصريون هم الذين يسخرون الإسرائيليين في الزراعة واستصلاح الأراضي وغيرها .(١)

لقد ضيقوا عليهم الخناق خشية أن يقوموا ضد الشعب بثورات بل حدث أن احد الفراعنة من ملوك مصر اخذ يقتل أبناء الإسرائيليين الذكور ويستحي النساء تنكيلا بهم وخشية من كثرتهم وخوفا منهم أو كان ذلك لان احد الكهنة قد نصحه بذلك .(٢)

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحادثة في آيات كثيرة منها قوله تعالي في سورة البقرة " وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء – العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم(٣)

وأخيرا شاء الله سبحانه وتعالي أن ينقذهم مما هم فيه من ذل الاضطهاد فأرسل لهم من ينقذهم من أيدي المصريين ومن براثن فراعنة مصر ونريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودها منهم ما كانوا يحذرون .(٤)

واستمر إذلال المصريين لهؤلاء الإسرائيليين إلي أن أرسل الله سيدنا موسي لينقذهم من هذا الذل وهذه المصائب التي كانت تقع عليهم .

١- المصدر السابق صـ ٧٥
٢- مقارنة الاديان صـ ٧٥
٣- سوة البقرة اية ٤٩
٤- سورة القصص اية ٤

موسي عليه السلام :

وكان موسي عليه السلام من مواليد تلك الفترة التي عــزم فيهــا فرعون علي قتل الأطفال واستبقاء الإناث ، ولكن الله نجاه من الموت ، وفي القرآن الكريم تصوير رائع لطفولة موسي عليه السلام حيث يقــول الحق جل علا وأوحينا إلي أم موسي أن ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيــه في اليم ولا تخافي ولا تحزني أنا رادوه إليك وجاعلوه مــن المرســلين فالتقطه آل فرعون ....(١)

وقالت امرأة فرعون لفرعون إلا يحتمل إلا يكون الطفل عبريا لا تقتلوه عسي أن ينفعنا أو نتخذه والدا ، واستجاب لها فرعون وتربي موسي في رعاية فرعون ، ولكنه عندما شب أدرك انه من بني إسرائيل فقــرر أن يكون ظهيرا لهم ، وذات يوم رأي خلافا يدور بين مصري وعبرانــي ، فهتف العبراني بموسي أن يساعده ففعل وسقط المصري قتيلا بضــربه من موسي وثار المصريون ضد العبرانيين ثم اتجهت ثورة المصــريين ضد موسي عندما اعترف عليه العبراني الذي استغاث به بالأمس ، ولم يجد موسي بدأ من الهرب واتجه في هربه إلي الجنوب الشرقي حيــث قاده الطريق إلي ارض مدين مقر نبي الله شعيب وهناك تــزوج ابنتــه وكان صداقها خدمته لأبيها ثماني حجج .(٢)

ثم اشتاق موسي إلي مصر وأخذه الحنين والوجد إليها وأراد أن يعــرف أخبار أهله ، واستشار صهره شعيبا في ذلك فأذن له ووهب له بعــض المال والأغنام ، وصار مع زوجة في طريق العودة حتي وصــل إلــي ارض سيناء ، وهناك خيل له انه ضل الطريق فوقف مترددا ، ولكنه

---

١ سورة القصص الايات ٧ ، ٨

٢ اليهودية د / احمد شلبي صــ ٦٥ ، ٦٦

سرعان ما أبصر نارا تشتعل في جانب الطور الأيمن فقال لأهله امكثوا إني أنست نارا لعلي أتيكم منها بقبس أو أجد علي النار هدي ، فلما أتاها نودي يا موسي إني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوي وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي أنني أنا الله لا اله إلا أنــا فاعبــدوني وأقــم الصلاة لذكري .(١)

وبدأت بذلك رسالة موسي وأمره الله أن يذهب إلي فرعون ليدعوه إلــي عبادة الله وحده فقد طغي وبغي وعلا في الأرض واســتكبر وتجبــر ، أمره الله بالذهاب إليه ليدله علي طريــق الله تعــالي وطريــق الرشــاد والهدي .

وفي ذلك يقول الله عز وجل اذهب إلي فرعون انه طغي فقل هــل لــك إلي أن تزكي وأهديك إلي ربك فتخشي فأراه الآيــة الكبــري ، فكــذب وعصي ، ثم أدبر يسعي فحشر فنادي فقال أنا ربكم الاعلي .(٢)

وقد أعطاه الله تعالي الأدلة علي نبوته من معجزات ظاهرة وآيات باهرة تدل علي صدق موسي عليه السلام ، وذلك مثل قلب العصا حية وجعل اليد السوداء بيضاء من غير سوء .

ثم دعا موسي فرعون إلي الأيمان بالله وتوحيده وهناك طلب فرعون من موسي الأدلة علي رسالته فأقام له ألحجة علي ذلك فالقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ولكــن فرعــون أبــي واستكبر ولم يؤمن برسالة موسي عليه السلام وقال أن هذا لساحر مبين

١- سورة طه اية ١٠ ، ١٤
٢- سورة النازعات الايات ١٧ وما بعدها

وحاول إيذاء موسي والاعتداء عليه ولما امن السحرة بموسي وبما جاء به من الحق قال فرعون انه لكبيركم الذي عالمكم السحر فـــلا قطعـــن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل .(١)

وعندما رفض فرعون الإيمان بدعوة موسي طلب منه أن يطلـــق بنـــي إسرائيل ليعبدوا إلههم يهوه في البرية ولكن فرعون لم يســـتجب لطلـــب موسي ولهذا خرج موسي ببني إسرائيل سرا وتبعهم فرعـــون بجنـــوده فالحق بهم وقد بلغوا شاطيء البحر فلما تراءي الجمعان قال أصـــحاب موسي أنا لمدركون قال كلا أن معي ربي سيهدين فأوحينا إلي موســـي أن اضرب – بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسي ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين .(٢)

ويعلق أكثر المفسرين علي هذه الآية الأخيرة بأن إغراق فرعون علي هذا النحو كان لقوله فيما حكاه عنه القرآن الكريم في قوله تعالي يا أيها الملاء ما علمت لكم من اله غيري .(٣)

وقوله تعالي لموسي لان اتخذت إلها غيري لاجعلنك من المسجونين(٤)

وقوله فحشر فنادي فقال أنبا ربكم الاعلي ولذلك جاء بعـــد هـــذه الآيـــة فأخذه الله نكال الآخرة والأولي أن في ذلك لعبرة لمن يخشي (٥)

وهذا التعليل هو الذي تذكره الآية الكريمة فانتقمنا منهم ، فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بأياتنا وكانوا عنها غافلين .(٦)

١ــ سورة طه اية ٧٢

٢ـ سورة الشعراء اية ٦١ الي ٦٦

٣ـ سورة القصص اية ٣٨

٤ـ سورة الشعراء اية ٢٦

٥ـ سورة النازعات الايات ٢٣ الي ٢٦

٦ـ سورة غافر اية ١٣٦

بنوا إسرائيل ودخول فلسطين :

بعد أن نجي الله موسي وقومه من فرعون وظهرت المعجزات الباهرة والايات الظاهرة علي يدي موسي عليه السلام ومع ذلك فان بني إسرائيل ، عندما خرجوا من البحر وانجاهم الله من الغرق وجدوا قوما يعكفون علي أصنام لهم .

فقالوا يا موسي : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ولكن موسي عليه السلام رفض أن يجيبهم إلي طلبهم ودعاهم إلي عباد الله وحده واخذ يذكرهم بنعم الله عليهم فيقول لهم كما قال الله تعالي أن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم علي العالمين وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون آباءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (١)

ومع أن موسي قد ذكرهم بنعم الله عليهم فانه لما طلب الله منه أن يأتيه عند الجبل (الطور) وضرب له ميقاتا لذلك ثلاثين ليله ليتلقي من الله الوصايا والتعليمات التي يسير عليها هو وشعبه وطالت هذه الليالي فبلغت أربعين لان موسي أستاك في أخرها فكلفة الله أن يزيدها عشرا تحول بنوا إسرائيل عن الحق واتجهوا إلي الباطل وعبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري من ذهب لقوم .(٢)

وفي ذلك يقول الله تعالي واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين (٣)

١- سورة الاعراف اية ١٣٩ وما بعدها
٢- مقارنة الاديان د / عوض الله حجازي صـ ٨١
٣- سورة الاعراف اية ١٤٨

ومع هذا الإيذاء وهذا الشغب الذي عامل به الإسرائيليون نبيهم موسي فقد أراد الله لهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم فطلب موسي منهم أن يدخلوا هذه الأرض الموعودة ولكن بني إسرائيل كانوا يخافون الحرب فتمكنت منهم الذلة والصغار فصاحبوا بموسي قائلين أن فيها قوما جبارين وأنا لن ندخلها حتي يخرجوا منها .(١)

وبذلت محاولات لا غرائهم بالدخول ووعود بالنصر ولكنهم أصروا علي موقفهم قالوا يا موسي أنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا ها هنا قاعدون .(٢)

ولم يستجب لموسي احد سوي أخيه هارون ، فشكا موسي إلي ربه قائلا رب إني لا املك إلا نفسي وأخي ففرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٣)

فنزل عليهم حكم الله فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس علي القوم الفاسقين .(٤)

ويقرر أكثر الباحثين انه التيه هو الذي حدد بأربعين سنة وليس التحريم ، فالتحريم مطلق ابدي أي لن يكون لهم بها استقرار ومن اجل هذا يوقف في القراءة بعد قوله محرمه عليهم (٥)

ومات هارون ثم موسي ، في فترة التيه وتولي يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسي وكلن يوشع احد أصفياء موسي ، وقد اختاره موسي قبل موته لقيادة بني إسرائيل فاتجه يوشع بإتباعه إلي الشمال شرقي نهر الأردن ، ثم بدأ يوشع بعد العودة لعبور الأردن ونزول – فلسطين ، فلما

---

١ سورة المائدة اية ٢٢
٢ سورة المائدة اية ٢٤
٣ سورة المائدة اية ٢٥
٤ سورة المائدة اية ٢٦
٥ قصص الانبياء للشيخ النجار صـ ٢٧٣

عبر بنوا إسرائيل النهر كانت اولهما المدن التي استولوا عليهـا مدينـة اريحا وقتلوا كل ما بها من إنسان أو حيوان وحرقوا المدينة كلها .

وكان ذلك أول العهد ببني إسرائيل في فلسطين ، وامتد سـلطان يوشـع عند ذلك ، ويذكر أن الذين عاصروا موسي من بني إسرائيل قد هلكـوا جميعا في الصحراء ولم يدخل منهم فلسطين إلا اثنان كان يوشع واحـد منهما ، أما باقي الجيش الذي اقتحم فلسطين فكان من الأبناء الذين ولدوا في فترة التيه .(١)

ويصف ول ديورانت أحداث هذه الفترة أدق وصـف فيقـول : كانـت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلا واضحا لانقضاض جموع جيل علـي جماعة امنين ، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر مـن اسـتطاعوا قتلهم منهم وسبوا من بقي من نسائهم وجرت دماء القتلي انهارا وكـان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس فريضة الشريعة التي أمـر بها الرب موسي وزكاة للرب ، ولما استولوا علي احدي المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفا واحرقوها وصلبوا حاكمها . ولسـنا نعـرف فـي تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل و ، والاستمتاع بـه ، وقـد كان موسي من رجال السياسة المتصفين بالصبر والاناه أما يوشع فلـم يكن إلا جنديا فظا وقد حكم موسي حكما سليما لم تسفك فيه دمـاء أمـا يوشع فقد أقام حكمه علي قانون الطبيعة الذي يقول أن أكثر الناس قـتلا هو الذي يبقي حيا وبهـذه الطريقـة اسـتولي اليهـود علـي الأرض الموعودة(٢)

١- اليهودية د / احمد شلبي صـ ٧٣ ، ٧٤

٢- قصة الحضارة صـ ٣٢٦ ، ٣٢٧ ج٢

العقيدة اليهودية في أسفارهم –

كانت الديانة اليهودية في أصلها كما ينبئنا بذلك القرآن ديانة توحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال والتجرد من جميع مظاهر النقص والمخالفة للحوادث ، في كل شيء كما هو الشأن في الدين الإسلامي ولكن يظهر من استقراء تاريخ اليهود ، وما ورد بشأنهم في القرآن الكريم وما ورد في أسفارهم نفسها أن فهمهم للذات العلية لم يكن في أي عصر من عصورهم مطابقا كل المطابقة لهذا الوضع وان فكرة الألوهية لديهم قد اجتازت المراحل الثلاث آلاتية :-

١- فالقرآن الكريم يحدثنا أن بني إسرائيل لم تقوي عقولهم في مبدأ الأمر علي فهم الذات العلية الفهم الصحيح وظنوا انه من الممكن رؤيتها بل علقوا إيمانهم بموسي ورسالته علي رؤيتهم لله تعالي وفي هذا يقول القرآن الكريم وإذ قلتم يا موسي لن نؤمن لك حتي نري الله جهره فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (١)

ويخبرنا القرآن كذلك أنهم لم تطمئن نفوسهم إلي عبادة اله لا يستطيعون رؤيته ، وطلبوا إلي موسي حينما رأوا قوما يعكفون علي أصنام لهم أن يجعل لهم إلها يحسونه كما يحس هؤلاء آلهتهم وفي هذا يقول الله تعالي وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فاتوا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم ، قالوا يا موسي اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال أنكم قوم تجهلون أن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم علي العالمين .(٢)

---

١ سورة البقرة الايتان ٥٥ ، ٥٦
٢ سورة الاعراف الايات ١٣٨ الي ١٤٠

وينبئنا كذلك القرآن الكريم وتنبئنا أسفارهم نفسها أنهم في أقدم عصورهم قد ارتدوا عن عبادة إلههم أكثر من مرة فعبدوا العجل تارة والأصنام تارة أخري ..

ومن الغريب أن سفر الخروج وهو من أقدم أسفارهم المزعومة قد نسب إلي هارون نفسه عليه السلام انه قد يسر لبني إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلي الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم بيده عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله (١)

ويظهر من التأمل في أقدم سفرين من أسفارهم المزعومة وهما سفر التكوين وسفر الخروج أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة في عقولهم إلي نهاية المرحلة التي تم فيها تدوين هذين السفرين .

فتصوروا الإله في صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل . وظهر تصورهم هذا في كثير مما ورد في هذين السفرين .

فمن ذلك ما يرويه سفر التكوين في قصة ادم وحواء واخراجهما من الجنة إذ يذكر أن الله تعالي قد نهاهما عن الأكل من شجرة - المعرفة ، ومخفيا عنهما حقيقة هذه الشجرة فذكر لهما أن الأكل منها يفضي إلي رقي التفكير وانعصار أعطية الجهل وانبثاق نور المعرفة ولكنه الإله كان يريد ابقاءهما جاهلية حتي لا يشاركاه في صفة من اخص صفاته ولما أغري الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة ونساؤه وراءهما زوجها إدراكها ما كان يجهلانه من قبل فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين وانه لا يليق بهما أن يقابلا ربهما علي هذه الصورة

١- سفر الخروج اصحاح ٣٢

ولما قدم الإله نحوهما مخترقا طرق الجنة وسمعا صوته وحركته في أثناء سيره اختبأ حتي لا يراهما عريانين وأخذا يخصفان علي عورتيهما من ورق الجنة فناداهما ربهما واخذ يستجوبهما واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما انه لابد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة ، وان ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما وان الإنسان قد أصبح بذلك احد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح وانه قد أصبح لزاما أن يطرد الإنسان من الجنة حتي لا تمتد يده إلي شجرة أخري هي شجرة الخلد فيكفل لنفسه ارقي صفات الإله وهو البقاء (١)

وقد عرض القرآن الكريم في أكثر من سورة لعدة مواقف من قصة ادم وحواء واكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة بدون أن يبدو في أي موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث .

ومن ذلك أيضا ما يذكره سفر التكوين من أن لله تعالي أولاد من الذكور وان هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللائي كان عددهن قد كثر في الأرض فاتخذوهن خليلات وولد لهم منهن نسل امتاز ببسطة كبيرة في الجسم وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان (٢)

ومن ذلك أيضا ما يرويه سفر التكوين في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سدوم وعمورة إذ يذكر أن ثلاثة رجال وهم الله وملكان معه قدموا علي إبراهيم وهو جالس أمام خيمته وان إبراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعثاء سفرهم وقدم إليهم ماء لشربهم

١- سفر التكوين الاصحاح الثالث

وغسل أرجلهم وفطائر وعجلا حنيذا لطعامهم فانتحي ثلاثتهم تحت ظل شجرة واخذوا يأكلون ما قدمه لهم ، وإبراهيم جالس علي مقربه منهم ثم تفقد الإله زوجة سارة وسأله عنها واخذ يبشره ويبشرها بأنه سيمر بهما في هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا ثم اشتبك معه إبراهيم في نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد اهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك لأن بعض أهلها أتقياء ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسيء .(١)

وقد ذكر القرآن هذه القصة علي حقيقتها فبين أن الذين وفدوا علي إبراهيم كانوا ملائكة مشكلين في صورة آدميين فظنهم بشراً فقدم إليهم طعاماً فلم تصل أيديهم إليه لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وفي هذا يقول الله عز شأنه ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشري قالوا سلام قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيف فلما رأي يديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف أنا أرسلنا إلي قوم لوط ....(٢)

ومن ذلك أيضاً ما يقرره سفر التكوين من أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض فستة أيام استراح في اليوم السابع وكان يوم السبت وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرم فيه العمل . (٣)

وعلي زعمهم هذا يرد القرآن الكريم إذ يقول الحق جل وعلا ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب .(٤)

أي لم يمسنا تعب حتى نحتاج إلي الراحة .....

١- سفر التكوين الاصحاح الثامن عشر
٢- سورة هود ايات من ٦٩ الي ٧٦
٣- سفر التكوين الاصحاح الثاني
٤- سورة كاف اية ٣٨

ومن ذلك أيضاً ما ذكره سفر التكوين عن يعقوب وأنه لقي الله ذات ليلية وأخذ يصارعه حتي بزغ الفجر بدون أن يستطيع الله سبيلا إلي التغلب علي يعقوب وحينئذ ضرب حق فخذ يعقوب فأنخلع ولما بلغ الوهن من الله مبلغة طلب إلي يعقوب أن يخلي سبيله لأنه قد طال أمد المصارعة وطلع الفجر ولكن يعقوب لم يقبل أن يطلهة إلا إذا باركه فقبل الله تعالي شرطة وباركه وسأله عن أسمه فقال يعقوب الله لن تسمي بعد الآن يعقوب بل تسمي إسرائيل لأنك كنت قوياً علي ا لله .(١)

ومن ذلك أيضاً ما يقرره سفر الخروج من أن إلههم يفد من الضحايا التي تقدم إليه وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها .(٢)

٢- ثم أخذ تصورهم للذات العلية يرقي شيئاً فشيئاً ويتخلص نوعا ما من شوائب النقص والتجسيم كما يبدو ذلك في أحدث توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين .

غير أنه يبقي لديهم الاعتقاد بأن لهم إلها خاصاً يهم وهو اله إسرائيل وأنهم هم أولاده وأحباؤه وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى وأن الههم في صراع مع هذه الآلهة ولم يتخلص الههم هاذ كل التخلص من صفات الحوادث بأن ظل عالقا به في نظرهم بعض هذه الصفات فمن ذلك أن أحث أسفارهم المزعومة وهو سفر اللاويين يذكر في أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة يرتاح لها الإله ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه علي المقصرين أو غير المراعين لمراسم التقديم فيرسل عليهم نارا تحرقهم كما

١- سفر التكوين الفقرات ٢٤ الي ٣٢

٢- سفر الخروج فقرات ٣٨ الي ٤٣

فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسنا تقديم الأضحية .(١)

ويرد الله تعالي في القرآن الكريم علي مزاعمهم الباطلة فيقــرر أن الله لا يناله شيء من لحوم الأضاحي ولا من دمائها وأنه قد شرع الأضحية لتكون مظهراً من مظاهر تقوي الله وامتثال أوامره وشكره علــي نعمائــه التــي أسبغها علي عباده وخاصة علي ما رزقهم من بهيمــة الأنعــام وفرصــة للإحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين وفي هذا يقول الله تعــالي لــن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كــذلك ســخرها لكــم لتكبروا الله علي ما هداكم وبشر المحسنين . (٢)

ويقل فيما يقدم في الحج من الهدي ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فــي أيام معلومات علي ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البــائس الفقير (٣)

٣- ويظهر أنه بعد أن قربت عقيدتهم من التوحيد وتنزيه الإله من الــنقص أرتكست مرة أخرى أرتكاساً كبيراً في العهد الذي ألف فيه التلمود .

فأسفار التلمود تظهر أله إسرائيل متصفاً بكثير منصفات الحوادث وصــفات النقص ويبدو ذلك علي الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الإله وضخامة أعضائه وما يرويه عن نشاطه وأعماله في الليل والنهار وعن حَالتــه بعــد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل وما يقرره بصدد تخصيص أيام من كــل عام لعباده أله آخر صغير وبصدد حرص الإله علي أن تقدم له أضحية من الآدميين (٤)

١- سفر الاويين
٢- سورة الحج اية ٣٧
٣- سورة الحج اية ٣٨
٤- الاسفار المقدسة صـــ ٢٨

وقد ذكر أبن حزم أن سفرا من أسفار التلمود يسمي سفر توما قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال أنها من أعلاها إلي أنفه خمسة آلاف ذراع وانه قد جاء في سفر أخر من أسفار هذا الكتاب أن في رأس خالقهم ما جاء فيه ألف قنطار من ذهب وفي اصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب وان الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفوه (١)

وورد في بعض أسفار التلمود أن الله يقضي الساعات الثلاث الأولي من النهار في مذاكرة الشريعة والساعات الثلاث الثانية في شئون الحكم بين الناس والساعات الثلاث الثالثة في تدبير العيش للخلق وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيها في اللعب مع الحوت ملك الأسماك وهو حيوان كبير جدا يتسع حلقه لسمكة طولها ثلاثمائة فرسخ بدون أن تضايقه وقد رأي الله أن يحرمه من أنثاه حتي لا يتناسلا فيملاء الدنيا وحوشا تهلك من فيها وتأتي علي الحرث والنسل لهذا حبس الذكر بقوته الإلهية وقتل الانثي وملحها وحفظها لطعام المؤمنين في الفردوس ، وأما ساعات الليل فيقتضيها الإله في مذاكرة التلمود مع الملائكة ومنع ملك الشياطين الذي يصعد إلي السماء في كل ليلة ثم يهبط منها إلي الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العلمية ، وقد تغير هذا النظام بعد إن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل فقد اعترف الإله بخطئه في هذا الصدد وندم علي ما فعله وخصص ثلاث أرباع الليل للبكاء والندم وكان إذا بكي سقطت من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من في الأفاق وتضطرب المياه وترجف الأرض فتنجم عن ذلك الزلازل ، ويزعم التلمود أن الله يردد في أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل علي ندمه مما فعل فيقول تبا لي أمرت بخراب بيتي واحراق الهيكل

١- الفصل في الملل والاهواء والنحل لبن حزم ج١ صـ ١٦٣ ، ١٦٤

وتشريد أولادي ويقول حينما يسمع الناس يمجدونه طوبي لمن يمجده الناس وهو يستحق لذلك وويل للأب الذي يمجده ابناؤة مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قد قضي عليهم بالتشريد والشقاء (١)

وذكر العلامة ابن حزم انه قد جاء في بعض أسفار التلمود أن رجلا اسمه إسماعيل كان اثر خراب بيت المقدس سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول : الويل لمن أخرب بيته وضعضع ركنه ، وهدم قصره وموضع سكينته ويلي علي ما أخرب من بيتي ويلي علي ما فرقت من بني وبناتي فآمتي منكسة حتي ابني بيتي وارد إليه بني وبناتي فلما شعر الله بوجود إسماعيل بجواره اخذ بثيابه وقال له أسمعتني يا ابني - يا إسماعيل ؟ قال لا يارب فقال له الرب يا ابني يا إسماعيل بارك علي فبارك عليه ومضي (٢)

وبهذا يقرر التلمود أن الله هو مصدر - الشر كما انه هو مصدر الخير وانه أعطي الإنسان طبيعة ردئيهة ، وسن له شريعة لم يستطع بطبيعته الردئية أن يسير عليها ، فوقف الإنسان حائرا بين اتجاه الشر في نفسه وبين الشريعة المرسومة له .

ولكن العقيدة الإسلامية تنزه الله تعالي عن الندم وعن الدعاء علي نفسه فالله في نظر الإسلام علام الغيوب يعلم ما كان وما سيكون إلي يوم القيامة وانه يعرف مصالح العباد ، يعلم ما يصلحهم وما يضرهم ويفعل بهم ما فيه خيرهم ومصالحهم .

١- الاسفار المقدسة للدكتور / علي عبد الواحد وافي صـ٢٩

٢- الفصل ج١ صـ ١٦٤

أن أسفار اليهود تنسب إلي أنبيائهم إعمالا قبيحة وتلصق بهم أشنع التهم التي لا تليق بأقل الناس فكيف بالأنبياء الذين عصمهم الله ؟
فمن ذلك مثلا ما تحكيه توراتهم المزعومة عن إبراهيم عليه السلام حينما هاجر هو وزوجة سارة إلي مصر علي اثر ما أصاب بلاده من جدب ومجاعة ، إذ تذكر أن إبراهيم قال لزوجته وهما في طريقهما إلي مصر أنها امرأة جميلة وان المصريين لابد أن يفتتنوا بها ، وإذا علموا أنها متزوجة فسيقتلون زوجها لتخلص لهم ، بعد ذلك واتفق معها علي أن يتظاهر بأنها أخته حتي تسلم له حياته ، بل يناله حينئذ من المصريين خير كثير ، ولما وصلا إلي مصر ووقع نظر طائفة من كبار رجال الحاشية الملكية علي هذه المرأة الجميلة وعلموا من إبراهيم أنها ليست متزوجة وأنها أخته وانهوا أوصافها إلي فرعون فاستدعاها إلي قصره واتخذها من نسائه ، وبالغ في إكرام إبراهيم والحفاوة به والإحسان إليه من اجل ذلك ، ووهب له قطعانا من الغنم والثيران والحمير وعددا من العبيد والإماء ولكن أصيب الملك وحاشيته عقب ذلك بوباء مما تصاب به الجماعة عادة إذا ارتكب فيهم فاحشة من هذا القبيل فاستعدي الملك إبراهيم ، وأنبه تأنيبا شديدا لكذبه في قرابه سارة منه وما ترتب علي كذبه هذا من معاملته لها كأحدي نسائه مع أنها في عصمة رجل أخر وما أصابه هو وقومه من جراء ذلك من وباء ثم أصدر أوامره بطرده هو وامرأته من بلاده ولكن تحقق لإبراهيم ما كان يبغيه من عافية ومال فقد سلمت له حياته وسمح له فرعون بأن يحمل معه جميع ما سبق أن وهبه له من أنعام وعبيد وإماء (١)
ومن ذلك أيضا ما تقصه توراتهم المزعومة عن لوط وابنتيه إذ تذكر انه لم

يمنع من أهل قريتي سدوم وعمورة اللتين دمرهما الله تعالي لما كان يرتكبه اهلهما من آتيان الذكران إلا لوط وابنتاه وقد أقام ثلاثتهم عقب ذلك في غار في جبل مرتفع ، وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما أن أبانا قد أصبح شيخا كبيرا وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا علي النحو الذي يفعله ذكور الناس مع إناثهم وإذا بقي الأمر علي هذه الحال فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا ، وخير وسيلة لإبقاء هذه العاقبة هي أن نسقي أبانا خمرا حتي يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتي منه بذرية تخلد نسله ، وانفذنا ما اتفقنا عليه ، وقضت معه الكبري الليلة الأولي والصغري الليلة التالية وواقع لوط كلتيهما وهو في نشوة سكره فحملتا منه وجاءت الكبري بغلام سمته مؤاب وجاءت الصغري بغلام سمته عمون ومن هذين الغلامين نشي شعبان كبيران هما شعب المؤابين وشعب العمونيين .(١)

ومن ذلك أيضا ما يقصه السفر الثاني من سفري صموئيل عن داود عليه السلام إذ يذكر أن داود كان يمشي في صباح يوم علي سطح قصره الملكي فوقع بصره في المنزل المجاور له علي امرأة مفرطة الجمال وهي تستحم متجردة من جميع ثيابها فشغف بها حبا وسأل عنها فأخبر أنها زوجة أوريا احد الجنود المرسلين في حملة حربية تحت قيادة يؤاب فبعث داود في طلبها فجيء بها إليه وبعد أن قضي منها وطره عادت إلي منزلها وقد حملت منه فعملت علي أن يقف داود علي خبر حملها منه فاستدعي داود زوجها من الجيش واخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها وأعمالها ونفحه ببعض الهدايا وطلب إليه أن يذهب إلي منزله ليستريح هذه الليلة ، وكان داود يرمي من وراء ذلك أن يقرب الرجل زوجتة فينسب الحمل إليه ولا تعلق بداود إيه

١- سفر التكوين فقرات ٣٠ ، ٣٩ من الاصحاح ١٩

شبهة ، ولكن الرجل أبت عليه شهامته ووطنيته أن ينعم بالراحة والذة في بيته بينما الجيش مشتبك في معركة مع الأعداء فلم يذهب إلي بيته وإنما قضي ليلته نائما مع خدم القصر الملكي ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب أحجامه عن الذهاب لبيته فأجابه بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام في بيته وجيشه يحارب في خارج البلاد ، فطالب إليه أن يبقي يوما أخر ودعاه إلي الطعام والشراب وحرص علي أن يسكره حتي يفقد وعيه ويذهب إلي زوجة ولكن أوريا لم يفقد رشده فقضي ليلته هذه كما قضي ليلته السابقة نائما مع الخدم في القصر الملكي ولما ضاق داود به ذرعا ولم تفلح معه حياته أمر برجوعه إلي الجبهة وأرسل إلي يؤاب قائد جيشه أن يضع أوريا في اخطر منطقة في ميدان القتال وان يتخلي عنه حتي يقتل فصدع يؤاب بالأمر وقتل أوريا في الميدان وحينئذ اتيح لداود أن يضم زوجته إلي نسائه بعد أن انقضي حدادها علي زوجها ووضعت حملها وهي في عصمة داود وخفي بذلك علي جميع الناس ما ارتكبه داود من جرائم خسيسة إذ زني بامرأة متزوجة وعمل علي قتل زوجها الشجاع وهو يذود عن حياض بلاده مع انه كانت له زوجات كثيرات فأرسل الله إليه ناثان وقص عليه قصة رجلين يملك احدهما قطعانا كبيرة العدد من الأبقار والنعاج بينما لا يملك الأخر إلا نعجة واحده وفي احد الأيام قدم ضيف علي الغني فمد يده إلي نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفة فغضب داود من فعله هذا الغني وقال لنا ثان أنك انت نفسك هذا الرجل يستحق الموت فقال له ناثان انك أنت نفسك هذا الرجل واخذ يؤنبه ويتوعده بما سيحيق به وبأهله من عذاب ونكال فاعترف داود – بذنبه واستغفر ربه وتاب إلي الله

فغفر له إلي أخر ما ورد في هذا السفر (١)

والقصة علي هذا الوضع محض افتراء ولا يتصور صدور وقائعها من رجل عادي ذي خلق ، فضلا عن نبي كريم

ومن ثم اخطأ بعض المفسرين خطأ كبيرا إذا فسروا ما جاء في القرآن الكريم في سورة ص عن داود والخصمين اللذين اختصما إليه علي النحو الذي ورد في سفر صموئيل مع أن العبارات التي ذكرت بها القصة في القرآن الكريم لا تدل صراحة علي شيء من ذلك ولذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول من حدث بما قال هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام حادثه حدين لما ارتكب من حرمه من رفع الله محله (٢) وارتضاه رحمه للعالمين وحجة للمجتهدين : يقصد بذلك أن من يتحدث هذا الحديث فانه يرتكب جريمة القذف وحد القذف العادي في الإسلام ثمانون جلده ولكن إذا تناول القذف نبيا كرما كان مرتكبة حليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين (٣)

وبهذا نري أن بني إسرائيل لم يراعوا عند الحديث عن أنبيائهم إلا ولا ذمه ولم يبدو في حديثهم أي تقديس لهم ، أو إجلال فنسبوا إلي هؤلاء الأنبياء ولأسرهم ما يدنس تاريخهم وما ينبو عن الذوق كما في توراتهم المزعومة علي نحو ما سبق ذكره وذلك علي عكس ما جاء في القرآن الكريم فقد صور القرآن أنبياء بني إسرائيل في صورة كريمة وأبرزهم ينطق عليهم القانون الآلي في اختيار الرسل وذلك القانون الذي عبرت عنه الآية الكريمة الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس (٤)

١- السفر الثاني من سفري صومائيل الاصحاحين ١١ ، ١٢
٢- تفسير بن عطية " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز "
٣- الاسفار المقدسة صـ ٤٥
٤- سورة الحج اية ٧٥

فانبيا بني إسرائيل كل الأنبياء صفوة أخيار ، وعندما تحدث الفكر الإسلامي عن صفات الرسل اثبت لهم جميعا علو الفطرة وصحة العقول والصدق في القول والأمانة في التبليغ والعصمة من كل ما يشوه السيرة النبوية والزم أن يعتقد الناس أن الرسل ممدودة أرواحهم بمدد من الجلال الإلهي لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليهم سطوة روحانية (١)

وعلي هذا فالحديث عن أنبياء بني إسرائيل مستقي من القرآن الكريم ومن تفاسيره وشروحه التي دونها المسلمون يبرز هؤلاء الأنبياء في إطار من الفضائل والصفاء فمن ذلك مثلا ما وصف الله به إبراهيم من الصدق وينزهه عن الكذب بل لقد بالغ القرآن في وصفه بالصدق قال واذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صديقا نبيا ..

فقد وصفه الحق جل وعلا بالوصف صديق وهو صيغة مبالغة من الصدق الذي يتحلي به المرء ، وآما ما ورد من انه قال عن زوجته سارة أنها أخته فليس كذبا أنها حقيقة أخته في الإسلام وقد كان ذلك منه عليه السلام من باب المعارضة خوفا علي نفسه وعليها ، ومع ذلك فقد حفظها الله من فرعون ولم يصبها يسوء (٢)

وهكذا يصف القرآن الكريم إبراهيم بأجمل وصف ويضعه في مكانه سامية بين الأنبياء .

ويعلق الباحثون المسلمون علي مواقف إبراهيم تعليقات كلها إجلال وتقدير فهم يرون أن العقيدة الحقه تغلغلت في نفسه واستولت علي فكره واستغرقت كل خطرات قلبه وملكت عليه مشاعره ووجدانه فهو يستهين بالنار يلقي فيها ويتقبل كل عذاب دون أن يتراجع أو يتقهقر وقد كانت ثورته علي

١- رسالة التوحيد للشيخ / محمد عبده صـ ٨٤
٢- مقارنة الاديان د / عوض الله حجازي صـ ١١٤

الأصنام كلامية وعملية وكان دفاعه عن عقيدته قويا دون أن يهاب سطوة ملك او تجمهر جماهير ، وهو مع هذا كان رقيق القلب يحاول أن يستغفر لابيه مع علمه بضلاله (١)

وكذلك نجد القرآن الكريم يتحدث عن داود بما يليق به من التقدير والتكوين ، فيقول جل شأنه واذكر عبدنا داود ذا الأيدي انه أواب (٢)

فانه وصف الله تعالي له بالعبودية يفيد التكريم ووصفه تعالي له بأنه أواب أي رجاح إلي الحق يفيد انه صاحب حلق كريم وقوله أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب (٣)

يفيد أن داود عليه السلام والجبال التي سخرها الله له كانا يسبحان الله تعالي وينزهانه عن النقائص في الصباح والمساء ولا يعقل ممن يعرف ربه هذه المعرفه ان يقع في الشر والإثم [illegible] (٤)

وبعد هؤلاء هم أنبياء بني إسرائيل في آيات القرآن رسل مصطفون وقادة مصلحون جاءوا ليكافحا الشر ، وليقودهم سواء السبيل ولكن بني إسرائيل كانوا غلف القلوب فما انتفعوا بالإرشاد ولا اتبعوا الهدي بل ضلوا سواء السبيل وملاوا الدنيا تمردا وشرورا ، وسبوا أنبياءهم ورموهم بالكذب والفجور والقتل وذلك علي نحو ما مر في توراتهم المزعومة .

١- قصص الانبياء للنجار صـ ١٥١ ، ١٥٢

٢- سورة ص

٣- سورة ص

٤-مقارنة الاديان د / عوض الله حجازي صـ ١١٦

– اليوم الأخر في الديانة اليهودية –

تهتم اليهودية بالأعمال ولا تعني بالأيمان ، وهي في جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة تعتقد .

ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان فمن الواضح تبعـا لـذلك إلا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب فتلك أمور تتوقف علي العقيـدة ولهـذا فقلما يشير اليهود إلي حياة أخري بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء عـن الخلود وكان الثواب أو العقاب يتم في الحياة الدنيا ولم تدر فكرة البعث فـي خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ، ولعلهم اخذوا هذه الفكرة عن الفرس أو لعلهم اخـذوا شـيئا منهـا عـن المصريين ، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية (١)

والدارس للكتب الإسرائيلية لم يجد فيها شيئا عن البعث واليوم الأخر وإنمـا ورد بها حديث عن الأرض السفلي والجب التي يهوي إليهـا العصـاة ولا يعودون وان الذي ينزل إلي الهاوية لا يصعد والكتاب المقدس نفسـه يعـد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الإنسان وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعـث وجنه أو نار (٢) ومر الزمن واحتل الفرس بلاد بابل ودولتي اليهود ووقـع الأسر البابلي ثم سمح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة إلي فلسطين وإعادة بناء معبدهم ، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس واليهـود داعيـة لان يدرس اليهود الديانة الزرادشتية ديانة الفرس ومن تعاليم هذه الديانة اقتـبس اليهود الاعتقاد في حياة أخري بعد الموت ولأول مرة عرفوا أيضا أن هناك جنة ونارا فقتلوا ذلك الاعتقاد إلي دينهم (٣)

١- قصة الحضارة صـ ٣٤٥ ج٢
٢- اليهودية د / احمد شلبي صت ٢٠٣
٣- قصة الديانات صـ ٣٥٨

وفي هذا الجو بدأ اشعيا كلامه الذي يشير إلي يوم البعث والـي الحساب والجزاء ، كما اخذ دانيال يحذر الناس ويذكرهم بيوم البعث ومن قوله في ذلك كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلـي الحياة الأبدية وهؤلاء إلي الازدراء الأبدي (١)

علي أن اليهود عندما تكلموا عن الآخرة لم يكونوا في أكثر الأموال يعنون ما تعنة الأديان الاخري من وجود دار للحساب علي ما قدم الإنسان في حياته الأولي وإنما كانوا يعينون بها شيئا أخر ، فالشعب اليهودي عند الباحثين اليهود قسمان : قسم عاش حياته الدنيا سعيدا حرا وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا علي الجانب المادي وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا علي الجانب المادي من رضا إلههم ، أما القسم الأخر يري الفكر اليهودي أن من حقهم أن يعودوا للحياة مرة أخري لينالوا نصيبهم من المتعة أو النعيم (٢)

وعلي العموم فان فكرة البعث لم تجد لها أرضا خصبة في عالم اليهود وقد حاول بعض طائفة الفريسيين القوا بها ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة أما بقاي الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئا (٣)

وبهذا يتضح اتجاه اليهود إلي الأمور المادية وبعدهم عن النواحي الروحية مما جعلهم يتكالبون علي الدنيا وعلي جمع المال بكل سبيل وطريق ، وجعلهم يضحون في ذلك بالشرف والعرض والكرامة حتي أنهم في عقيدتهم في الإله ينزلون به إلي الماديات فيشبهونه بالإنسان يأكل ويشرب ويجلس بين الناس ويجيء إليهم في هذه الأرض ويمشي بينهم ويدلهم علي الطريق

١- سفر دانيال
٢- دكتور احمد شلبي اليهودية صـ ٢٠٤
٣- نفسه صـ ٢٠٤

- مصادر الديانة اليهودية -

١ - العهد القديم :-

تعريف العهد القديم :- ويراد بكلمة العهد ما يرادف معني الميثاق فالعهد القديم يمثل ميثاقا قديما يرجع إلي موسي والعهد الجديد يمثل ميثاقا جديدا بدأ بظهور عيسي - عليه السلام (١)

والعهد القديم هو التسمية العلمية للأسفار اليهود وليست التوراة الأ جزاء من العهد القديم وقد تطلق التوراة علي الجميع من باب إطلاق الجزء علي الكل أولا أهمية التوراة ونسبتها إلي موسي لأنه ابرز زعماء بني إسرائيل وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي وكلمة توراة معناها الشريعة أو التعاليم الدينية(٢)

وقد اختلف في هذا اللفظ هل هو عبري أو عربي والظاهر انه عبري لأنه اسم انزل علي نبي عبري وقوم عبريين ومن هنا كان الأولي والأجدر أن يكون بلسانهم لقوله تعالي وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم(٣)

والعهد القديم أو التوراة في اصطلاح اليهود ألان ليست هي الكتاب الذي انزل علي موسي بل دزدت وصارت تشتمل علي عدد من الكتب الصغيرة أو الأسفار التي تختلف في موضوعها وتختلف في الزمن الذي كتبت فيه وهذه الأسفار غير متفق عليها بين جميع الطوائف اليهودية فهناك بعض الأسفار يقرها فريق منهم ويرفضها فريق أخر

وتنقسم أسفار العهد القديم إلي أربعة أقسام :-

القسم الأول : كتب موسي أو الأسفار الخمسة وهي سفر التكوين وسفر

١ - الاسفار المقدسة صـ ٣

٢ - اليهودية صـ ٢٣٨.

الخروج وسفر التثنية وسفر اللاويين وسفر العدد وتشتمل هذه الأسفار الخمسة علي التوراة في نظر اليهود أما سفر التكوين فيقص تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض ومن ثم سمي سفر التكوين إلي استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل وهم اسم أخر أو لقب ليعقوب في ارض مصر مع تفصيل في قصص ادم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام احد أبناء نوح وهو الذي انحدر منه شعب إسرائيل

وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط وإجمال فيما عدا ذلك

وأما سفر الخروج فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر وقصة موسي ورسالته وخروجه مع بني إسرائيل ومن ثم سمي سفر الخروج وتاريخهم في أثناء مرحلة التية التي قضوها في صحراء سينا استغرقت أربعين عاما، وهي التي يشير إليها القرآن الكريم ، إذ يقول قال فإنها محرمة عليهم أي ارض الميعاد وهي بلاد كنعان التي وعدهم الله بها أربعين سنة يتيهون في الأرض (١)

وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج علي طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات وما إلي ذلك

وأما سفر التثنية فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات.... وحكم جرا وسمي سفر التثنية لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسي من ربه وأمر بتبليغها إلي بني إسرائيل

وأما سفر اللاويين فقد شغل معظمه بشئون العبادات ، وخاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور ، واللاويون هم

١- سورة المائدة اية ٢٦

نسل لأوي أو ليفي احد أبناء يعقوب ومنهم موسي وهارون وكان اللاويـون سدنه الهيكل والمشرفون علي شئون المذبح والأضحية والقرابين والقوامين علي الشريعة اليهودية ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات وأما سفر العدد فقـد شـغل معظمـه بإحصائيات عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير ممـا يمكـن احضائها من شئونهم (١)

وسمي بذلك لأنه حافل بالعد والتقسيم لأسباط بني إسـرائيل وبـه ترتيـب لمنازلهم حسب أسباطهم وإحصاء للذكور منهم وبجوار هذا العـدد يحتـوي هذا السفر علي مسيرة بني إسرائيل ، في برفة سيناء وما بعدها ، فهو بذلك استمرار لما ورد في سفر الخروج ، وقية كثير من التنظيمـات والتعـاليم الطقسية والكهنوتية والاجتماعية والمدنية ، وبه كذلك حديث عـن حـروب بني إسرائيل ضد المدنيين (٢)

والقسم الثاني ويسمي بالأسفار التاريخية وهي اثني عشـر سـفر تعـرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم علي بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فـي فلسطين وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البـارزة فـي شئونهم وهي أسفار يوشع والقضاة وارعوث وصموئيل والملـوك وأخبـار الأيام وعزرا وحميا واستير

والقسم الثالث يسمي أسفار الأناشيد أو الأسـفار الشـعرية وهـي أناشـيد ومواعظ معظمها ديني مؤلفه تأليفا شعريا في أساليب بليغة وعددها خمسـة أسفار وهي سفر أيوب ومزامير داود وأمثال سليمان والجماعة من كلام د

١- الاسفار المقدسة
٢- اليهودية صـ ٢٤٢

سليمان ونشيد الأناشيد لسليمان

والقسم الرابع يسمي أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا وهي أسفار اشعيا وارمياء ومرائي ارمياء وحذقيال ودانيال وهو شع ويوئيل وعاموس وعويديا ويونس أو يونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وزكريا وملاحي أو ملاخيا وجميع هؤلاء من الأنبياء إسرائيليون وأرسلوا إلي بني إسرائيل ماعدا يونس فانه يظهر من عبادات كتابه انه مرسل إلي نينوي وهو النبي يونس المذكور في القرآن الكريم .

هذا وقد ذكر كثير من مؤرخي العرب بين أسفار العهد القديم كتبا ليست منه كما ذكروا كتبا لا وجود لها بين الكتب المعتمدة ولا بين الكتب الخفية عند اليهود واغفلوا ذكر طائفة من الأسفار المعتمدة وخرفوا كثيرا من أسماء ما ذكروه منها (١)

الإسلام والعهد القديم :-

يعترف الإسلام بالتوراة التي انزلها الله علي موسي ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم قال الله تعالي (الله لا اله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والإنجيل من قبل هدي للناس (٢)

وقوله ومن قبله كتاب موسي (٣)

وفيما عدا ما انزل الله علي موسي فان الإسلام لا يعترف به ، فسفر يوشع وسفر القضاة والملوك ... ليست من الكتب المقدسة في نظر الإسلام

ثم نتساءل فنقول أين التوراة التي انزلها الله علي موسي ؟ ويجيبنا القران الكريم علي هذا التساؤل بان اليهود أهملوا بعضها فضاع وحرفوا بعضها

١- مقدمة بن خلدون
٢- سورة الا عمران الايات ٢ ، ٣
٣- سورة هود اية ١٧

علي نحو ما ارادوا ...

قال تعالي يحرفون الكلم عن مواضعه ونسو حظا مما ذكروا به (١)

وقل يا أهل الكتاب لستم علي شيء حتي تقيموا التوراة والإنجيل (٢)

مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل الذين كذبوا بآيات الله (٣)

وفي الذكر الحكيم ما يوضح أن القرآن الكريم حوي الأصول الصحيحة التي جاءت بها الأديان السابقة قال تعالي شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصيا به إبراهيم وموسي وعيسي أن أقيموا الدين (٤)

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه (٥)

هو الذي أرسل رسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله وكفي بالله شهيدا (٦)

يقول المفسرون في تفسير الآية الأولي من هذه الآيات : أن الله شرح للمسلمين دينا يحوي ما جاء به الأنبياء من نوحي إلي عيسي (٧)

ويقولون في تفسير الآية الثانية أن القرآن هو الصورة الأخيرة لكتاب الله الواحد المتحد الأصل والوجهة المساير لحاجات البشر حتي إذا كشف للناس عن الحقائق الكبري التي تقوم عليها أسس الحياة ، انقطع الوحي ليتصرف

١- سورة المائدة اية ١٣

٢- سورة المائدة اية ٦٨

٣- سورة اية ٥

٤- سورة الشورا اية ١٣

٥- سورة المائدة اية ٤٨

٦- سورة الفتح اية ٢٨

٧- تفسير البيضاوي ج٢ صـ ٤٨٥

العقل البشري في حدود تلك الحقائق الكبري ، بلا خوف من الزلل ما دام يرعي تلك الحدود ومن ثم فكل الحكم يجب أن يرجع إلي هذا الكتاب الأخير الذي يتضمن الباقي من شريعة الله كلها في كتاب ويضعها في الصورة الأخيرة الباقية إلي يوم القيامة (١)

ويقولون في تفسير الآية الثالثة أن الله أرسل محمد بالإسلام دين التوحيد والحق الخالد يعلو علي الأديان والمعتقدات بان يحوي أحسن ما فيها وان يضيف إلي ذلك ما فيه خير الإنسان في الدنيا والآخرة (٢)

- تحريف العهد القديم -

من الدراسات السابقة أتضح لنا أن الفساد سرعان ما تطرق لبني إسرائيل بعد موسي ، وتبين لنا كذلك أن أسفار العهد القديم كتبت متأخرة ، أي في عهد الفساد والاضطراب وان كتابها ليسوا هم الذين أسندت لهم هذه الأسفار ، وليس الوحي مصدرا لهذه الأسفار والنتيجة الواضحة لكل هذه المقدمات أن اليهود كتبوا التوراة انعكاسا لأخلاقهم ولآمالهم وجعلوها هدفا يحققون به مقاصدهم ومن هنا ازدحمت الأخطاء في العهد القديم وتوالت ، وقد عني كثير من الباحثين بإبراز أخطاء العهد القديم ، وإيضاح ما به من خلط وتضارب

والنظرة السريعة للعهد القديم توحي أن الهدف الاسمي الذي أراده بنو إسرائيل من الكتاب المقدس كان تبرئة بني إسرائيل من العيوب وتلويث سواهم من الشعوب ، فاحد بني ادم كان ضالا وكان الأخر مهتديا ومن المهتدي ينحدر بنو إسرائيل وأبناء نوح الذين نجوا من الغرق كانوا ثلاثة ولكن بني إسرائيل يكثرون الهجوم علي حام بن نوح ويسخطون عليه لا

١- في ظلال القرآن ج٦ صـ ٦٦ ن ٦٧
٢- تفسير النسفي والقرطبي والكشاف

لشيء إلا انه أبو الجنس الذي انحدر إلي مصر وما يليها من الجنوب ، وكراهية بني إسرائيل لمصر قديمة وعريقة ، ويصيب سفر التكوين السخط علي كنعان بن حام بن نوح لان الكنعانيين حاربوا العبرانيين فلما دون هؤلاء العهد القديم ، خصوا الكنعانيين بسخط عنه .

وهكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله منها بري أنها في الحقيقة صدي لانفعالات اليهود وأحاسيسهم وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم كثرت الأخطاء فيه ويمكننا أن نعطي منها بعض نماذج :

لم يكن للعدد مدلول دقيق في أسفار العهد القديم ، فقد ورد في سفر الخروج أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت ٤٣٠ سنة وهي في الحقيقة ٢١٥ سنة وقد اعترف مفسرو العهد القديم بوقف الخطأ في هذا الرقم وعدد الرجال الذين بلغو سن العشرين قبل خروج موسي من مصر كما ورد في سفر العدد لا يمكن عقلا أن يكون صحيحا فقد كان عدد بني إسرائيل عند دخولهم مصر سبعين ومحال أن يصيروا في مدي قرنين ألافا كثيرة أو ملايين وهكذا ...

ورد أفي أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتي الجيل الثالث والرابع ، وهاك نص العبارة مفتقد أثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتي الجيل الثالث والرابع (١)

وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه فقد جاء به النفس التي تخطيء هو موت ، الابن لا يحمل من أثم الأب والأب لا يحمل من أثم الابن ، بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون (٢)

١- سفر الخروج
٢- سفر حزقيال

وهذا تناقض واضح ....

تختلف الأحكام اختلافا واضحا وصريحا في سفر إلي أخر ويبدو ذلك بمقارنة الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد والإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال في سفر أخبار الأيام الثاني وردت الفقرة التالي ... لان الرب ذلل يهوذا بسبب أحاد ملك إسرائيل (١)

ولفظ إسرائيل غلط يقينا لان أحاذ كان ملكا ليهوذا لا لاسرائيل ...

هذه نماذج قليلة مما في العهد القديم من الاخطأ والاضطرابات الكثيرة والتي تجل عن العصر وما ذكرناه هنا لمجرد التمثيل فقط

٢- المصدر الثاني : التلمود :-

والتلمود كتاب مقدس لدي اليهود ، وقد كتبه بعض علماء اليهود وأحبارهم بعد مولد عيسي عليه السلام ، وراوا انه شرح للتوراة وبيان لتعاليمها ، واستنباط لأصولها ويرون انه عبارة عن التعاليم الشفوية التي تلقاها موسي عليه السلام

والتلمود معناه النظام ، وفي هذا الكتاب كلام كثير يدل علي خبثهم ومكرهم وتحريفهم ، فهو يصف الإله بأنه من جنس البشر وانه يبكي ويضحك ويلعب وانه يسب نفسه علي تقصيره في حق أبنائه العبيد المخلوقين ، وانه يتناقض مع نفسه حيث انه يقسم ليأتيه إعمالا خاصة غير عادية ، ثم يثوب إلي رشده ويعود إلي صوابه ويتحلل من يمينه ويرجع عما كان يقصده ويريده . كما قرر التلمود أن مريم أم عيسي عليه السلام قد أخطأت وأنها جاءت بعيسي من الزنا

١- الاصحاح الثامن والعشرون فقرة ١٩

ويقرر أن اليهود أحب إلي الله من الملائكة وأنهم من عنصر الله وكالولد من عنصر أبيه ولذلك يقول اليهود : أنهم أبناء الله وأحباؤه .

ويقرر التلمود أن اليهود يفضلون الأميين ، كما يفضل الإنسان البهيمة .

ويقرر التلمود أن كل خير يصنعه يهودي مع أمي فهو خطيئة عظمي وكل شر معه فهو قربان يتقرب به إلي الله عليه ثوابا جزيلا إلي غير ذلك من الأوصاف التي يأباها العقل السليم ، ويمتنع عن أتصاف الله بها

- نشأة التلمود وسبب تأليفه

يبدو للباحث المتبصر والمتفحص أن هناك أسباب دعت إلي تأليف كتاب التلمود ونشأته ووجوده .

١- منها الطبيعة اليهودية المنحرفة التي تأبي أن تنصاع لأمر الله تعالي وتستقيم علي تعاليمه وأوامره وهديه ، فقد ترك موسي عليه السلام قومه وبين أيديهم كتاب الله التوراة واضحة التعاليم محددة الأهداف فيها العقيدة والشريعة ولكن اليهود الذين لم يدين لموسي عليه السلام ، ولم ينصاعوا له في حياته ما كانوا علي استعداد الان لشريعته بعد وفاته ولما كانت التوراة واضحة التعاليم بينه الأوامر والنواهي وكانت تأخذهم بالشدة أحيانا ، وتجذبهم إلي طريق الله تعالي في حزم فقد تناولوها بالتحريف والتبديل والتغيير علي حسب أهوائهم وشهواتهم ، لكنهم لم يكفهم تحريف التوراة ، وتغييرها وتبديلها بل أرادوا أن يضعوا لهم كتابا أخر يصوغونه بأيديهم علي حسب أهوائهم وأغراضهم ، ويذكرون فيه ما يحبون ويرغبون

ولكن ما هو الطريق إلي ذلك ؟ هنا يدعي رجال الدين اليهودي أن موسي عليه السلام لم يترك كتابا واحدا هو التوراة وإنما ترك كتابين

(كتاب مدون ومكتوب) هو التوراة والأخر غير مدون وإنما هو عبارة عن تعاليم شفوية لم تدون ولم تكتب هذه الشريعة الشفهية التي لم تـدون ولم تكتب في عهده سموها بالتلمود .

٢- وهناك سبب أخر : ذلك هو حياة اليهود المتغيرة باستمرار والتـي كانت غير مستقرة علي حال واحدة فهم في صراع دائم مع الـدول المجاورة لهم والتي استعمرتهم زمنا ليس بالقصير ، وأكثر من هذا فان اليهود أنفسهم كانوا في خلاف دائم فيما بينهم بسـبب فـرقهم المتعددة ، والمتناحرة ، ولكنهم لم يجدوا حلولا ترضـيهم ، وتحـل مشاكلهم في كتابهم التوراة فاخترعوا هذا الكتاب (التلمود) والفوه علي حسب أهوائهم ليرجعوا إليه في حل مشاكلهم وما يعتريهم من خلاف.

<u>- أقسام التلمود :</u>

يتكون التلمود من جزأين :-

أ- الأول : يسمي المشناه وهي الأصل أي المتن للتلمود

ب- والجزء الثاني الجمارة وهي شرح المشناه

والمشناة معناها بالعبرية المعرفة أو القانون الثاني ويزعم اليهـود انـه انزل علي موسي عليه السلام في طور سيناء ويضيف اليهود أن المنشأة تناقله عن موسي أربعون (مستقبلون) جيلا بعد جيل حتي جاء الحاخام (يهوذا هاتاس) والجمارة أو الشرك نوعان :-

١- جمار أورشليم أي فلسطين ويرجع تاريخ جمعها إلي سنة ٤٠٠ م

٢- وجمارا بابل وقد دونها علماء بابل اليهود

ومن هنا كان التلمود علي نوعين :-

١- التلمود البابلي ٢- التلمود الفلسطيني

وأساس الاختلاف بين التلمودين هي الجمارة أي الشرح فان اليهود وان اتفقوا علي المشناة فقد اختلف البابليون والفلسطينيون في الشرح فاليهود الذين كانوا يسكنون أورشليم أي فلسطين اخذوا المشناة ووضعوا لها شرحا وتفسيرا واليهود الذين كانوا يسكنون في بابل بعد حادث الأسر البابلي وضعوا شرحا وتفسيرا أخر للمشناة يغاير شرح الفلسطينيين لها وكل من التلمودين يطبع علي حدة .

ويختلف التلمود الفلسطيني عن التلمود البابلي من حيث الكم والكيف فمادة تلمود فلسطين تعتبر ثلث ما يحويه التلمود البابلي كما أن تلمود فلسطين ينقصه العمق والشمول اللذان يمتاز بهما التلمود البابلي

وقد يرجع ذلك إلي آن التلمود البابلي قد ألف وجمع في فترة استغرقت قرنا من الزمان كان اليهود فيه في سلام وامن بينما قد ألف التلمود الفلسطيني علي عجل وفي ظروف – قاسية بسبب اضطهاد الرومان لليهود

والتلمود البابلي هو المعروف الآن والمعمول به بين جمهور اليهود .

والله ولي التوفيق

بحث عن

الأسطورة وصلتها بعقيدة الإنسان البدائى

مقدم من

الدكتـــور

محمد مصطفى الشناوى

مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية

تكليف ثانية

١ - الأسطورة

الفهرس

أولا : تعريف الأسطورة •

- إن كلمة أسطورة (Myth) أشتقت من اليونانية(Mythos) يعنى قصة شعرية •

وتعرف الأسطورة بأنها قصة خرافية أو معتقدات خرافية يسودها الخيال ، إذ هى تصور شامل عن العالم وعن مكان الإنسان فى الطبيعة([١]) •

ويبدو أن أصل الكلمة اليونانى قد ساهم إلى حد كبير فى تمحور الأسطورة حول الفكر الدينى • فلقد بدات الأسطورة من وجهة النظر هذه قصة أو مجموعة من القصص تروى أفعال الآلهة أو مغامرات الأسلاف البطولية دون دخول فى تفاصيل المكان الذى نشأت فيه الأسطورة لأن المجتمعات بأحكامها تشترك فى علاقاتها المتنوعه بالأسطوره ([٢]) •

وجاء فى معجم العلوم الإجتماعية أن أساطير الأولين ما يسطره الأولون **وتأتى بمعنى القصة أو الرواية أو التاريخ، وتدل على ما كتبه الأقدمون أو تركوه** من روايات وحكايات هى فى الأغلب أحداث خارقة للعادة ([٣]) •

وتعرف الأسطورة بأنها قصة أو مأثور يحمل بالطبع والضروره سمات العصور الأولى والقديمه مفسرة معتقدات الناس بازاء القوى العليا والسماوية لآلهتهم أبطالهم وخوارق معتقداتهم الدينية ([٤]) •

ويعرفها الأساذ طه الهاشى قائلا " الأسطورة عبارة عن قصة أو قصص تروى أعمالا كثيرة ما تعتبر مستحيلة الوقوع ([٥]) •

---

[١] المعجم الفلسفى صـ٢٨ د/ مراد وهبة طبعة ثالثة دار الثقافة الجديدة ١٩٧٩ م

[٢] الموسوعة الفلسفية العربية صـ٦٧ دار عوايدان طبعة أولى جـ١

[٣] معجم العلوم الإجتماعية صـ٣٨ د/ براهيم مدكور وأخرون الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥م •

[٤] الفولكلور و الأساطير العربية صـ٤٨-٤٩ د/ شوقى عبد الحكيم

[٥] تاريخ الأديان وفلسفتها صـ٢١٤

وقد عرفها أيضا أحد الباحثين بعدة تعريفات وهى :

١- حكاية الأزمنة الخرافية والبطولية ٠

٢- وهى أيضا حكاية وهمية فى سلوب مجازى تبسط معارف تاريخية وجسدية وفلسفية عامة ٠

٣- وهى كذلك التاريخ فى صور تنكرية ٠

٤- وهى أيضا عبارة عن حكاية خرافية ذات أصل شعبى تعرض لأشخاص يرموزن إلى قوى الطبيعة وأحوال البشر ([1])٠

ويرى الباحث أنه من العسير أن يكون هناك تعريفا للأسطورة يجتمع عليه رأى العلماء المتخصصين ، ويكون فى الوقت نفسه مرضيا و مقنعا لغير المتخصصين ذلك لأن الأسطورة واقع ثقافى ممعن فى التعقيد ، تختلف حوله وجهات النظر ٠

وحسبنا أن نورد هذا الوصف الذى يتسم بالشمول وهو أن الأسطورة تروى تاريخا مقدسا ، وتسرد حدثا وقع فى عصور ممنعه فى القدم ، عصور خرافية تستوعب بداية الخليقة ([2])٠

ويبين الدكتور عبدالحميد يونس أن الأسطورة أصبحت مادة خصبة من مواد الدراسة الإنسانية ، ولها علم قائم برأسه هو علم " الميثولوجيا " أوعلم الأساطير ٠

ولقد جرت عادة الكاتبين إلى عهد قريب أن يتوسعوا فى فهم مصطلح الأسطورة ، وهناك آحاد لايزالون يستعملونها بتلك الدلالة غير المحكمة والأسطورة عند أولئك وهؤلاء عبارة عن مالا علاقة له بالواقع أو بعبارة أخرى ما لا وجود له فى الواقع ، ويبدو أن هذا الإستعمال إمتداد لما

---

[1] الأساطير والخرافات العربية صـ٧ د. مصطفى الجوز دار الطليعة

[2] راجع الحكاية الشعبية صـ١٩ د/ عبد الحميد يونس المؤسسه المصرية للتأليف والنشر دار العربى ٠

كان عليه المصطلح فى القرن التاسع عشر بأوربا ، فقد كان يعنى وقتذاك ما يناقض الواقع .

ثم يقول الدكتور عبدالحميد يونس (وأغلب الظن أن هذا الفهم للأسطورة جد قديم فقد نقد بعض الفلاسفة اليونان الشاعر " هوميروس " صاحب الإلياذة والأوديسا وعدوا الأساطير التى أوردها مجرد تهاويل خيال ورفض "اكزونوفون" أن يتصور الألهة تتحرك من مكان إلى مكان كما روى " هوميروس " ولم يقتنع بخلود الآلهة الذى قال به " هوميروس " و " هزيود " ونقد هذا الفيلسوف تشبه الآلهة بالمخلوقات ذلك لأن الخيل والأنعام والوحوش كانت تصور الآلهة على مثالها لو أنها أعطيت يد الإنسان وقدرته على الرسم ، ونحن نجد فى هذا النقد محاولة لتنقية مفهوم الألوهية مما علق به من شوائب التشبيه الذى يضطر الشاعر إليه) .

ثم يقول (وعلى الرغم مما وجه من نقد إلى " هوميروس " و " هيزيود " وغيرهما ، فقد ظلت الأساطير تثير إهتمام الصفوة من المثقفين فى أرجاء العالم الذى تأثر بالفكر الهلينى بيد أن الأساطير لم تعالج حرفيا . وإنما أخذ المهتمون بها يبحثون عن معانيها الخفية ورأى بعضهم أن أسماء الآلهة التى أوردها " هوميروس " إنما تمثل الملكات الإنسانية أو العناصر الطبيعية ، ورأى البعض الآخر أن هذه الأساطير عبارة عن رموز ومجازات لقوى ومثل ومعان ، ولم تعد الآلهة عند هؤلاء غير مبادئ أخلاقية ونواميس طبيعية ، ثم ظهر إتجاه آخر يفسر الأساطير ويتخذ بدوره منهجا عقلانيا ، فيذهب إلى أن الآلهة كانت فى الأصل طائفة من الملوك القدامى الذين بلغوا من المكانة والسلطان وبعد الصيت حدا جعل الناس يؤلهونهم فيما بعد) (١).

المصدر السابق صـ ١٥ .

ومن العجيب أن معاجمنا اللغوية تقف عاجزة عن إعطاء المدلولات الحقيقية لكلمة أسطورة ، فالأساطير هى الأحاديث التى لانظام لها وهى الأباطيل والأحاديث العجيبة ، وسطر تسطيرا ألف وأتى بالأساطير والأسطورة الحديث الذى لا أصل له ([1]).

وقد إستعمل القرآن الكريم بالذات فيما لا أصل له من أحاديث فقال { قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إلا أساطير الأولين }([2]).

أى مما سطروا من أعاجيب الأحاديث وكذبها . وقال أيضا { وقالوا أساطير الأولين إكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا }([3]).

والأساطير جمع أسطورة ، وكانوا يطلقونها على الحكايات التى تتضمن الخوارق المتعلقة بالآلهة والأبطال فى قصص الوثنيات وأقربها إليهم كانت الوثنية الفارسية وأساطيرها ، وهم كانوا يعلمون جيدا أن هذا القرآن ليس من أساطير الأولين ، ولكنهم إنما كانوا يجادلون ويبحثون عن أسباب الرفض والتكذيب ويتلمسون أوجه الشبهات البعيدة وكانوا يجدون فيما يتلى عليهم من القرآن قصصا عن الرسل وأقوامهم وعن مصارع الغابرين من المكذبين فمن باب التمحل وإلتماس أوهى الأسباب قالوا عن هذا القصص وعن القرآن كله " إن هذا إلا أساطير الأولين " وإمعانا فى صرف الناس عن الإستماع لهذا القرآن ، وتثبيت هذه الفرية فرية أن هذا القرآن إن هو إلا أساطير الأولين .

وقد كان مالك بن النضر وهو يحفظ أساطير فارسية عن رستم واسفنديار من أبطال الفرس الأسطوريين يجلس مجلسا قريبا من رسول الله ﷺ ، وهو يتلو القرآن فيقول للناس إن كان محمد يقص عليكم أساطير الأولين فعندى أحسن

---

[1] لسان العرب مادة سطر . ومختار الصحاح مادة سطر صـ ٢٩٨ .

[2] سورة الأنفال آية ٣١ .

[3] سورة الفرقان الآية ٥ .

منها، ثم يقص عليهم مما عنده من الأساطير ليصرفهم عن الإستماع إلى القرآن ، ولقد كانوا على يقين من أنه ليس أساطير الأولين ، وأن مواجهته بأساطير الأولين لاتجدى ولو ترك الناس يسمعون القرآن . وقد كان زعماء قريش يخافون على أنفسهم من تأثير القرآن فيها كما يخافون على أتباعهم ، فلم يكن يكفى إذا فى المعركة بين الحق النافذ سلطانه القوى ، والباطل الواهى المتداعى أن يجلب النضر يروى للناس أساطير الأولين ، ومن ثم كانوا ينهون أتباعهم من أن يستمعوا لهذا القرآن ، كما كانوا هم ينأون بأنفسهم خوفا من تأثير القرآن على نفوسهم وتستجيب له ([1]).

ولقد روى أيضا أن النضر بن الحارث قد خرج إلى الحيرة تاجرا واشترى أحاديث كليلة ودمنة ، وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الأولين ، وكان يزعم أنها مثل ما يذكره محمد من قصص الأولين ([2]).

وكذلك كان زعماء قريش يتواصون بالإعراض عن سماع القرآن ويمنعون الناس عنه ثم يختلفون أفراداً إلى بيت النبى ﷺ ليلا يستمعون إليه يجبون منه ومن تأثيره ، وسلطانه علىالقلوب حتى قال الوليد بن المغيرة كلمته المشهورة " إنه يعلو ولا يعلى عليه " وأنه يحطم ما تحته فخافوا أن تسمعها العرب وما زالوا يلحون عليه ليقول كلمة منفرة فقال " إن هذا إلا سحر يؤثر " ([3]).

ويقول صاحب الظلال فى تفسيره لقول الله تعالى { وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا } ([4]). (ذلك لما وجدوا فيه من قصص

---

[1] فى ظلال القرآن صـ ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ للشيخ سيد قطب الطبعة العاشرة ١٩٨٢م دار الشروق جـ ٢ .

[2] تفسير روح المعانى للألوسى جـ ١٥ صـ ١٥٦ ، ١٥٧ . الطبعة الأولى الهيئة المصرية ١٩٣٨ م .

[3] تفسير المراغى صـ ٢٠٠ ، ٢٠١ .

[4] سورة الفرقان الآية ٥ .

الأولين التى يسوقها للعبرة والعظة وللتربية والتوجيه فقالوا عن هذا القصص الصادق أساطير الأولين ، وزعموا أن الرسول ﷺ طلب أن تكتب له لتقرأ عليه فى الصباح والمساء إذ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ثم يقولها هو بدوره وينسبها إلى الله وهذا إستطراد فى دعواهم التى لا تقوم على أساس ولا تثبت للمناقشة وإن سياق القصص فى القرآن بهذا التنسيق فى عرضه ، وبهذا التنسيق بينه وبين الموضوع الذى يساق فيه ، ويستشهد بالقصص عليه ، وبهذا التناسب بين أهداف القصص وأهداف السياق فى السورة الواحدة ، إن هذا كله ليشهد بالقصد والتدبير العميق اللطيف الذى لا يلحظ فى الأساطير المبعثرة التى لا تجمعها فكرة ، ولا يوجهها قصد ، إنما تساق للتسلية فى وقت الفراغ) [١]٠

ثانيا : نشأة الأسطورة ٠

عرف الإنسان البدائى الأسطورة ، ولكن بأسلوب يختلف كل الإختلاف عن الأسطورة التى عرفها بعد أن نما وإشتد عوده ، فالأسطورة فى طورها الأول كانت جزءا من طقوس العبادة داخل المعبد أو أمام المذبح – إن كان وجد – أو على حافة قفر يحتاج إلى الإستمطار ليخضر ، والأسطورة فى طورها الثانى – وقد أستخدمت للتعليل وللرمز ، ثم الإشادة ببعض القادة – كانت فلسفة وبيانا وقوة إجتماعية ترصد لكل ما يسعى وراءه علماء الإنسان " الأنثروبولوجيون " من تقييم الحضارات ترجع إلى نحو مائتى قرن قبل الميلاد ٠

ويقر أحد الباحثين أن الأسطورة التى هى الفترة الدينية للجيولوجيا وعلم الحيوانم نشأت على أطلال كانت يوما قصور أو مدنا عامرة [٢]٠

---

[١] فى ظلال القرآن ص ٢٥٥١ ، جـ ١٩ ٠

[٢] الفن والأدب ص ٥٣ – ٥٤ ترجمة د/ بدر الدين الرفاعى طبعة دمشق سنة ١٩٦٥م ٠

ويذهب " ماكس مولر " الى أن الأسطورة نشأت من عيب فى اللغة الذى يجعل الشئ الواحد أسماء متعددة كما أن الإسم الواحد قد يطلق على أشياء مختلفة ، وينتج عن هذا العيب خلط بين الأسماء جعل الناس يعتقدون أن الالهة ليست إلا صورا من إله واحد كما جعلتهم يتصورون الإله الواحد فى صورة الهة متعددة ، بل إن إستعمال المقاطع الأخيرة للدلالة على الجنس تذكيرا أو تانيثا قد أدى إلى تشخيص الالهة ٠

وما ذكره " موللر " حول نشأة الأسطوورة كان موضع إنتقاد علماء آخرين على رأسهم " اندرولانج " الذى أكد أن الأساطير ليس نتيجة عيب فى اللغة ولكنها نشأت من تشخيص العناصر الكونية وهى مرحلة من مراحل الفكر تتسم بالتجسيم وإسباغ الحياة على المحسوسات والكائنات والظواهر ، وجاءت المدرسة الأنثروبولوجية التى حاولت أن تفسر أساطير الشرق الأدنى وبلاد اليونان بمصطلحات الطقوس والممارسات السحرية ، ويذهب " فيريزر " إلى أن دورة النماء والذبول هى التىأبدعت صورة الإله وأسطورته ([1])٠

ثالثا : أهمية الأسطورة ٠

تقوم الأسطورة فى الثقافة البدائية بوظيفة لا غناء عنها فهى تعبر عن العقيدة وتذكيها وتقننها ، وتصون الأخلاق ، وتدعمها وتبرهن على كفاءة الطقوس ، وتضم قواعد عملية لهداية الإنسان ([2])٠

والأسطورة أيضا نتاج فكرى وثقافى . تصور فكر وثقافة الإنسان البدائى فتروى تاريخا مقدسا فى نظر هذ الإنسان ، أو تسرد حدثا وقع فى عصور ممعنة

---

[1] الحكاية الشعبية صـــ ١٥ - ١٨ د عبدالحميد يونس ٠

[2] الحكاية الشعبية صـــ ١٨ - ١٩ د عبدالحميد يونس ٠

في القدم أو تحكـى علـى أنهـا مـن وحـى كائنـات خارقـة ، فتصـور كيـف بـرزت هـذه الكائنـات إلـى الوجـود ، وكيـف أصبحـت حقيقـة واقعـة فـى نظـر أصحـاب الأسطورة ، وقد تكون هذه الكائنات آلهة أو أشباة آلهـة فتفسر الأسـطورة أعمالـه وقدراته مع ظواهر الطبيعة والكون والإنسان ([1])٠

ولأن الرجل البدائى لا يعد وأن يكـون طفـلا فـى تفكيره وسلوكه أو يكـاد فكانت الصخور الغريبة الشكل أو الكتل الخشـبيه أو الأشـجار الشـاذه ومـا اشـبهها تبدو لعينه مهمه وذات مغزى خطـر أو منـذرة بـالثبور أو مظهـرة للمـودة فكـانت أحلام هذا الرجل وأوهامه وخيالاته تخلق من الحكايات والأساطير عـن مثل تلك الأشياء ، ما كان يصبح مقبولا ومصدقا عندما يروى ، ثم يصبح فيما بعد محترما ومقدساً وإن كانت تزع فى تفسيرها إلى التشخيص والتجسيم وتمثل أشـياء غريبـه فهذا شأن واسعى الخيـال مـن الأطفـال الذيـن يختـرعون إلـى يومنـا هـذا قصصـا طويلة بطلها دمية محبوبه أو حيوان مستأنس أو كائن خيالى ولهذا نجد الأسطورة تنأى عن التحليل والتعليل والسببيه ، ومـن ثـم أصبحـت الأسـطورة عنـد الإنسـان البدائى عقيده لها طقوسها وقدسيتها([2])٠

وقد كانت الأحلام والخيالات والأوهام تجعل الرجـل البدائـى يـؤم حيونـا أو نباتا أوجمادا أو يلتمس منهم المعونه ، فكانت النصائح التى تصدر من رجل بدائى لأخر تقترن بصورة مبشرة أو منفرة بدأت بها حكايات عن هذا الحيوان أو النبـات أو الشـىء الأخـر تفسيرا للنصـائح والتحذيـرات التـى تقدم ، حتـى أخـذت بعـض العقول الأكبر سنا والأثبت جنانا والأقوى قليلا مـن العقـول الأحـرى تـأخذ وضـع الكهان ، وتتصدر للنصح ووصف الوصفات ، وإصدار الأوامر وتفسير الأحلام ، وعمل التعـاويذ التـى تجلـب الحـظ وتجنـب النكبـات فـى نظرهـم فكـانت الحكـايت

---

[1] الإنسان فى ظل الأديان صـ ١٠٧ د/عمارة نجيب ٠

[2] المصدر السابق صـ١٠٧ ١٠٨

الإسطورية طريقتهم لإقناع الآخرين حتى ساروا يملون على الناس طريقة العمل والتفكير ، فكانت الأسطورة أو الحكاية منبعا للعقائد ([1])٠

رابعا : أقسام الأسطورة ٠ وتنقسم الأسطورة إلى :

١– الأسطورة الطقوسية :

وهى التى إرتبطت أساسا بعمليات العبادة وعنيت برصد الجزء الكلامى من الطقوس قبل أن تصبح حكاية لهذه الطقوس ويمتاز هذا الجزء بقوى سحرية خفية حتى ليتمكن منشده من أن يسترجع الذى بصفة ويجعل بعض الباحثين لهذه الأسطورة الطقوسيه نظيرا عند المصريين ، ويقصدون بذلك أساطير أوزيريس ويسمونها هكذا وذلك لأنها تصف الكون وعملية الخلق وحياة الإنسان([2])٠

ويرى بعض الباحثين أن التشابه كبير بين أسطورة الخليقة فى حكايات المصريين وملحمة الخلق الأكادية ، لكنه على سبيل المثال يبين أن أوزريس الذى يموت بانتهاء الزمن الخصيب ويحيا مع عودته يجلس على كرسى القضاء ويقرر مصير الأرواح التى إرتحلت إلى العالم الأخر ، فتبدو من هنا الصلة بطقوس التحنيط ، وثمة مواقف أخرى من الأسطورة تبرز تماما عند الترتيل الشعائرى ويصاحب هذا الترتيل النسوه وهن يضعن دمية ترمز لأوزيريس الممزق ويلقين بها فى نهر النيل وذلك إحياء لذكرى طرحة فى الماء داخل الصندوق ٠

وفى بعث حوريس ابن أوزيريس يلقى نشيد فيه أكثر من موضع للتعاويذ فقد لدغ عقرب حوريس الطفل وهو نائم وهنا تفزع أمه ايزيس وتولول وتروح وتهيب بالإله أن ينقذه ([3])٠

---

[1] لمصدر السابق صـ١٠٨

[2] لأساطير صـ٦٤وما بعدها د أحمد كمال زكى

[3] لحضارة المصرية فى العصور القديمة صـ٣٦ - ٣٧ للدكتور على براهيم حسن دار مصر للطباعة و نشر . ومحاضرات الفلسفة الشرقية والإغريقية صـ٩ وما بعدها د/ محمد خليل هراس

ثانيا : الأسطورة التعليلية •

وهى التى لم تأخذ طريقها إلى الوجود إلا بعد أن ظهرت فكرة وجود كائنات روحية خفية فى مقابل ما هو كائن من الظواهر الطبيعية كالرعد وإنفجار البركان وإنشقاق الأرض عن الزرع ، ويبدو أن طائفة من رجال الدين إستطاعت أن توهم الجماعة بأنها على إتصال بهذه الكائنات اللاشخصية ، فوجد السحر و كان فى مبدئه إنما بقوى موجودة فى بعض الاحجار النفيسة أو التى تأخذ شكلا مثيرا ، حيث يفسح المجال للقول بأن روحاً تكمن فيها ويمكن استمالتها عن طريق تقديم القرابين والأضاحى •

على أن فكرة إسترضاء الأرواح تقع خارج نماذج مفهوم السحر – الذى نشير إليه فهى تدخل فى نطاق الدين لأن السحر هنا علم أو منطلق علمى نحو الطبيعة فقد كان يستهدف بفعل الأرواح أن يسيطر على كل كائن فى الطبيعة ، وعلى ذلك ينبغى أن نفهم أمرين، الأمر الأول : أن السحرة وبخاصة سحرة مصر كانوا يدعون لأنفسهم القدره على إخضاع الألهة حتى لقد هددوا ببعثرة عظام أوزيريس كانوا يرضون الجماعة بأشياء أخرى غير التعاويذ كانوا يرضونهم بالحكمة وبسلوك يهدف إلى المحافظة على النوع بالتدليل على جوهره •

والثانى : أنه قام صراع بين السحره من حيث كونهم كهنة أو علماء ، وبين التفكير الشعبى الذى كان يحاول من ناحيته – وبدون الإستعانه بوسيط – أن يقدم التعليلات لكل ما يراه مفزعا أو مثيرا أو محبطا لأعماله ، وهذا الصراع الفكرى كان هدفه الحد من الإستعلاء عند الكهنه وردهم إلى الجادة بدلا من التمادى فى الإدعاء فى إمتلاك أسرار الكون[1]•

---

[1] الأساطير [illegible] أحمد كمال زكي

ويمكن للتعليل الأسطوري من هنا أن يتحرر من سيطرة الشفيع والوسيط فقد جاء في الحكيات المختلفة حشد هائل من تفسير عمليات شروق الشمس وغروبها وازدهار الأرض في الربيع جدبها في الشتاء وثورة البحر أو هياج النهر أو طلوع القمر واختفائه أو وجود البقع في جلد الفهد ، أو ما يجرى هذا المجرى مما يلفت النظر ٠

على أن هذا التحرر العلمي لم يأت إلا متأخرا ، بمعنى أنه سار في مرحلة متأخرة نسبيا من تاريخ الدين ، وكثيرا ما كانت وظيفة الساحر تحمل عبء التفسير ولا تصادر الرأى العام ولكن ما ظهر الكهان إتهموا السحرة ثم لم يلبثوا أن عالجوا فنهم وأحاطوا أنفسهم بأسرار المعرفة التى امتلكوها ، وخصوصا أنفسهم بالشفاعة كما خصصوها بالقدرة على الكهانة (١) ، وكثيرا ما كان تنبؤهم يستعين ببعض الظواهر الطبيعية وبإختصار فإن التعليل كان بداية العلم قبل الفلسفة وشارك السحر في المهمة قبل ان يرتبط بالدين بحيث كانت الشعائر الدينية والسحرية تمارس في وقت واحد تترددالصلوات والترانيم في نفس الصوت المترعم دون أن يبدو أى تناقض في هذا السلوك لأحد ٠

ثالثا : الأسطورة الرمزية :

وهى مرحلة أكثر تعقيدا من المراحل التى قطعتها أساطير الطقوس والتعليل ولعلها اقرب من الأسطورة التعليلية بوجه عام وذلك لأنها تعبر بطريقة مجازية عن فكرة دينيه أو كونية ، نفهم ذلك إذا قرأنا الأساطير العربية ٠

---

(١) الكهانة إدعاء علم الغيب . بالإخبار عن المضمرات أو عن المغيبات في مستقبل الزمان بأى وسيلة من الوسائل وقد تختص بما كان فيه إتصال بالجن ٠ (شرح النووى على صحيح مسلم ج٥ صـ٢٢)٠

فنجد أن " الغميصاء أو " الغموص " كانت هى وسهيل و الشعرى فى مجرة واحدة فإنحدر سهيل والشعرى وعبر المجره إلى اليمن وبقيت الغميصاء وحيدة تبكى حزنا على فقدها سهيلا – التى كانت تعشقه وتحبه حتى غصت عيناها وكذا تبدو فى السماء أسيفة موجعة (١)٠

ونجد أن هذه الأسطورة قد فقدت معناها الرمزى فى التراث الجاهلى وجاءت لنا بمعناها الحرفى لذا يجب علينا أن نبحث عن المعنى الرمزى ٠

وربما لو قرأنا أسطورة " كرونوس " عند الإغريق لفهمنا ذلك أوضح ، ذلك أن " "كرونوس " وأخوته التيتان فيرمزون الى الشمس والقمر والكواكب التى شاركت فى ابعاد الأرض عن السماء وفصلهما كل عن الآخر كى يحتلوا هم الفضاء الشاسع الممتد بينهما وبهذه الكيفيه فقد اتخذ الكون شكله النهائى الذى نعرفه(٢)٠

وقد أصبح " كرونوس " رمزا للزمن الذى لا يفنى ويفنى كل شىء ٠

وتدل الابحاث الحديثة التى عرضت للفكر المبكر للانسان أن مدى التشابه فى عمليات العقل البشرى هنا وهناك انما يظهر فى مثل هذه الأساطير الرمزية ، ولو اتخذنا حضارة مصر أساسا لما انتشر فى الهلال الخصيب وهو الذى امد ثقافه الاغريق فيما بعد لرأينا أن المعنى الرمزى لأساطير أوزيريس يرى أن الصراع الذى نشب بين أزويريس وست ثم بين ست وحورس إنما هو مقابل لظهور ثلاث ممالك فى مصر ٠

وقد نشب بين الممالك الثلاث معارك ، وهذه الممالك هى مملكة شرق الدلتا وكان يحكمها اوزيريس ، ومملكة غرب الدلتا التى تحت حكم حورس ، ومملكة الجنوب أو مصر العليا ، وكانت فى حوزة ست.

---

١ الأساطير صـ٤٨ وما بعدها د / أحمد كمال زكى ٠

٢ مغامرات أسطوريه صـ١٥ تأليف براك إ يوف ترجمه دكتور محمد أبو زيد

وبنجاح حورس في قتل ست كما قتل أباه ومزق جسده تم توحيد الشمال والجنوب لأول مرة في التاريخ([1]) .

رابعا : الأسطورة التاريخية

هي التي تتضمن عناصر تاريخيه ومجموعه خوارق تأخذ إطار الحكاية وهذه الحكاية - لأنها تتعلق بمكان واقعي وبأشخاص حقيقيين تنتقل بالتواتر من جيل الى جيل ومنها في تراثنا حكاية داحس والغبراء وحكاية سد مأرب .... الخ

ومن الواجب علينا أن نحتاط بعض الشيء لهذا يجب أن نفرق بين ضربي من الرويات .

الاول : يعني بابطال دخلوا أساطير الرموز مخاطبين شتى القوى الفكريه والروحيه من أوسع الابواب كأوديب.

والثاني : يعني بأبطال دخلوا التاريخ من أوسع الابواب ولكن طمست أعمالهم من هؤلاء سيف بن ذى يزن ، وعنترة وغيرهم ولعل أعمالهم اختلطت بأعمال غيرهم من الغزاه التاريخيين . ([2]) .

خامسا : صلة الأسطورة بعقيدة الإنساني البدائي :

يرى كثير من الدارسين أو الباحثين أن الأساطير هي أصل الدين بين البدائيين والهمج ويستندون في رأيهم هذا إلى أن المعتقدات البدائية والهمجية تختلط بالأساطير في جميع القبائل البدائية ، فلا يسهل من أجل هذا أن نرفض

---

[1] الأساطير للدكتور احمد كمال ذكي ص٤٥ وما بعدها

[2] المصدر السابق ص٤٥ بتصرف قليل

القول بالعلاقة بين الأسطورة والعقيدة ، ولكن لا يسهل من جهة أخرى أن نطابق بين العقيدة والأسطورة فى كل شئ ، وفى كل خاصة وذلك لأن العقيدة قد تحتوى الأسطورة ، ولكن الأسطورة لا تحتويها • إذ يشتمل عنصر العقيدة على زيادة لا يشتمل عليها عنصر الأسطورة وهى زيادة الإلزام الأخلاقى والشعور الأدبى بالطاعة والولاء ، والأمل فى المعونة والرحمة من جانب الرب المعبود •

وقد وجدت أساطير كثيرة لا تتجاوز الأصناف الرمزية والمشتبهة الفنية التى طبع عليها الخيال ، فهى ترجع إلى ملكة التجسيم والتصوير ولا ترجع إلى ملكة الإيمان والإعتقاد وإن كانت قد تلبست عقائد الجاهلية الأولى ببعض الأساطير ([1])•

وبهذا نتبين ان الأسطورة لها علاقة وثيقة بالدين البدائى فنتجد ان القبائل العربية قد عبدوا الشمس كما عبدها الساميون ، فقد كانوا إذا طلعت الشمس أو غربت أو توسطت السماء سجدوا لها ظنا منهم أن الشيطان يقارنها فى هذه الأوقات الثلاثة ، ولذلك نهى النبى ﷺ عن الصلاة فىتلك الأوقات ، ففى الحديث الصحيح عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ " لا تحروا بصلاتكم بطلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بقرنى شيطان " ([2])•

وفى صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة السلمى قال لرسول الله ﷺ فى حديث طويل " أخبرنى عن الصلاة ، قال ﷺ : صلى صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ... ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرنى شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار "([3])•

---

[1] الله للعقاد صـ ١٥ ، ١٦ دار المعارف الطبعة السادسة •

[2] رواه البخارى صـ ١٤٩ جـ ٤ مطبعة صبيح •

[3] رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين - باب الأوقات التى نهى عن الصلاة فيها صـ ٢٠٧ مطبعة صبيح •

وقد ظهرت الشمس فى الأسطورة العربية آنا مرفوعة على قرنى ثور وآنا آخر علــى هيئـة بعـير لـه قرنـان ، وإذا تذكرنـا أن البعـير هـو الجمـل أوالناقـة أو الحمار أو كل ما يحمل عليه من الدواب ، لذلك فـإن العـرب قـد تصوروا الشمس على هيئة البقر أو محمولة على قرون البقر لأن هذا الحيوان هو الوحيد من ذوى القرون بين البعير •

وقد كان البقر من أهم الحيوانـات الأليفـة فـى منطقـة الشـرق الأوسـط قبـل دخول الحصان والجمل إليها •

لهذا نرى العرب قد إهتموا بالبقر لأنهم قد تغذوا بلبنه ولحمه ، وإستخدموه فى حرث الأرض وإستخراج المـاء مـن الآبـار ، وفـى جـر العربـات ، والإنسـان القديم كان يميل على ما يبدو إلـى تقديـس الأشـياء التـى يعتقـد أنهـا تمنحـه الحيـاة والخصوبة أو كان يعبد الأشياء التى أفاد منها فى تـأمين حاجاتـه الضروريـة مـن مأكل ومشرب ومسكن ، ومن هنا نجد العـرب كسـائر سـكان الشـرق الأوسـط قـد عبدوا البقر وقد إرتبطت عبادة البقر بعبادة القمر خاصة • وقد أشار الشهرسـتانى إلى أن عبدة القمر من الهنود إتخذوا له صنما على شكل عجل يجره أربعة ، وبيد الصنم جوهر ، ومن دينهم أن يسجدوا له ، ويعبدوه وأن يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم يـأتون صنمـه بالطعـام والشـراب واللبـن ثـم يرغبون إليه وينظـرون إلـى القمـر ويسـألونه حوانجهـم فـإذا إسـتهل الشـهر علـوا السطوح وأوقدوا الدخن ودعوا عند رؤيتـه ورغبـوا إليـه ثـم نزلـوا عـن السـطوح لتناول الطعام والشـراب ، والفرح والسرور ، ولـم ينظـروا إليـه إلا علـى وجـوه حسـنة ، وفـى نصـف الشـهر إذا فرغـوا مـن الإفطـار أخـذوا فىالرقـص واللعـب بالمعازف بين يدى الصنم ([1]) •

---

[1] الملل والنحل للشهرستانى ص ٢٥٩ ج ٢ تحقيق محمد سيد كيلانى مطبعة حسن نمصر ١٩٧٦م •

ويزعم الألوسى أن كنانة عبدوا القمر ، وصنعوا صنيع الهنود كما ارتبطت هذه العبادة بالشمس أيضا فوجد عدد من الثيران الشمسية والقمرية ، ومن البقرات القمرية مثل ست واوزيريس الإلهيين القمريين فيما بين النهرين ، ومصر وكانا على هيئة ثور ، وسريا البرهمانى (١) الذى كان يسمى ثورا ، وتذكر الكتابات الآشورية أن الإله الثور هو ابن الشمس ، وعند الفرس أن الثور الأول كان يرسل منه فى كوكب الظلمات وفى الكتابات اللحيانية والثمودية نجد الثور رمزا للإله (١)٠

ويتضح من ذلك أن الأسطورة لها واقع دينى عميق فى حياة الأمم والشعوب والقبائل البدائية ، ولهذا نرى العرب قد عبدوا الزهرة ٠

وتقول الأسطورة : إن الزهرة كانت إمرأة جميلة حسناء أغوت ملكين وتعلمت منهما الكلمة التى يصعدان بها إلى السماء إلى حيث إرتفعت ومسخت كوكبا (٢)٠

ونقول ردا على تلك الأسطورة التى تقول إن الزهرة أغوت ملكين وهذا مما لا يمكن أن توافق عليه العقول السليمة وذلك لأن الملائكة معصومون عن كل المعاصى ٠

ولذلك نرى الإمام القرطبى بعد أن ذكر القصة فى تفسيره يقول " وهذا كله ضعيف وبعيد لا يصح منه شئ ، وهو قول تدفعه الأصول فى الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه وسفراؤه إلى رسله "(٣)٠

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام صـ ٢٠ د/ جواد على جـ ٦ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٠م ٠ دار العلم للملايين بيروت مكتبة النهضة ببغداد ٠

(٢) المصدر نفسه صـ ٢٠ ٠

(٣) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ ١ صـ ٥٤٩ دار الغد الطبعة الثالثة ٠

ويزعمون أن إسم الزهرة عشتر فى النصـوص العربيـة ممـا يسـمح بردهـا إلى الاله عشتار عند البابلين المرادف " لفينوس " عند اليونانيين وهى تلى الشمس والقمـر فـى الأهميـة عنـد أهـل الجنـوب الذيـن إعتبروهـا إبنـا لهمـا وعشـتار عنـد البـابليين هـى آلهـة الخصـب ، وهـى كذلـك الأرض الأم وتتصـل بعبادتـه عبـادة الأشجار ، وتعد من الآلهة القمرية ، وذلك بسبب قرونها ([1])٠

وكذلك فقد عبد العرب العزى ، وهى فى االأسطورة :شيطانة كـانت تسـكن ثلاث سمرات ([2]) ، وقد خرجت على خالد بن الوليد حين قطـع أشـجارها علـى هيئة امرأة حبشية نافشة شعرها ([3])٠

ولعل فى هذه الأسـطورة مظهـرا مـن عبـادة الأشـجار عنـد العـرب ويـرى بعـض البـاحثين أن العـرب عبـدوا الأشـجار ورأوا فيهـا روح الشـر ومـن ذلـك الحماطة ([4]) الشبيه بشجر التين ، والتين أحب الشجر إلى الحيات ، وعبدوا أيضـا نخلة نجران ، وشجرة ذات أنواط ([5]) فى حنين ، ولم يكن العـرب بدعـا فـى هـذه العبادة بل قد سبقهم إليها الكنعانيون ٠

ويعـز و كثـيرون مـن البـاحثين عبـادة الأشـجار الكبـار الخضـر الوارفـات الظلال إلى ما يراه الجاهلى من خضرتها الدائمة على الرغـم مـن الجفـاف القـاتل الذى ينشر الخراب حولها ، وما يراه من قوتها وضخامتها ، ونفعها ويجعله يعتقـد أن كائنات غير طبيعية تسكنها وتمنحها من روحها القوة والصلابـة وتـرى بعـض

---

[1] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام صـ ٢٠ د/ جـ ٦ جواد على٠

[2] السمرات والسمرة بضم الميم من شجر الطلح . والجمع سمر مورق حمل ثمرات وأحمر فى القلة (مختار الصحاح صـ ٣١٣)٠ ٠

[3] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام صـ ٦٠ جـ ٦ . والأساطير والخرافات العربية صـ ١٧ ١٨ ٠

[4] الحماطة شجر شبيه بشجر التين تألفه الحيات . والحماطة واحدة الحماط (المعجم الوسيط صـ ١٩٨ جـ ١ ٠

[5] ذات أنواط : إسم شجرة بعينها ٠ (مختار الصحاح صـ ٦٨٥)٠ ٠

القبائل البدائية أن الإنسان الأول خرج من بطن الأشجار و[illegible] ويقدر [illegible] قبائل افريقيا وإستراليا ومدغشقر تعتقد أن الإنسان من نسل الحيوان والأشجار ونجد مثل هذه الأساطير عند الساميين ([1])٠

ونرى أيضا أن عبادة الأشجار قد إنتشرت بين الأسر الأوربية الكبيرة التى تنتمى إلى الجنس الارى ، فلقد كانت الرياض المقدسة منتشرة بين الجرمان القدماء ... ويمكننا أن ندرك مدى جدية هذه العبادة فى العصور السحيقة من قوة العقاب الذى كانت القوانين الجرمانية القديمة تنزله بالشخص الذى يجرؤ على نزع لحاء إحدى الأشجار ، إذ كانت سرة الجانى تقطع وتنزع من مكانها ، ثم تثبت بالمسامير فى ذلك الموضع من الشجرة التى نزع اللحاء عنه ، ثم يؤمر بأن يدور حول الشجرة حتى تلتف أمعاؤه جميعها حول جذعها ([2])٠

وواضح أن الغرض من هذا العقاب هو إستبدال جزء حى مأخوذ من جسم الجانى باللحاء الميت ، تبعا للمبدأ القائل " حياة بحياة " وهو هنا حياة إنسان بحياة شجرة ([3])٠

والأمر الذى دعا البدائى إلى عبادة الأشجار والنباتات هو ظنه أن لها نفوسا كنفسه ولذا فإنه يعاملها على هذا الأساس ٠

وقد كتب أحد الباحثين فى ذلك يقول " والمعتقد أن الرجل البدائى كان يحيا حياة تعسة ، ذلك لأن خرافاته لم تقف عند حد الحيوانات بل إمتدت إلى النباتات ، وكان يتساءل : لماذا يعتبر ذبح ثور أو شاة مثلا خطئا أكبر من قطع إحدى

---

[1] من الأساطير والخرافات العربية صـ ١٥ . والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام صـ ٢٣ حـ ٦ ٠

[2] الغصن الذهبى : دراسة فى السحر والدين صـ ٣٨٧ - ٣٨٨ . تأليف سير جيمس فريزر ، ترجمة د. أحمد أبوزيد ٠ حـ١ الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ١٩٧١م ٠

[3] المصدر السابق صـ ٣٨٨ ٠

أشـجار الشـربين أو البلـوط ، مـا دامـت هنـاك نفـس تسـكن هـذه الأشـجار وتقيم فيها "([1]) ٠

ويعتقد بعض سكان جزر الفلبين أن نفوس أجدادهم تحل فى أشجار معينة ، وبذلك فإنهم يتجنبون قطعهـا مـا أمكـن ، فـإذا أجبروا علـى قطـع أحداهـا تلمسـوا لأنفسهم المعاذير بقولهم إنما هم ينفذون فى ذلك بأمر رجال الدين عندهم ٠ تفضل الأرواح أن تحل فىالأشجار الباسقة الضخمة ذات الأغصـان الكبيرة المتفرعـة ، وعندما تهب الريـح ويسمع حفيف الأوراق يتصـور السكان الأصليون أنـه هـو صوت الروح ولذا فإن الناس لا يتجاسرون على أن يعبروا الطريـق أمـام إحدى تلك الأشجار دون أن ينحنوا لها فى إجلال وإحترام طـالبين مـن الـروح أن تغفر لهم إزعاجهم إياها ٠ وكل قرية من قرى الإجنو روت شجرتها المقدسة التى تحل فيها أرواح الموتى من الأسلاف ، ويقدم لها الهدايـا والقرابيـن ، كمـا يعتقـدون أن كل ما يلحق بهـا مـن أذى أو ضـرر سـوف يجرعلـى القريـة كـل الوبـال ، سـواء الطالع ، فإذا قطعت تلك الشجرة حل الدمار بالقرية وسكانها ([2]) ٠

وبهذا نرى أن عبادة الأشجار قد لعبت دورا كبيرا فى حياة الأمم سواء كان ذلك عنـد القبـائل العربيـة فـى الجاهليـة ،أو عنـد الأسـر الأوربيـة ، كمـا سـبق أن أشرت إلى ذلك ٠

وهـذا يـدل علـى بدائيـة العقـل الإنسـانى فىتفكـيره ، وتخلفـه عـن جـادة الصواب ، إذ كيف ينسج الأساطير والخرافات حول أشجار معينة ثم يقوم بعبادتها وتقديسها وتقديم الهدايا والقرابين لها ؟

ثم نجد العرب قد إنتقلوا من عبادة الأشجار إلـى عبـادة إسـافا ونائلـة اللذيـن تزعم الأسطورة أنهمـا كانـا فتـى وفتـاة دخـلا الكعبـة وفجـرا فيهـا فمسـخهما اللـه

---

[1] المصـدر السابق صـ ٣٩٠ ٠

[2] المصـدر السابق صـ ٣٩٩ ، ٤٠٠ ٠

حجرين وبعد فترة من الزمان نسى الناس أمرهما وعبدوهما ، وقد رأى فيها بعض الدارسين صورة للزوجين الإلهيين ([1]) ·

وهناك أشكال متعددة للعبادة ، تمثل تعدد وجهة نظر الإنسان بالقياس إلى مفهوم الألوهية لديه ، فهناك عبادة تسمى عبادة ابناء القبائل ، حيث أسبغ على أجداد القبائل ما يسبغ على الآلهة من نعوت وصفات ، وتوجد هذه العبادة عند القبائل البدائية · وقد يكون هؤلاء الأجداد أجداد حقيقيين ، وقد يكونون اشخاصا خلقتهم الأساطير · ومهما يكن من شئ فقد أعطى هؤلاء صفات الربوبية ونعوتها ، ونظر إليهم نظرة من فيه قوى خارقة ذات هيمنة على العالم والخلق ([2]) ·

وهكذا نجد أن الأسطورة كانت تسيطر على عقل الرجل فكان يتمثلها فى كل شئ فى ظواهر الطبيعة فى الشمس ، والقمر والأشياء المادية الحسية مثل الأشجار والآبار ،وغير ذلك من أشياء يحسب أن روحا قد حلت فيها لهذا كان الرجل البدائى يعبد تلك الأشياء ويقدسها ·

سادسا : هل الأسطورة ظاهرة دينية أو إجتماعية ؟

يرى بعض العلماء أن الأسطورة ظاهرة دينية ، فهى ·

أولا : موضوع إعتقاد ، فلدى عدد كبير من الشعوب البدائية يطلع الشبان – فى أثناء طقوس التعميد – على القصص الإسطورية وعلى الأسماء الخفية للآلهة ، وعلى العادات التقليدية · أى أنهم يطلعون على تراث دينى تعد معرفته فارقا يميز الرجال عن الأطفال ·

---

[1] من الأساطير والخرافات العربية صـ ٢٠ .والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام صـ ٢٣ حـ ٦ ·

[2] المصدر السابق صـ ٢٨ حـ ٦ ·

وبذلك تصبح هذه الأسرار المكشوف عنها نوعا بدائيا من العقائد الدينية التى يجب الإيمان بها عقلا ، وعاطفة ، وإذن فليس من الممكن إنكار طابعها الدينى .

ثانيا : والأسطورة ظاهرة دينية أيضا وذلك لأنها تتصل بطقوس محددة حتى لو أفسح فيها مجال للشعر ولهوى الأفراد ، وإذن فالأسطورة وليدة الطقوس الدينية ، فمثلا إذا قدم أحد الأفراد إبنه ضحية لـ " زيوس " فذلك لأنه كان من المألوف أن تقدم الأطفال قرابين إلى " زيوس " وكانت هذه نقطة البدء لمجموعة كبيرة من البحوث التىأدت إلى توضيح العلاقة بين الأسطورة والطقوس الدينية ، ومن ثم إلى بيان طابعها الدينى ([1]).

ولتوضيح هذا المعنى نذكر مثالين أحدهما من الحضارة الزراعية ، والثانى من حضارة المدن ، والمثال الأول يبين أنه يوجد لدى جميع الشعوب الهندية الأوربية قصة شراب الخلود الإلهى ، تلك القصة التى يمكن تلخيصها على النحو التالى :

أنه لما جاءت الآلهة أعدت لنفسها شراب الخلود ، فجاء الشيطان وإستولى على هذا الشراب ، فتنكر أحد الآلهة فى زى إمرأة ، وذهب إلى الشيطان ولما إستعان بجاذبيته نجح فى إسترجاع الشراب ، ثم قامت معركة بين الشياطين والآلهة إنتهت بفوز الآلهة .

وتعتمد هذه الأسطورة على أساس عدد خاص من الطقوس . ومن تلك الطقوس :

أنهم كانوا يعدون شرابا خاصا ، فيأتى رجل يمثل الشيطان ليسرقه ،ثم يتناولون طعاما ويقيمون مائدة فى الحقول ، ويطوفون برجل يتنكر فى زى امرأة،

---

[1] مبادئ علم الإجتماع الدينى صـ ٨١ ، تأليف روجيه باستيد ، ترجمة د. محمود قاسم الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥١م .

ويحمل كأسا بيده ، وينشب قتال بين طائفتين من المحتفلين بالعيد ، وكان يوجد إلى جانب ذلك شئ آخر وهو الإتصال بين الجنسين ٠

وإذا عبرت هذه الأعياد الموسمية عن شئ فإنما تعبر عن أمرين الأول : تنكر الإله فى زى إمرأة ، والأمر الثانى : طرد الشيطان السارق وإعدامه ٠

وحقيقة تتميز الكارنافالات " الأعياد التنكرية " وأعياد شهر مايو وجميع الطقوس الزراعية بالتنكر ، وتضحية أحد القرابين فدمية الكرنفال ترمز إلى النبات القديم الذى قضى عليه الشتاء لكى يفسح المجال لنبات الربيع ، وتهدف ضروب التنكر التى تعقب الطقوس الجنسية إلى إخصاب الحقول عن طريق إستخدام السحر بالمحاماه .

وأما فيما يتعلق بشراب الخلود فيمكن توضيحه بالعادة الأمريكية لدى الهنود، وهى المسماة " البوتلاتش" (١)٠ ويدل هذا المصطلح على تلك الولائم الإجتماعية الفاخرة التى تقيمها القبيلة إلى الأخرى بشرط أن تردها هذه الأخيرة

---

(١) البوتلاتش : هو المظهر العادى لبعض الصلات التى بين العشائر وهى صلات ذات مظهر إجتماعى أكثر منه فرديا . وإن كانت البوتلاتش تبدو دائما وقد أشرف عليها ومنحها فرد . أو أن البوتلاتش هى هذا النظام الذى لايزال قائما حتى الآن والمعمول به فى الشمال الغربى لأمريكا حيث تتبارى العشائر والإتحادات التى يواجه كل منها الآخر فى الإتفاق . بل فى إدارة الثروات . والذى ينظم الحياة الإجتماعية والدينية والفنية والسياسية والإقتصادية وهو جزء من نظام الهدايا الكاملة وهو نظام عادى فى جميع المجتمعات القائمة على العشيرة . فالزوجة من خارج العشيرة ليس إلا تبادلا جميع نساء العشائر التى يربطها رباط المصاهرة . والكل شيء يمكن تبادله بين العشائر وبين مختلف الأجيال من مختلف العشائر كالحقوق والأشياء والطقوس الدينية وغيرها مما يمكن تبادله . نجد هذا مثلا عند " الورامونجا " فى إستراليا الوسطى حيث ينتقل كل شيء من إتحاد يؤدى الطقوس إلى إتحاد يشهدها . ولكن البوتلاتش يتميز بطابع حب الظهور شديد الوضوح وبطابع المنافسة فى القرابين التى تقدمها عشيرة لأخرى . وعلى وجه العموم بطابع الصراع بين هذه القبائل التى تقف وجها لوجه . ويبدو أنه يتحول فى الحال قد يكون مميتا فى الوقت الذى تتبادل فيه طائفة من العقود الجماعية السلمية . (نشأة النظام الإجتماعى وتطوره من العشائر إلى الإمبراطوريات)٠ تأليف أ . موريه و جـ . دفى ص ١٦١ ، ١٦٢ بالهامش . ترجمة د/ عبدالعزيز برهام جـ ١ إدارة الثقافة العامة ١٩٦١م الناشر دار الكرنك للنشر والطبع بالقاهرة ٠

وفيها يتحدى كل فريق صاحبه . ففى الأسطورة كما فى " البوتلاتش " نجد قبيلتين (الهة شياطين) تتنافسان على طعام سحرى والمنتصر فى هذه المعارك الغذائية هو الذى تكتب له السيطرة .

والمثال الاخر منتزع من حضارة المدن وفيه نجد أن الطقس الرئيسى فيه هو الذى يمس تشييد المدن ، وكان من عادة الناس فى هذه المناسبة أن يحيطوا المدينة بسوار من الخنادق ، وبعد ذلك يقيموا عليه جدران المدينة وكانوا يحتفلون بذكرى هذه الطقوس كل عام ، وذلك بالطواف حول المدينة .

مثال ذلك : الطواف المصرى القديم والطواف الرومانى . وكان سكان المدينة يكررون هذا الموكب الحافل عندما تكون المدينة فى خطر ، ويهدفون بذلك إلى تحديد القوى الخفية للمدينة وكان هذا الطواف حول المدينة ينشر عليها قوة تحميها وتقيها من الأمراض ، وإن الطواف فى إتجاه حركة الشمس عندهم كان طواف ميمون وأن كان فى الإتجاه المضاد فهو طواف مشئوم ([1]).

وكذلك نجد فى النتاج الأسطورى الأول كثير من التصورات الدينية لدى الشعوب البدائية كانت من غير شك أساساً للعقيدة الدينية فيما بعد ذلك أسطورة أوزيريس المصرى ([2]).

وتتلخص هذه الأسطورة فى أن أوزيريس وهو إله الإنبات والخصوبة وبالجملة إله النيل قد إستعان بأخته وزوجته ايزيس إلهة الحكمة والتشريع والسحر ورمز الوفاء والإخلاص ، وبوزيره " توت " إله الحكمة والتدبير ، وبعض الآلهة الآخرين على تكوين مملكة إلهية عظيمة فى مصر ، وكان لهذا الإله أخ وهو " ست " إله الشر والقحط والإجداب ، فحقد عليه من أجل هذا الجلال الباهر فى

---

[1] مبادئ علم الإجتماع الدينى صـ ٨١ تأليف روجيه باستيد . ترجمة د/ محمود قاسم . الناشر مكتبة لأنجلو المصرية ١٩٥١م .

[2] الاساطير صـ ١٢٠ د/ أحمد كمال ذكى .

مملكته الصافية ٠ ولما كان لا يستطيع مجابهته وجها لوجه رهبة منه فقد غدر به إذ إحتال عليه بحيلة شيطانية حتى أدخله فى تابوت كان قد صنعه خصيصا لهذه الخديعة بحجة أنه يود أن يعرف سعة هذا التابوت ثم أقفله عليه وقذف به فى النيل فحمله التيار إلى المصب وسلمه إلى البحر الأبيض فحمله هذا التيار من المصب إلى " بيلوس " – على ساحل فلسطين – وفى أثناء ذلك إفتقدته زوجته الوفية فلم تجده فأدركت ما حدث له ، فصممت على أن تفتش عنه حتى تعيده إلى الحياة وإلا لحقت به ، وظلت تجهد نفسها فى البحث عنه حتى عثرت عليه وأعادته إلى الدلتا ٠ وقبل أن تتمكن من فتح التابوت فاجأها " ست " وتغلب عليه بقوته ثم مزق جسم أخيه أشلاء ، عددها إثنان وسبعون شلوا ألقى بكل شلو منها فى مقاطعة من مقاطعات مصر ، وكان عددها إذ ذاك يساوى عدد هذه الأشلاء ([1])٠

ولكن ذلك لم يضعضع من عزيمة " أيزيس " بل ثابرت على جمع هذه الأشلاء المتناثرة ، حتى إستكملتها ووضعت كل واحدة منها فى مكانها الطبيعى ، ثم تلت عليه بعض ما تعرفه من الرقى والتعاويذ السحرية ، فعاد إلى الحياة ، ولكنها حياة لاتشبه الحياة الأولى ، فلم يلبث على الأرض إلا بقدر ما أنسل " حوريس " ثم غادرها وإستبدلها بمملكة الأموات العظيمة ، بحيث أصبحت مهمته محاسبة أهل الدنيا ووزن أعمالهم وإصدار الأمر لهم وعليهم بالنعيم أو بالجحيم وقد إستخلف على مملكة الدنيا من بعده ابنه " حوريس " ٠

فلما تولى الإله الشاب المملكة جمع أنصاره وهاجم " ست " وظل يقاتله حتى هزمه شر هزيمة ، ولكن " ايزيس " لم تسمح لولدها بإبادة عمه " ست " لأنها رأت أن الشر ضرورى للخير والظلام لازم للنور ٠ ولكن " ست " عاد إلى

---

[1] الفلسفة الشرقية صـ ٣٤ وما بعدها ، د/ محمد غلاب مطبعة البيب الأخضر بالقاهرة . والحضارة المصرية فى العصور القديمة صـ ٣٧ د/ على إبراهيم حسن دار مصر للطباعة ٠

مشاكسة هذا الإله الشاب من ناحية القانون فاعلن أنه ليس ابن " أوزيريس " لأن أوزيريس قد مات منذ عهد طويل ، ولأنه من غير الممكن أن ينسل في هذه الفترة الوجيزة التي عاد فيها إلى الحياة على الأرض وعلى ذلك فليس للعرش الإلهي وارث شرعي إلا هو ٠

وقد رفع بهذه الدعوى قضية أمام محكمة الآلهة ، فهبت ايزيس تدافع عن نفسها وشرفها ، وحوريس يثبت بنوته من أوزيريس ثم إستشهدت الزوجة المتهمة والإبن المجحود بالإله اللبق الفصيح " توت " فشهد بشرف الوالدة وشرعية الولد ، فحكمة المحكمة بالعرش المقدس لذلك الإله الشاب ([1])٠

وتفسر هذه الأسطورة ما فطن إليه المصريون من وحدة تجمع ظواهر الطبيعة والحياة والكون ... وتفسر إنتظام الفيضان وإرتباطه بالشمس التى تصعد السحب التى لا تلبث أن تسقط أمطاراً تعمل على إحكام دورة الفيضان ... وتفسر دورة الحياة ومطابقتها لدورة الشمس من الأفق الشرقى وقوتها فى الأوج، وإضمحلالها ورحلتها فى عالم الظلام ثم عودتها من جديد ... وتفسر إنقسام التربة وجدبها ثم عودة الحياة إليها مخضرة ناضرة ، ولعل فيما كان يقيمه الفلاح المصرى من عادات تقترن بالغرس والحصاد ، ما يؤكد هذه الوظيفة الأسطورية للإله أوزيريس الذى يموت ليبعث الحياة فى الناس وفى النبات ([2])٠

وتفسر هذه الأسطورة أيضا عادة تحنيط الموتى عند قدماء المصريين وعقيدتهم فى البعث والخلود ، فنرى عبادة أوزيريس أساسها الأول أن كل إنسان ملكا كان أو فرداً عادياً مسئول بعد الموت عن أعماله فى الدنيا أمام محكمة إلهية يتولى القضاء فيها أوزيريس نفسه ويساعده فيها توت وأنوبيس وحوريس ، وإثنان وأربعون قاضيا ، فإذا حكمت هذه المحكمة بأن حسنات الميت ترجح على سيئاته

---

[1] الفلسفة الشرقية صـ ٣٦ ٠

[2] الحكاية الشعبية صـ ٢٧ - ٢٨ د/ عبدالحميد يونس ٠

كوفى بالنعيم الخالد وصار مثل أوزيريس ، أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء فى حياته فجزائه أن يفترسه الوحش أو أن يلقى فى النار أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب ، وكانوا يجسمون هذه المحاسبة فيضعون لها فى كتاب الموتى ، وعلى التوابيت رسم محكمة ومحاكمة وميزان ، وفى هذه المحكمة يجلس أوزيريس على عرشه حاملا عصاه وكرباجه ، ومعه إثنان وأربعون قاضيا من الآلهة .

ويلاحظ هنا أن مصر كانت مقسمة إلى إثنين وأبعين إقليما فكان كل من القضاة يمثل إقليما من هذه الأقاليم ، فإذا جئ بالميت تسلمه أنوبيس وأخذ قلبه ووضعه فى إحدى كفتى ميزان ، ووضع فى الكفة الأخرى تمثال الآلهة معات (آلهة الحقيقة والعدل) أوريشتها ، ثم وقف الإله " توت " بجانب الميزان وفى يده اليمنى قلمم وفى يده اليسرى سجل يدون فيه نتيجة الميزان ثم يرفعها إلى أوزيريس ، ويقف بالقرب من توت الوحش ، وهو وحش له رأس تمساح وجسم أسد متأهبا لأن يلتهم الميت الذى يصدر الحكم بإلتهامه وفى بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة فى مكان خاص منها ، ليلقى فيها المذنبون ، والقلب فى الميزان ييمثل أعمال الميت فى حياته وهو الذى يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شر (١) .

ويذهب كثير من علماء الإجتماع إلى أن الأسطورة ظاهرة إجتماعية ، فيذكر العالم الإجتماعى الشهير " دور كايم " وفريق من تلاميذه إلى أن فكرة التألية ليست جبلية أو متأصلة فى الفطرة البشرية ، وإنما هى نتيجة مجهود طويل بذل فى تشخيص فكرة المقدس ، وهذه الفكرة الأخيرة هى بدورها أيضا ليست إلا تمثل الجماعة البشرية ذاتها أو تمثلها سلطانها الكلى ، ولكن فى صورة إقنومية

---

(١) عى هامش التاريخ لمصرى القديم صـ ٥٥ ، عبدالقادر حمزه ، مطابع دار الشعب ١٩٥٧ .

أخذت تسمو وتتجرد حتى إنفصلت من أصلها الأرض ، والحقها التطور باللامرئى فصارت غير مرئية ، إلا أنه يعود فيسائل نفسه قائلا : من أين إنتزع الإنسان البدائى فكرة القوة التى تفوقه ؟

ثم يجيب دور كايم على هذا السؤال بأنه انتزعها من الحياة الإجتماعية ذاتها .

وبيان ذلك أن الفرد البدائى كان فى الحفلات والأعياد والمجتمعات العامة يحس بأن قوة منعشة تتغلغل فى نفسه فتشعره بشئ من اللذة وتجدد نشاطه ، وبالتالى ترفعه فوق مستواه وتملؤه بأمل جديد .

ولما لم يكن لديه إذ ذاك من الرجاحة العقلية القدر الكافى لإكتشاف أن مأتى هذا الإحساس هو الحياة فى المجموعة ، فقد خلق منه قوة غير مشخصة وغير مرئية ، أولى مميزاتها أنها فوق نظام النواميس الطبيعية . ومن دلائل صحة هذه النظرية عند أصحابها أن الأساطير فى العموم تظهرنا على أنها لا تصدر فى طليعتها عن فكرة شخصية وإنما هى تنتهى إليها بادئة من الفكرة اللاشخصية للمقدس العام ، ويعتبر إنتهاؤها إلى هذه الغاية تقدما وإرتقاء ([1]).

ويقول الدكتور أحمد الخشاب (ومما يعطى لها دلالة إجتماعية هامة أن تقديس الفصائل الحيوانية والسمكية كان له أهمية خاصة عند العامة دون الخاصة ... وكانتالأساطير الدينية تدعم هذا التقديس عن طريق تصويرها بأنها تجسد الآلهة المحليين عن طريق حلولهم بها ليزداد إقتناع العامة بتقديسها) ([2]).

---

[1] مشكلة الألوهية صـ ٢٠ تأليف د/ محمد غلاب الطبعة الثانية سنة ١٣٧١هـ ١٩٥١م . دار إحياء الكتب العربية مطبعة الحلبى .

[2] د/ أحمد الخشاب التفكير الإجتماعى : دراسة تكاملية للنظرية الإجتماعية صـ٧٦ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م .

سابعا : أسباب إعتقاد البدائى فى الأساطير ·

أولا : إن رواية الأساطير شائعة بين الجنس البشرى كله وهى عند البدائيين متصلة بحياتهم كلها ، وذلك لأن الأساطير وسيلة لدى بعض القبائل لتعليل العادات والعقائد والممارسات والإحتفالات وتوطيد سلطانها فى النفوس ، فالبدائيون كثيرا ما يجدون أنفسهم أمام عادات وطقوس يصعب عليهم تأويلها وفهم معانيها ·

ومن الطبيعى فى مثل هذه الحالة أن يحاولوا تأويلها بالقول : إن أباءنا لقنونا هذه الأشياء · ثم يعودون إلى الوراء إلى أصول بعيدة إلى آباء لايذكرونهم و إلى أبطال خياليين وأسطوريين أو إلى آلهة عليا - كل هذا لكى يثبتوا قوة وصلاحية هذه العادات والطقوس الموروثة المتواترة فالأساطير من هذه الوجهة إنما هى لتزكية العادات والتقاليد القبلية ([1])·

ثانيا : كما كان الأغريق القدماء ينظرون إلى أساطيرهم نظرة جادة فلما كانت الآلهة تسيطر على القوى الطبيعية وتتحكم فيها لذا كان من الحكمة أن يتعاملوا معها بكل الحرص والتقدير والإعتبار وهى علاقة ذات مفهوم خاص لأنه والحال كذلك يصبح من الضرورى العمل على إسترضاء الآلهة كى ترسل المطر ، وتنزله عند الحاجة إليه ، وأن تقدم لها القرابين والأضحيات حتى لا تصب على البشر غضبها وحتى لا تصيبهم بالأمراض والأوبئة ، ولهذا أقيمت المعابد وبنيت المذابح ونظمت القصائد وترددت الأهازيج والأغنيات مديحا وتقربا ·

وهكذا بزغت العقائد والأديان من قلب الأساطير ([2])·

---

[1] أديان العالم صـ ٢٥ - ٢٦ حبيب سعيد المطبعة الفنية الحديثة ·

[2] كلمات أسطورية صـ م تأليف أيزاك أزيموف . ترجمة د/ محمود أبوزيد ·

ثالثا : نلاحظ أن كثيرا من الأساطير ترتبط بتتابع الليل والنهار والصيف والشتاء والقمر ونظر أحيانا إلى هذين الأخرين كأشخاص ، بالإضافة إلى القصص المرتبطة بحركة دوران الشمس ورحلتها من الشرق والغرب ، نجد كثيرا منها تتحدث عن التغيرات الشمسية والإنقلابات الصيفية والشتوية وعادة تقام الإحتفالات فى هذه المناسبات الصيفية والشتوية وتتخذ طابعها السحرى وتتميز بالرقص حول النار ، وبسرد القصص الخرافية المختلفة التى تفسر هذه الظاهرات والتغيرات .

وهناك معتقدات تزعم بوجود إرتباط بين الدورة القمرية وولادة الأطفال ونمو النباتات وفى معظم المعتقدات الأسطورية يطلق على الشمس لفظ مذكر وعلى القمر لفظ مؤنث .

ويظهر بين الشعوب التى إهتمت بالفلك أثر النجوم فى الخرافات والأساطير، وتوجد علاقة قوية بينها وبين مواعيد ظهور البدر ومواعيد الحصاد حيث تقام حفلات وطقوس معينة لإستمالة الطبيعة ، وتتحدث الأساطير فى هذه المناسبات عن موت أو غياب أشخاص معينين ثم عودتهم أو بعثهم متجددى القوى والنشاط ، لينفقوا ما إستزادوا به من قوة فى المحاصيل فيتجدد نشاط وحيوية الأرض ويكثر المحصول (١).

رابعا : إن الإنسان البدائى يسعى دائما إلى الحقيقة و إلى تفسير تصرفاته مدفوعا بما يحيط به من ظواهر الكون ، وطبيعى أن الأسباب التى يصل إليها لا تتطابق الدوافع السيكلوجية الفعلية للأفعال التى يريد تفسيرها لذلك يجب أن ينطوى كل بحث وشرح للعادات الوطنية على تفسير للأسباب التى يقدمونها كمبرر لإتباعهم هذه العادة وتلك القصص التى تبدو ولأول وهلة خرافة هى فى

---

١ الإجتماع الدينى صـــ ٤٧ . د/ أحمد الخشاب . ملتزم الطبع والنشر مكتبة القاهرة الحديثة . الطبعة الثانية ١٩٦٤م ، دار الحمامى للطباعة .

الحقيقة الوسائل التى يعبر بها هؤلاء البدائيون عن إتجاهاتهم الأساسية فى الحياة وطبيعة عواطفهم المرتبطة بتلك الإتجاهات ([1])٠

خامسا : معنى السببية لدى البدائيين ٠

يعتقد هؤلاء البدائيون أن هناك قوى خفية تنتج الظواهر وتحدثها وهم يرون أن العالم الذى يقع تحت حواسهم يرتبط إرتباطا شديدا بعالم القوى الغيبية ، وأن هذه القوى تؤثر فى الظواهر الطبيعية تأثيرا مستمرا ٠

ولا ريب أن جهلهم لكثير من العلاقات الحقيقية بين هذه الظواهر هو السبب فى ذلك الطابع الغيبى الذى تتسم به فكرتهم عن السببية ٠

فالعقلية البدائية لا تكتفى بما توقفها عليه التجارب والملاحظات اليومية المألوفة ، بل تتجاوز نطاق الواقع دائما ٠ وتتخيل علاقات بين النتائج التى تقع تحت الحواس وبين أحد الأسباب الخفية لأنه يربط أية ظاهرة كانت بأى سبب يرتضيه ٠

فمثلا إذا قتلت العاصفة رجلا قال إن ذلك كان عقابا له لأنه ساحر وإذا عاد رجل من الصيد دون أن يصيب منه شيئا فكر فى الوسيلة التى تكشف له عن الشخص الذى كان سحره شئوما على شباكه.٠ فإذا رفع نظره فجأة ، ورأى رجلا من قبيلة أخرى يتجه إلى قريته فسرعان ما يخطر بذهنه أن هذا الرجل ساحر ٠ ولذا فإنه يتحين أول فرصة ليفتك به ٠ فالصائد لا يعترف إذن بأن الفشل فى الصيد يرجع إلى مجرد الصدفة ، بل يرجع ذلك إلى سبب غيبى هو السحر ([2])٠

سادسا : رأى أفراد الجماعة الأولى أن فريقا ممن حولهم يصح ، وآخر يمرض ، وثالثا يقوى ، ورابعا يضعف ، وخامسا يغتنى ، وسادسا يفتقر ، وسابعا

---

[1] الوثنية : مفاهيم وممارسات صـ ٣٥ - ٣٦ . د/ فاروق سماعيل . دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ٠

[2] المنطق الحديث ومناهج البحث. تأليف د/ محمود قاسم صـ ١٨٢ . الطبعة الثالثة . الناشر مكتبة الأنجلو المصرية٠

يولد ، وثامنا يموت ، فحاولوا أن يعللوا هذه الظواهر المختلفة أو يردوها إلى أسباب معقولة ، وعلل مقنعة ، ولكنهم وقفوا حائرين عاجزين عن تعليل أية ظاهرة من ظواهر هذا الكون الهائلة المرعبة ، وسرعان ما إندفق إلى قلوبهم الساذجة ثم إلى عقولهم البدائية إيمان وثيق بأن هناك يداً خفية تحرك هذا الكون حسب مشيئتها ، ووفق إرادتها ، وأن صاحب تلك اليد لابد أن يكون مقيما فى هذه القبة الزرقاء عند بعض الشعوب ، والقاتمة أو الرمادية عند البعض الآخر ، والتى يبرز من أفقها كوكب الشمس المضئ حينا والقمر المنير والنجوم اللامعة حينا آخر ، والتى تغضب أو يغضب سكانها قليلا فى مصر ، وكثيرا فى أوربا ، فتبرق وترعد ، وتنذر ، وتتوعد ، وترسل من الصواعق نارا ومن وابل السيل مدرارا ، غير أنهم لأمر ما قد تصوروا أن هذا المؤثر الأعظم لابد أن يكون له ممثلون على الأرض ، وأنهم إذا أرادوا أن يجلبوا رضاه أو يدفعوا سخطه ، فلابد لهم من أن ينقبوا عن هؤلاء الممثلين جهد طاقتهم حتى إذا عثروا عليهم قدموا إليهم الضحايا والقرابين وقاموا بين أيديهم بأكبر قسط ممكن من الإحترام والإجلال ، ثم أخذ كل شعب يبحث عن هؤلاء الممثلين الذين يقربونه إلى المؤثر الأول ، ولكن ذلك البحث لم يهد أصحابه إلى نتيجة واحدة ، وهذا أمر طبيعى ما دامت هذه الشعوب تختلف فى طبائعها وأجوائها ومواقع بلادها الجغرافية التى لها على الثقافة والتفكير أثر عظيم ، فاقتنع المصريون مثلا بأن ممثل المؤثر الأول لهذه الكائنات هو كوكب الشمس ، لما رأوا فيه من فائدة ونفع للإنسان والحيوان والنبات وما تصوروه عليه من بطش بجيوش الظلام الشريرة السوداء التى تسيطر على العالم إلا حين ينام هذا الممثل الجليل ، فإذا إستيقظ من نومه وصرخ فيها صرخة عالية تفرقت شذر مذر ، ومزقت كتائبها كل ممزق ، وفرت إلى أعمق دركات الجحيم حيث تقضى هناك طيلة النهار ، أما هو فإنه

يختال فى السماء معجبا بما سكبه على الكون من عناصر الحياة والنور والإنتعاش ([١])٠

ولقد رأى المجوس أن النار هى وحدها الجديرة بتمثيل الكائن الأول ، لما فيها من نعمة الإنضاج وقوة الإحراق ٠

وآمن غير هؤلاء بأن الممثل الأعلى : هو فيل أو بقرة أو غير ذلك ، فسجد كل شعب لما إعتقد أنه الممثل الأكبر لهذا الموجد الأعظم ([٢])٠

ومن هذا كله يتبين أن تلك القداسات الأولى قد بدأت من فكرة القوة العامة الرهيبة غير المشخصة ثم تدرجت إلى المشخصات المختلفة التى تمثل تارة بعض مظاهر القوى الطبيعية ، وتارة أخرى كائنا أرضيا يمت بإحدى الصلات إلى شئ من تلك القوى ([٣])٠

---

[١] مشكلة الألوهية صـ ٢١ ، د/ محمد غلاب الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة الحلبى ١٣٧١ - ١٩٥١م ٠

[٢] المصدر السابق صـ ٢٢ ٠

[٣] المصدر السابق صـ ٢٢ ٠

خاتمة البحث

اتضح من خلال هذا البحث أن عقل الإنسان البدائى كان دائما يتصور الأشياء التى تحيط به آلهة أو شبه آلهة ٠

لقد كان كل شئ يبدو لعينه عالما مجهولا مخيفا يضم فى كيانه قوى وأسرار يعجز العقل عجزا مطلقا عن تأويلها أو الوقوف على شئ من عللها وأسبابها ٠ فالسحاب والرعد والبرق والريح والنار والحب والثمر ، والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وكل صغير وكبير ، وحى وميت ومتحرك وساكن ، وكل ما فى الوجود من موجودات كان عند الإنسان البدائى عوالم مجهولة ترمى إليه بالمخاوف ، وتحدق فيه بعيون تتهدد وتتوعد بالمرسلات من الصواعق والمهالك ٠ من أجل ذلك نجد أن الإنسان البدائى أخذ يسترضى كل هذه الأشياء بالعبادة والتقديس ٠

وعلى كل حال فإن معتقدات الإنسان البدائى كانت فى الأعم الأغلب ممثلة فى تلك الأساطير والخرافات المختلفة التى هى من نسيج الخيال ، وقد ظلت تلك الأساطير متوارثة فى أجيال الناس فكانت كما رأينا فى أسطورة أوزيريس وإزيس عند الفراعنة فى مصر وأخذناها كمثال على معتقداتهم فى الأسطورة ٠

مصطلحات البحث :

١- الأسطورة :

هى سطر والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس · ومن القوم الوقوف وسطر فلان كذا ، كتب سطرا سطرا ، وجمع السطر أسطر وسطور وأسطار قال : " المبرد " ففى قوله تعالى " أساطير الأولين " هى جمع أسطورة · نحو أرجوحة وأراجيح وأحدوثة وأحاديث([1])·

وجاء فى المعجم الوسيط أن الأساطير هى : الأباطيل والأحاديث العجيبة ، وأحدها أسطار وأسطير وأسطورة ([2])·

٢- العقيدة :

هى ما لا يقبل الشك فى نظر معتقده أو ما يقصد الإعتقاد دون العمل ([3])· وجاء فى المعجم الوسيط أنها الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده وفى الدين ما يقصد به الإعتقاد دون العمل كعقيده وجود الله وبعثه الرسل([4])·

وقد عرفها بعض الباحثين بأنها الرابطة بين المعتقد والمعتقد فيه ، وتلك طبيعة فى الإنسان ، فهو يرتبط بأسرته وتلك عقيدة أو بإقليمه وهذه عقيدة أو

---

[1] المفردات فى غريب القرآن - للراغب الأصبهانى ، صـ٣٣٩ ، إعداد محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠ ،

[2] المعجم الوسيط ، صـ٤٢٩ ،جـ١ ، مجمع اللغة العربية ، مطابع درا المعارف ، ١٩٨٠ مختار الصحاح ، صـ١٩٨ لأبى بكر الرازى - تقديم محمود خاطر ، ط٨ ، المطبعة الأميرية - القاهرة ·

[3] المعجم الفلسفى ٢١٢١، مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشئون المطابع الأميريه ، ١٩٧٩

[4] المعجم الوسيط جـ٢ ،صـ٦١٤

بقوميته وهى عقيدة أوسع ، أو بالنوع الإنسانى وتسمى عقيدة أخلاقية أو بالكون وما وراءه وهى أشمل العقائد ، و تلك عقيدة الإسلام[1] .

٣- الإنسان البدائى

هو الذى تصغه الكتب المتصلة بالدراسات الإنسانيه كالتاريخ والجيولوجيا والسلالات والإجتماع وعلم النفس ، وهو يفترق كثيراً عن الإنسان الأول " أدم عليه السلام "[2] .

فالإنسان الأول كما طالعنا و " هو آدم " كان على إتصال بالله عن طريق الوحى وقد تعلم كيف يتعامل مع نفسه ومع الكائنات من حوله ، أما الإنسان البدائى فلا يخرج عند كونه فردا راقياً أو وحشيا قبيح المنظر ، كما تصوره تلك الكتب فتقول عندما حل الزمن الكاينوزى الأوسط كما يسميه الجيولوجيون – كانت قد ظهرت قردة عليا متعددة ذات خواص شبه إنسانية كثيرة فى الفك وعظام الساق ، ولكنهم لم يعثروا على أية أثار لمخلوقات يمكن وصفها بأنها إنسانية على وجه العموم إلا عند الإقتراب من الأعصر الجليدية ، وإذا عثر المنقوبون فى أوربا فى رواسب تعود إلى تلك الفترة عمرها يتراوح ما بين نصف المليون أو المليون سنة على أشياء و أحجار يتجلى فيها بوضوح أنها نحتت قصدا بيد مخلوق ذى مهارة يدوية يريد أن يطرق أو يخدش أو يقاتل بالحد المشحوذ [3] .

ويرى الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابه قصة الملكية فى العالم أن مصطلح " الشعوب البدائيه " تطلق على المجتمعات الإنسانية التى ظلت أمدا

---

[1] د. الأحمدى أبو النور ، عقيدة المسلمين والعقائد الباطلة ، صـ٨ . ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

[2] الإنسان فى ظل الأديان ،صـ٥٣ ، المكتبة التوفيقية . القاهرة ، ١٩٧٧ د. عمارة نجيب .

[3] موجز تاريخ العالم ولز . صـ٣٢ .

طويلا بمعزل التيارات الحضارية الكبرى لانزوائها في بقاع مجهولة أو غير مطروقة أو لبدلوتها وعدم إستقرارها أو لإنطوائها على نفسها ونفورها من مظاهر الإتصال بالعالم أو لأى عامل اخر من هذا القبيل ٠

ويصدق هذا على شعوب كثيرة مبعثرة في مختلف القارات ، ومن أشهر هذه الشعوب جميعا وأكثرها حظا من عناية الباحثين مجموعة الشعوب التي تتألف منها السكان الأصليون لأستراليا وأمريكا ([1])٠

---

[1] قصة الملكية في العالم ـ على عبد الواحد وافى ٠ دار النهضة مصر ـ صـ١٧